

السياسة الدولية

وأشهر جالسا

القسم الثاني
أقطاب المناهج السياسية

تأليف

الدكتور نجيب اللازمازي

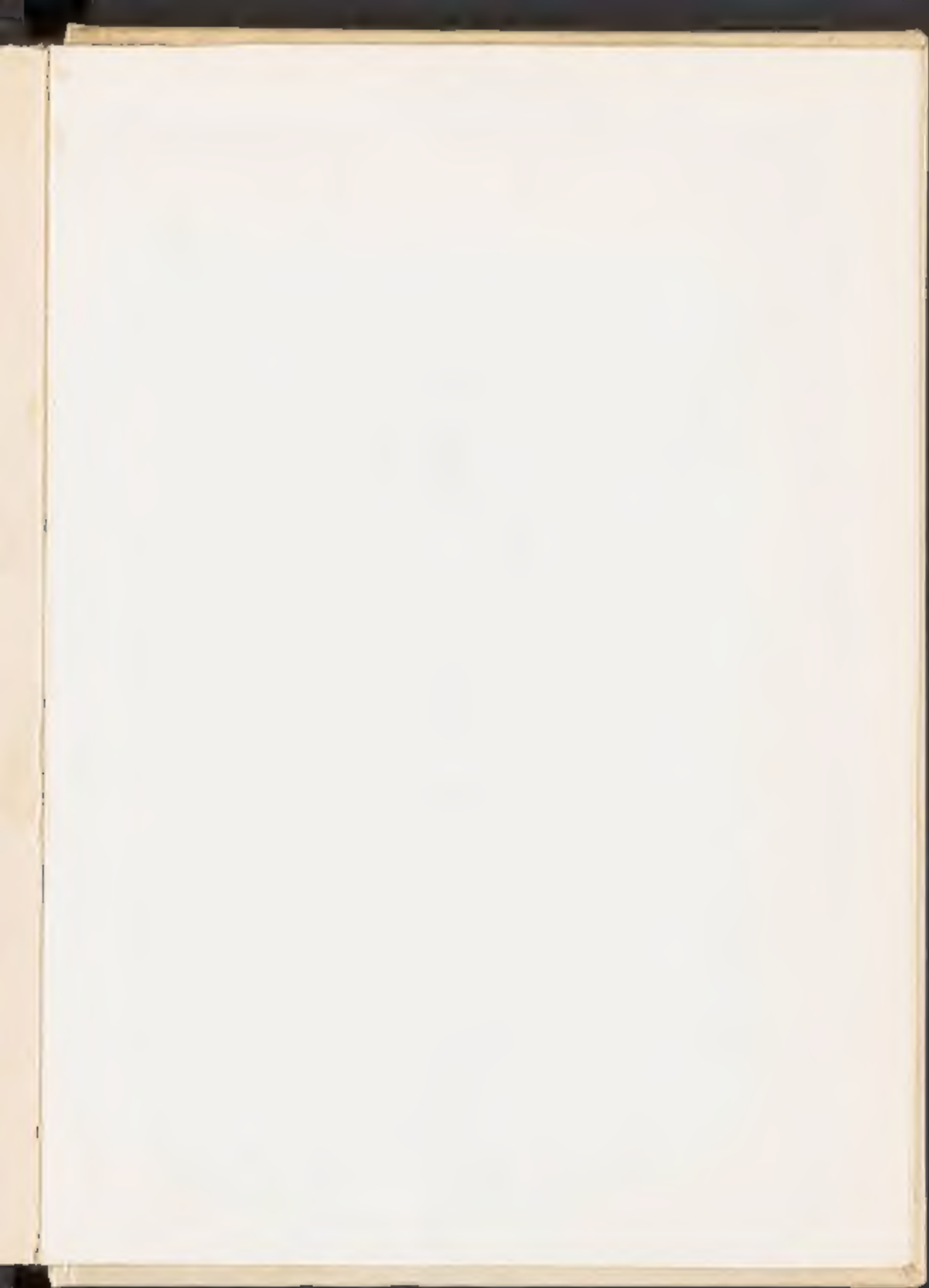
دمشق ١٩٥١



3 1142 02842 0407



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY



al-Armanāzī, Najīb

al-Siyāsah al-duwalīyah

السياسة الدولية

وأشهر رجالها

القسم الثاني

٧٠٢

أقطاب المناهج السياسية

Spent

تأليف

الدكتور نجيب الأرمنازي

N. Y. U. LIBRARIES

دمشق ١٩٥٠

B

New Edit

JX

1662

.A7

v.2

c.1

تمهيد

إذا عد رجال الدول الذين ابغوا من بدم مناهج سياسية ومذاهب مفيدة وحملوا منية فانه يأتي في المقدمة مكيفلي ورشليو وتايران ومترينغ وكاتور وليمستن وبسمرك من اقطاب السياسة التقليدية والواقعية ، اما السياسة المثالية فلا نجد اسما يفترون بها احدا من الرئيس ولين الذي اراد ان يقيم في العالم مبادئ جديدة ومناهج حديثة ، يطبق فيها الآراء والقواعد التي يدعو اليها دائما فيلسوفاً واستاذاً مفكراً وهو رئيس دولة وقائداً ، بدلا من السياسة القديمة ، القائمة على الدهاء والكيد والفقر والفتح والشد والنف ، وكل ما يحتوي عليه الامر الواقع من اكراه وعلبة

على ان العاريفة التي اتبعها لا يقصد بها الحصر ، اذ لا يقتصر تاريخ السياسة الباهر على هؤلاء وحدهم ، وان كانوا يذكرون بما احدثوا من سنن وتقائيد ، ولجميع الدول سياسيون مشهورون ، وقد عرفت هولندية غروسبيوس مؤسس الشرح الدولي وصاحب الكتاب الكبير (حق الحرب والسلام) الذي افقه في فرنسا وقدمه لوليس اثالث عشر ، وقد علقت عليه الناحية الشرعية اكثر من الناحية السياسية ، وامتاز في انكفاره بيت وكاتفغ وعزرائيلي ، وقم في النعمة عدا مترينغ واندراسي وسواهما من الذين جعلوا السياسة الدولة المثانة شيرة دائمة ، وقد عد غورشاكوف في روسية مناظراً لبسمرك ، واتجهت لها ثورة ١٩١٧ نطقاً جديداً من الدهاء الذين خلعوا على سياستهم الواقعية برود المثالية الشيوعية .

ولم يدع العالم الجديد للعالم القديم ان يتفرد برجال السياسة الذين تقدموا
على سوام وسارت في الخافقين آثارهم ، فقد ظهر في الولايات المتحدة انداد لهم
واكفاء مثل واشنطن وفرنسكلين ولنككن ، الذين تابعوا بجهد وعناء تكوين
الجمهورية الكبرى وانشاء وحدتها والدفاع عن كيانها ، وحملوا المشعل المضي
في تلك الارزاء النائية ، وكانت شهرتهم السياسية مشرقة بالفضائل الرفيمة ،
التي هي غر الانسانية الخالدة .

حزيران سنة ١٩٥٠

نجيب الدرمنازي

الفصل الاول

مكيلى موسى السياسة الحديثة

١ - السياسة التقليدية

قد يكون مكيفلى ايمد رجال الدولة اثرًا في معالجة صناعة السياسة والنوم على دقائقها ، وانه ليصح ان يقال ان المكيفلية هي اسلوب ، اكثر مما هي مذهبها او طريقة ، لان صاحبها لم يقرر المبادئ والقواعد ، بل كان يتتبع احداث زمانه وما جرى من قبلها ، ويستخرج منها اسساً تنطبق على كل زمان مهما كان عوامل الاختلاف ، فالرجال هم الرجال والاشياء هي الاشياء ، والسياسة هي الصناعة التي تقاد فيها الرجال الاشياء والاشياء للرجال ، وتوجه الوسائل لتحقيق الغايات .

وكان صنع مكيفلى في المرحلة التي انتهت اليها سياسة القرون الوسطى وبدأت السياسة الحديثة ان وضع الاساس الاول لدرس المشكلات السياسية ، درساً مجرداً قائماً على التحرر من كل فكرة دينية واخلاقية ، وكان الدين في القرون الوسطى لا يتفصل عن الاخلاق ، والساطلة الدينية تتعالب باسم الاخلاق السيادة ، فلما غلبت في النضال ، جرت وراءها الاخلاق ، وبقيت السياسة وحدها متقادة الى اضمف مبادئها ، وايس فيها الاعم الثقاب بالحيلة والتسلط بالقوة ، من غير ان تدعن لراجر او تخضع لوازع ، والدين الذي كان كل شيء في القرون الوسطى وغاية الغايات الدولة ، لم يكن عند مكيفلى الاوسيلة سياسية تستخدم للمحافظة على الدولة ونوسيمها ، واداة تستعين بها الحكومة لتحقيق غاياتها .

وجملة الآراء التي أبدتها مكيفلي في كتبه المختلفة ترمي الى ادخال الفلفة العملية والتجارب المشهورة في السياسة ، وهو يستند بها الى منطق الحوادث كما هي كائنة ، لا كما يراى ان تكون ، او كما يريد اصحاب الاحلام ، وقد اصرح فيما كتبه عن آراء معاصريه ، فكان مرآة افكارهم وترجمان خواطرهم ، واصبح من بعد مؤسساً لعلم السياسة الحديثة بما ادخل عليه من البحث الحر والانتقاد الصحيح وقواعد الملاحظة والتتبع ، والاعتماد في كل ذلك على الحقائق الثابتة والعلاقات الخالدة والمصالح الباقية والشواهد التاريخية .

والسياسة في كل زمان ومكان هي الفن الذي يؤلف بين الرجال والاشياء ، وعمد السبل وبذلك الصواب وطبيعة الانسان لا تتغير في قواعدها واسسها وان تغيرت ببعض مظاهرها ، وهي عنصر السياسة الدائم ، ولذلك فان المكيفلية انما تستخرج بقاها ودوامها من هذه الطبيعة ، وهي في القرن العشرين كما كانت في القرن السادس عشر ، تعتمد على مراعاة الظروف والحوادث ، والسبب الاكبر في ذلك ان الرجل لا يزال هو هو ، وان السياسة تعمل مع الرجل وفي الرجل والرجل ، واذا كان هنالك ما يؤسف له في عمل مكيفلي ، فهو طريقة البحث الجديدة في تأييد مذهب مكروه ، توفر حظه من الجنائيات والاثام التي ارتكبت باسمه ، واذا كانت نعمة ما انشأه في كتبه تلحق اهل زمانه ، فليس ذلك كافياً في التماس المذنب له ، لان الخداع والتملق قادران بقوتها على احراز ما يمتنيانه من الشأن في العالم ، بدون ان يعبها العلم بحججه وبراهينه .

٣ - الأخلاق والسياسة

لم يكن ميكانيكي يحل الأخلاق وينكرها ، ولكن كان يفرق بين الأخلاق والسياسة . ويرى ان السياسة لا تتخرج كثيرا في خدمة الدولة ومصالحها ومقتضيات شؤونها ، والمكيفية التي هي قائمة على حق الدولة وغيتها ليس خاصة بشكل من اشكال الحكومات ووسع من اوساعها ، ولكنها توافق الاستعداد اكثر مما توافق سواء . وقد تكون في المدن الديمقراطية كما تكون في الدول التي تسطر عليها بعض الطامعات والأنس . وقد شرح فكرته في كتاب الادب بقوله : « وصف بعض المؤرخين جمهوريات وحكومات في شهادتها وهي تقتصر الى اشياء كثيرة حتى تكون حقيقة . ونعمة من عظم بين الطريقة التي يعيش الناس عليها وبين الطريقة التي يحب ان يعيشوا بحسبها . والذي يقع العمل بما هو كائن ، ويعمل بالحب ان يكون . يدير الى بناء لادمنته ، كإن الرجل الذي يريد ان يكون صالحا كل الصالح في مجتمع ليس كذلك يحرص نفسه للاخطار . وهذه الجملة تحوى شيئا كثيرا من فلسفة ميكانيكي التي نسبت لسياسة افور . ولكنها تنطلق على قواعد عامة وامول خشنة . واكثر الرجال قدسوا بفلسفة حتى ينشئوا المذهب لتقرير الهوائيه ومصالحهم . وإذا كان الصميم يوحى اليهم وحب التمييز بين العدل والجهور فان الهوى يذهبهم من التعريق ، وهم يعرفون بانهم لا يعملون عسا يفكرون ، بل يقولون انهم يكونون محدوعين سواء اذا عملوا غير ذلك ، فخطت طريق بسبب سميت آخرون . وجميع الوسائل حسنة اذا اعانت على برفع الغاية ، كما هو مقرر في الفلسفة العملية العامة ، فدا نقلنا ذلك الى الفلسفة السياسية وحدنا ندرس السياسة المكيفية التي هي قائمة على قاعدة الاستخفاف بالوسائل في سبيل الغاية السياسية ، ولم يكن يجب عبث

مكيفة ما في هذه القاعدة من مباد ولكنه يلعب لها المذر بقوله : لاشك ان اميراً من الامراء يكون مشرف الخد ، سعيد الظلم ، اذا تدبر له ان يجمع اثبات الفضائل ، ولكن طامعنا لا نحتمل من هذا التكامل ، والامير بحاجة للحيطة والحذر ، حتى يصفون نفسه من الرذائل التي قد تؤثر به ، وعليه ان لا يخشى لاثماً اذا لحق اليه وسيلة كانت لتأييده وتعزيزها ، وهما تكن بعض الفضائل محدودة فقد نفوذ صاحب الى الملائكة ، ومهما تكن بعض الرذائل مستحكمة مذهومة وقد تحمل الى صاحبها الامان والرخاء .

وقد نزل بعض كلام مكيفة من ناحية اسأنيه اذ يقول : ما ابعد من الفضل الرجل الذي يفتك غواطيه ويدبر اسدقه ، ولا يكون غاوص السريره صاحب دين وتقوى ، وهو قد يسأل ما يريد من العاطفة ولكنه لا يبلغ منازل الحق ، وليس هناك شيء يحول دونه ودون الشريرة التي يتمتع بها كبار القواد ، ولكن قسوته وشدةه وعاطفه كبره وقلة رحمته يحول دونه ودون ان يكون من كبار الرجال .

وقد ذكر مكيفة بين الامراء الذين استطاعوا ان يميلوا بسلامهم ورعايتهم من غير ان يخلفوا عليهم ، بين الامراء الذين لم يستطيعوا ان يدركوا ذلك بسبب التجاهل الى القسوة في توطيد ملكهم في الدوا في الحرب ، وقال : انهم قد يحدون او يسيئون وضع القسوة في موضعها ، والقسوة تكون حسنة اذا سحت تسمية الفبيح بالحسن ، ان استعملت مرة واحدة وقضت بها ضرورة تعزيز السلطان وحير الامة ، ان القسوة التي تكون سيئة هي التي تسع وتنتشر بدلاً من ان يضيق نطاقها ويكفكف من شدتها ، وقد فصل مكيفة الامراء الذين يصلحون رعايتهم ويحتجبون اعمال القسوة والمنع في سياستهم ، وهو يدلك امير الى جانب الاخلاق .

٣ - - الأمر والنكث والقدر

كانت المؤامرات تطلب على مكيفلى وتوافق خاطره ، وقد عذبت اليه فيها
أقوال كثيرة لم تصدر عنه ، غير انه كتب فصلاً عن المؤامرات هو من أشهر
ما كتبه وما عرف من مناجحه ، ونجته من هذا الفصل ان يث فكرة التحرر
والتحفظ لان الدول تضع بالمؤامرات اكثر مما تضع بالحروب الخارجية ، وان
يبحث على القسامة بما هو كائن ، وهو يرى ان حظائر المؤامرات اما ان تكون
في اثناء التآمر ابى اثناء التنفيذ او بعد ذلك ، وقيل ما هو رجال الدين يصممون
على الدواب الى موت حنجر ، ولولا اهل السلامة اقل الاقدام على الأمر ، واداً
كثير المدد لا يبق الامر مكنوناً ، وقد يكتم بالدلائل والقرائن ، ومن واجبات
الحذر ان لا يباح سر الحيلة للمؤتمرين ، وان يحافظ على كتمانها الى ساعة التنفيذ
ولا يوجد خطر اشد من الاضطرار الى تبديل الحيلة في الساعة الاخيرة ، وربما
يخون الرجل نجاته في وقت التنفيذ .

وإذا دوت مؤامرة لاصابة بعض الاعراض فانها تنقلب احياناً على اصحابها ،
ومنى عرف امره فانه حينئذ لا يبالون بشي اد لا يبقى لديهم ما يصونونه ، وقد
يرى الأمير فائدة من مداراة المؤتمرين موقفاً دينا ، بل من بهم ، واداً كانوا
مما يافى فعلية ان يدرع بهلاكهم بدون ابقاء ولا مبالاة .

والمؤامرات التي يبحث عنها مكيفلى ، ويعتمد اصحابها على السيف والسم
لا يترص فيها مطلقاً للناحية الاخلاقية ، ولا يذكر كلمة الاخلاق ، ولكنه يبحث
بعمورة مجردة عن المؤامرات وعن وسائلها ، عن عوذها وشراتها وعن محاذيرها
وعما يعترضها من المصائب ويقف في سبيلها من المخاطر ، وينجم عنها من خير
او شر للذين يعملونها ، او للذين يصلون بهم ويقاسون احياء جرائر ما لم يجنوه .

والردائي التي كان يصح بها مكيفي ويعتبرها من حاجات الدول ترجع في أصولها إلى القوة وسوء النية ، ولا يذهب مكيفي عن تأثير الأمثال في النفوس ، وإن كان ذلك لا يستطيع التطلب على الحق أو إصاف مثله ، إذا نظر إليه من وجهة النفع العام وسلامة الدولة ، وقد عني بانتخاب أمثلة من الرجال الذين تخلق عليهم الأمانة والمثلية الدينية ثقة متناهية في نفوس الجماهير ، وهما البابا الإسكندر السادس وقبصر بورجيا الذين لم يسكن لهما نظير في مساوي الأحوال في القرن الخامس عشر ، وكان يجب مكيفي بقبصر بورجيا وبشيد بوقلمه الدائمة التي أعانته على تأسيس ملكه ، وإن كانت أمثله بأعمال قضاع السابلة وادني إلى حوادث الأغنياء التي إحدتها لها ألسنة كيون الماثلون .

أما نفس اليهود فإن المرء يستدعي أن يتصور كيف يبحث مكيفي فيه خرافة و - رولة ، من غير أن يتقيد بالاستباحة في الحال الاستثنائية ، ولا أن يعترف بأنه من الأمور المحمودة أن تكون المرء وديا بمرء ، وقد قل أنه من بين الرجال الذين قاموا بأعمال عظيمة من أهم بالوفاء وبالعهد ، ومن تردد بحديقة الذين كانوا يعتمدون على الصدق والأحسان ، والوفاء بالوعود والاعود والعقود من فضائل الدول التي في معرفها الملاءمة تعرفها الحياة ، ادعى الأمير اليعقظ أن يحب الوفاء بالعهود التي تكون مقابلة سافعة ، وكيف يتقيد الأمير بعهوده وسائر الرجال لا يهتمهم الوفاء بالعهد ؟

والسبب الأكبر من السبب الوحيد الذي يدلي به مكيفي للدفع عن وجهته هو ما يراه من الرجال من الخبث ومساذاطارية ، ورأيه بأن يجمع المتمردين يجمع على اتخاذ الخداع قاعدة للسياسة ، وهو يحتج بالسهولة التي يجدونها الخداع في التفرير بالآخرين الذين يقومون بدون عناء في حياته ويخدعون به ، وكثيرا ما هم ، ولذلك منه أضرب الأمثال للقدر ونظير النفوس بنجاح الخديعة وتروى الأحاديث بها عرفت من أن

المنبر يكون للذي هو أدنى مدحلا والظف مخرجاً واكثر انبساطاً واشد بقعة في نخادة حيرة وصيانة نفسه .

والفضيلة في نظر مكي في ليست الا كالذي وسيلة من وسائل الحكومة ، وهي حسنة مادامت مفيدة ، ومرغوب عنها مادامت مفيدة ، وقناع يجب وضعه عند الحاجة ونزعه عند الحاجة ، والامير الكامل يشبه الرجل الخائر الذي يقول الاطالون عنه بأنه يطير بجميع مظاهر المال ، ويحكي في نفسه حقائق الخور ، وهو يحمي نفسه سممة حسنة بالخير والرحمة ، والوفاء بالهدى ، والتمسك بالمال ، والتدلي بالصفات الغمودة كلها ، ولكن عليه ان يكون متمكناً من نفسه بحيث يقوم باعدادها اذا اقتضى ذلك ، ولا يرى مكي في مير ، ولا سيما اذا كان حديث عهد بالامارة يستطيع ان يصف بالفصائل من غير ان يصيبه صير ، لان غاية المدح من نفسه وعن كبرائه تفرقة احياء بالخروج على قوانين الانسانية واصول الدين وفوقه الاحسان ، والمعاملة على النفوذ والمكانة هي العاية ، واما المؤسسات فانه يتركها دائماً بأنها شريفة ومعمودة ، والرجل العامي يؤخذ دائماً بالعامي ، ولا يمكنه الا بما يقع تحت بصره ، والمفلاء لا يتكلمون على رجل عظيم الخطير بأنه خال وسيلة غير مألوفة في جري الامادة ، اذا كان المقصد جلباً كتنظيم ملكة او تأسيس جمهورية ، والنتيجة الحاسنة عند سبيل المدر لتجربة ، والضعف لا يكون محقوقاً الا اذا وضع في خدمة الخير لاني خدمة الخير .

وقد ضرب مكي في امثلة عديدة حسن وما الخرائم الكبيرة التي ترتب في سبيل غاية سياسية ، ولكنه مع ذلك كان يأن صيره في بعض الاحيان ، ويتكلم بكلمات شريفة في تقييد الخرائم واستنكار الاساليب القاسية التي هي مفيدة الاخلاق ومفارقة الانسانية ، وجبراً ان يحتجب او يختار المصلحة والانفراد من ان يؤسس ملكة بفك الهدم ، ولكن هذه الكلمات النبيلة النادرة التي

صدرت عن قلب مكيفلى وامريت عن شعور انساني لم يدم اترها طويلاً ، فزو لا يلبث ان يرجع ويقول : ان الذي لا يستطيع ان يحافظ على سلطانه الا بالانجاء الى ذلك أو سائل الضيفة عليه ان يسلك طريقاً اذا كان مضطراً اليه ولم يجد طريقاً غيره .

والشهيد مكيفلى في غير كتاب الامير بـيرة القدماء من الفرس والرومان الذين اعتمدوا على الخداع في سبيل النجاح ، اد الامير الذي يريد ان يدرك الاعراض الرقيقة يجب ان شعر من الخداع ، لذلك كان مكيفلى يعتمد في سياسته على القدر ، وينصح بمصانة العدو وانتظار مجوده ، حتى يطمئن كل الطامأنية ويكون الانتقام منه سهلاً .

واذا قيل في صدر الدفاع عن مكيفلى انه يشير بالقدر والقسوة والحيلولة واقصر العهد عندما تقتضي الضرورة لدى تأسيس اماره جديدة ، فعاداً يباح العظم لامير حديد ولا يباح لامير وارث ، واذا كان مذهب مكيفلى لا ينطبق على جميع الاوضاع السياسية والاشكال الحكومية فانه يكون مذهباً متخفياً محدوداً فضلاً عن مناهج القدر التي فيه .

٤ - اصول الحكم

كان السياسيون الاولون يميزون بين احرار الملك عن طريق العنف او موافقة الشعب او بانتقاله من وارث الى وارث ، غير ان مكيفلى لم يكن يأبه الى هذا التقسيم ، وهو يرى ان هنالك طريقتين : الدهاء والشجاعة ، او الخطوء وموتة الآخرين ، وهو كذلك يميز بين وسيلتين لاحراز السلطات : الحرية وموافقة الشعب .

والحرية عند مكيفلى لاتنال في دولة اذا لم تكن هناك مساواة ، ولا يد لادراك هذه الغاية من القضاء على ما بين الناس من تفاوت ، وضرب لذلك مثلاً

ازدهار المدن الألمانية الجمهورية ، ورد هذا الازدهار الى ضعف شأن النبلاء ، ولذلك فانه كان يستحسن القضاء على الاشراف ، ويرى في عدم المساواة تعيد السبيل للفساد والرشوة واستئصال الحرية ، ويدعو الى اقامة حكم الارهاب ، والقضاء على النبلاء ، والتخلص من الاعداء بكل وسيلة ، واحراز السلطة العليا احياناً بالتغلب قليل الحرية والمساواة .

وكان مكيفى يفضل نوع حكومة اسباطة ورومة على سوامها ، ورسائله في هذا السبب زبدت لما كتبه الاقدمون ، وقد وصف في الغالب حكومتين : الجمهورية والستبدية . وهو ما كان يحده في ايطالية التي كانت تشابه بلاد اليونان في اتساعها وتفرقها ونسبتها الى مدن متخامة ، وقد استطاع مكيفى ان يترجم السياسة في هذه الازجاء ، ووجد فيها ميدانا فيسحا لتبانه وملاحظاته . وفارن مكيفى بين الحكومات الشعبية والحكومات المطلقة فكان ترجيعه الاول ، ومع ان الوم الغالب هو تأييد الامراء ، وان انتقاد الشعب حين على الاثنى اكثر من انتقاد الامراء ، فن مكيفى لم يكن يخفى اعجابه بالشعب ، ويرى ان اعمال الشعب الفاسد كاعمال الامير الفاسد واعمال الشعب الصالح كاعمال الامير الصالح ، وهكذا فان نكران الجميل كثير عند الامراء قليل عند الشعوب ، وهو ينشأ من الخوف والبخل . اما الخوف فانه سبب يعتذر منه ، لان الرجل اذا اصبح رفيع القدر عظم الشأن بحيث يخشاه الامير على سلطانه والشعب على حريته ، فحينئذ يشترك في نكران الجميل الامراء والشعوب بدون تفرق . وكان الرومانيون لا يشكرون احسان محسن اكثر من سائر الشعوب ، ومن ذلك ما صنوه بسبيدون الاثريق ، حتى قالوا ان جمهورية لانفاخر بانها حرة اذا كان القضاء يخشون احد ابتائها ، واما البخل فانه يلبس صاحبه العار ، وعدم مقابلة المنيع بعنله الناشئ عن البخل خطأ لاسبيل الى غفرانه . وهو كثير عند الامراء قليل

سند الشعوب . والجمهوريات تتمسك بالعبود وتقوم بحقوق المخالفات اكثر من الامراء لان المنفعة تمنع الامير من الوفاء بما عهد عليه . وذلك مسبب على الجمهوريات التي تحتاج الى اسباب كبرى حتى تتجأ الى مثل ذلك ، بل ان الاسباب الكبرى نفسها لا تستطاع احياناً ان تحمل الجمهوريات على التمسك بالتواثيق .

ويرى مكيفي سببين آخرين لفصيل جمهورية على الملكية ، وهما انتخاب الزجاء القادوس على الحكم ، ومسايرة الزمان في تطوره ، والامران مميان في تلك النور ونة ، على ان الامراء افضل لانشاء انبثاك ، والجمهوريات افضل لحفظها والابقاء عليها ، والانشاس يحتاج الى فرد يفرس على فاصية الامور بكفى يديه ولا يشاركه في ذات احد ، ولكن مرداً يهدم ما بناه فرد آخر ، وهذا لا يقع في الجمهورية . وهذا كان في هذا قول كثير من الحفيفة ، فلا يمكن ان يقال انه الحقيقة كلها ، وقد جدت جمهوريات مستبدة وممالك دستورية ، وكانت الثانية خيراً من الاولى ، هو تؤيد الموقفه راي مكيفي على اختلافه .

٥ مكيفي بين الصاره وخمومه

والحك في مذهبه

لاشك في ان عبقرية كمبفرية مكيفي لا تذهب بدون ان تنق اثرها بيد المندى ، وقد اتى مكيفي هذا الاثر من الوجهة العامة ومن الوجهة الخاصة ، وسار ذكره في جمهورية بفرنسة التي تمت فيها وفي جمهورية البندقية العلوم السياسية نمواً حسناً ، وفق جميع مناسقيه وطرائقه ، واتار اسمه الخلاف والحدك ، وكان دعاؤه يختلفون من حيث المذهب والاسلوب ويحتمعون في عقيدة واحدة وهي استباحة الكذب والحيلة في السياسة ، على ان الذين افكروا اقواله وطعنوا بهاء يستقيموا الاتيان باعتراضات قسمة ، لان ذلك لم يكن هينا ، قال جانب الضمير

ومقتضيات الوجدان تقوم الخاية والواسطة والنية الحسنة والنية السيئة ، ولا بدع اذا التمسنا الامور ونشتر على الخلاف ، وظل اصحاب الرأي متقسمين بين ما دح وما دام .

وقد استمر انفعال قفنا مدة ثلاثة عصور حول الطريقة المكيفية ، ويمكن انقول ان هذه الطريقة مرت بمرحلتين : ففي المرحلة الاولى لم يكن نقاد مكيفي الا انصارا متمسكين او اعداء متشددين ، ويريق بدافع عن سياسة داخية مطروسة وآرائه دفعتا عمي ، ويريق يحمل عليه ويسته بدفع السموت ويجرده من كل دهاء وعبقرية ، ولا يمكن ان يسمى هذا العهد الا عهد انفعال ، يشاوي فيه المدافعون والمهاجمون بدون روية ولا انصاف في الحائزين ، فنادفون لايفجونه والمهاجمون لايمردونه .

اما في المرحلة الثانية فقد اصبح مكيفير تعد انصارا اكثر براعة او نقادا اقل حصومة ، فر يتمسب الاوثوث لآراء مكيفي ولكنهم احدثوا تحالوفا ويؤولونها ، وهم يستحيون من التمسك بدعوصها من غير ان يتعروا معانيها ، فاجادوا اليه منزلة شينا وشينا ، واستعانوا على ذلك بما احدثته العلوم الفلسفية في النفوس من الميل الى العدل والانصاف ، على ان فريقا من الكتاب الذين عرفوا باسم النجادي وشرف الاخلاق لم يبالوا في اعلا شأنه وروع قدره ، وما برحت خباياهم تخرج على قواعده ولا تقبل انى هوادة فيه ، واستمروا على محاربة اعلاطه من غير ان يكرروا عبقريته او يعضوا عيوسه عن محاسن ما كتبه . وقد حبيب جان جازر روسوم مكيفي لسانه كتب عنه ، وقال عن كتاب الامير انه كتاب الجمهوريين وعن مكيفي انه رجل شريف ومولعين كريم ، وكانت الصلة بينه وبين اسرة مدياشي تضطره الى اخفاء حبه للحرية والخصاصي عما تقاسيه بلاده من اضطهاد قواحي اليه وضع كتاب الامير هوى بلاده ورغبته في ان يراها مستقلة . وقد دل هذا الكتاب ولاسم صله الاخير الذي شدقني فصاحة على انه يحب وطنه

حياً حياً ، وكان ذلك احسن حتام لما كتبه . ومع ذلك فانه لم يبرح في رأي فريق كاتباً لثراً يدعو الى الاستبداد ورجو من وراء ذلك الوصول الى اقامة مسرح المساواة والحرية .

وعلى كثرة الامراء ورجال السياسة في فرنسا وانكلترا ومانيا وروسيا وايطاليا حتى بلغارية من الذين وضعوا بانهم تلاميذ مكيفل ومريديه ، فقد اتف الامراء ورجال السياسة ان يطمئنا بمكيفل وبعدم تفيدته بالاخلاق ، كما كان يصنع فردريك ومترنيخ ، ولكن العالم الذي وجد ان بليون لا يدع من يده كتاب الامير ، وان دوتين اتخذنا واحتملنا في خلال انبادي التي وضعها مكيفل في ايطالية في ايم كاهور ومانيا في ايم بيمرك ، لا يرى محلاً لطمع فيه لان الاس التي استخرجها تدل على ما هو ممكن في طبيعة الانسان من اخفايق السياسة الخالصة ، ففي البلاد التي يحكمها جمال الالف ، وفي البلاد التي يحدها نهر الرين ، ارتفاع الصوت الذي يدفع الشموع ويضئها من سياتها ، ونهس الرجل المنتظر كانه ينقش عنه عبار الرقد ، الرجل الذي هو كادسفه مكيفل ، كثير الخداع عظيم الدهاء ، يقار غير مريض ، ويعلن غير مريض ، شديد المعرفة باتهمناز الفرس ، يشارك العداية بحسن تصرفه ، ويفير الحظ نجراته ، يمسك بالحيلة ويحل القوة ، وطوراً يشابه الليث وطوراً يشابه الثعلب .

ولم تقتصر الخطط المكيفية على ما شهدناه من آثارها في تكوين الشعوب بل ان كثيراً ما يلجأ اليها في الامور السياسية الطارئة والحوادث الحاربة ، ولا تكاد تبدل الا تبدلاً يسيراً بما يطرأ عليها من التجديد والتغيير ، ولكنها تبقى كما هي رغم التقلبات التي مرت عليها ، فلابد هو الرجل الذي ينتظر والرجل الذي يريد ان يبلغ مداه ، وهو في الماضي رئيس عصاية واليوم رئيس حزب ، وليس الغرض بينهما عظيم من حيث الغاية والسمي . على ان تبدل البيئة وتبدل

الحال مما يقضي بالحذر والحيلة حتى تؤدي أو سائل نفسه إلى نفس النتائج وإذا كان في الوسائل ما هو حسن وما هو سيء ، وما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي ، فالمبرة عند مكيفة في النجاح الذي لا يتقيد بالصفة الأخلاقية ولا بحسنها أو سوءها وبذلك فإنه فرق بين سياسة وبين الأخلاق وهو لم يقل في مكان : أنه من الخير أن يفعل كذا ، ولكنه قال : يجب أن يفعل كذا ، وقال كذلك بغير محاذرة ولا تقييد : أن هذا الأمر يحتاج إلى لذة ، وهذا يحتاج إلى الحديد .

وقد اشتبكت المكيفية بتداهات العديد من الفلسفية والسياسية وكان في راجعها من يتصرها أو تعاصها ، فذهب دكاوت مؤسس الفلسفة الحديثة وأحد أصحاب المدارس الكبرى في القرن السابع عشر مذهباً بفارز المكيفية ، وكان في عياره أنها لا تكون دق إلى أبعد ، فمب استفاد القواعد التي سبقتها مكيفة ، وبمدها فنانة شعبة وبوصى بالناج ما يتأقصد ، راء بمرر فواضا مشابهة لها كقولها : ينبغي أن تعتبر جميع الوسائل التي يتخذها الأمير لأجل استفرار ملكة عادلة ، وأن تعتبر جميع الأمراء عدوين وما يعمره عدلا ، لأن حدود العدل عند الأمراء ليست كحدود عدل سائر الناس ، وكل من يخرج الحق الذي ينجحه القوة ، فهذا لابد لا يعتمد بشي عن مكيفية ، بل أن دكاوت ذهب اندهمها بقوله : أنه لا يكاد يحتاج إلى شيء في مقالة المدو وجميع الذين ليسوا بصدق ولا حفااء على أعداء ، بل أن يخاروا إذا كان في الحرب خير ربحي ، ويجب احتسابه أن كانت تحوم حولها الشهوات وكانوا يتبرون الخافون : في عدم الآراء التي اداهها دكاوت بحذوة المكيفية بلغت أقصى ما زوده دكاوت حتى على الذين أرادوا بقصها وحسنت عليها أمره .

وقد حيل للناس في منتصف القرن السابع عشر أن المكيفية سائرة إلى الزوال وأنها تفان فواعدها وأدعت في مذاهب أخرى حتى أمكن القول أن مذاهب السياسة أصبحت أميل إلى التجسس ، والرهان على ذلك ما ورد في وصية رشلو السياسية التي رى فيها قلباً من السياسة المكيفية متزحمة بحقيقة

رشليو المستبد . تلك التورير الكبير الذي لا بعد غير جري في أعماله ، ولا يظهر
التردد والتخرج في مبادئه فلو كان قد دخل في سياسة عصره ، عصر السلطة
الطائفة ، يدعو حتى ويصل من الآراء ، ومع ذلك فإن ابائدي التي ومنعها ذلك
على رسوخها وبفائرها في آخر من آثارها مكتبة رشليو في وصيته . ولا سيما في
تعليمه عن تلك الدولة ، فقد شارك من قتال لمحب أن يبدئه أحياناً قبل كل شيء سواء
. لكنه في كل حال هذه الوسائل تفرقة أن لا ينجح إليها إلا عند أقصى الحاجة ،
وأنه يجب الاقتصاد على الامداد والخاسر في دون ذلك .

وربما من سنو . هذا المبدأ والتشابه من لاساليب الكيفية ، فإنه لم يحكم
كانت سياسي . طريقة اشد وقوى من رشليو على حلة الوفاء بالعبود . فقال : يجب
على الملوك أن يمدوا قضايتهم في المحافظة على العبود التي قطعوها ، كما
تخافون على العقيدة ، الذي . . . في لا حزن أن كثيراً من رجال السياسة يدعون
إلى غير هذا المذهب ، ويستذكرون على مدى من نوح ومفارقة الدين وفقدان للعرف
الذي هو اشد من فقدان الروح . وعلى الأمير أن يحاطر نفسه بعصاغة بلاده
. ولكن لا يجوز أن يحبس يده ولا يصيح حين تمتعه ويبيع بذلك اعطاه قوة عدمه .
فلا بد من أن يعد هذه الشهادة الصادرة عن رجل له مثل ذلك الشأن تعهد
القواعد التي وضعها مكيف في نفس العبود ولا المدافعة عنها ، وإذا كان يهون
نفس العبود ، فهو بمن حد يستطيع أن يقرر لبحث بها مذهباً تستند إليه ،
وكلام رشليو هو اعطاه قوة من كل صاحب مذهب ، لأن الامر الذي يكون
رأ . وعكفة عند صاحب الفلسفة له قيمة حكم د . صدر عن رجل من أكبر رجال
الدولة في سريخ الملة .

وإذا كانت الكيفية قد تولدت عرضاً للشه في بعض الاجيال . فقد عادت
في السنين الأخيرة إلى التربة الرقيقة التي فلم تلت مثلها في الأيام الحالية بعد أن

كشفت السياسة الدولية القناع عن وجهها الصحيح . فكتب موسويفي مقدمة لطبعة جديدة بأغلبية الكتاب الأمير ، فشرح فيها فاجرايون عمله ، فما يستمد قوته من آراء مكييفي ثم قال : فلهذا ماذا بقي من كتاب الأمير ، رسالة فرويل ؟ وهل تفيد نصائح مكييفي شيئا ، رجال الدول الحديثة ؟ أم انقضى عهد هذه النماذج بانقضاء الوقت الذي ضمت فيه ، أو بها عمة خائفة ، تدش فئتها في هذه الأمة ؟

وقد اجاب على هذا السؤال بقوله : ان مبادئ مكييفي مفيدة في هذه الايام اكثر منها قبل اربعة فرويل ، لانه : ما كانت قد تغرب انظار الخارجية فان حكام الرجال والشعوب ، لا تغير الا مبادئ ، وكانت السياسة هي من حكم الرجال وتوجيه الاستعداد ، وربية ميوحة ، والتربية ، والتكيف بين مصالح الخاصة والمصلحة العامة التي لا يجوز حياة الفرد لانها في استهوان ، فلاشك ان الرجل هو المصير الانساني الذي تعتمد عليه في تمامها كانه .

وبعد فقد نفسه من اكبر مرئسي مكييفي ، وبعبارة اخرى : ان مكييفي هو الكتاب الامير الذي اتقه القوراني الكبير ، وهو يرى انه ضروري لكل رجل من رجال السياسة ، وانه يعرف كنه السياسة لا بعد قرائه هذا الكتاب الذي رصف الحسن وبوقط الذهن ، ولذلك فانه يحث بالاطاعة على السياسة الامانة وعلى وراثة الخارجية التي ليست الا تقاليد بائنة ، واما صائفة ، واوراق ، وديمية ، لا فائدة منها ، كما ينتقد تقارب اسفراء ، ومما لزم في استقالات الاحبار التي لا تخرج عما تقدمه المصحف ، اما تقاربهم التي غلبها صيغة علوية فليست الا حيلة لتجديد الامة انبرهان على استحقاقهم مائة اسونه من روائع سخمة ، ويتمسكون به من الخبوس على الارائش المنيعة .

وقد ذكر هتير في صدر بحثه عن مكييفي انه يرى بالقمة : مصالحة عربية ، من الاحتشاشيين في امور الخاسوسية ، ولكن يصح على النمط الماني من اعمال

الخوارجين ومخارضة بعضهم لبعض ، بل على النمط الانكليزي من رجل يتفقون
 بمشتم سيوى ووفور ، وهو يرى ان يستجده لأعرافه السياسية كبريات النساء
 بدلا من اهتمين في عطالة عملة ، كما انه لا يحجب عن الاستعانة حتى بالثامرين
 والانتحاص الشاذين في طاعتهم واطوارهم .

وعرور السياسيين في رؤيه — يتجاوز كل حد ، وهم سائقون في تقدير
 سياستهم والاحتكام بأسرارها ، والسفير الذي يشتمه ينبغي له ان يبدل جميع
 الوسائل لأدراكه تحت ، فيؤلف الاسبارات رجال السياسة الذين يهيمونه من
 اصحاب النفوذ عند الدول ، ويشترط حوالهم في ادكائوا يشرون بالمال او شيئا
 غيره ؟ وما هي ، وعلين ضعفه ودخائل اموره ، وحياته وسيرته ، واخلاقه
 وشهواته ، ويرمي هنتر بذلك الى بسط نفوذه في البلاد التي يدخلها عن طريق
 اكتساب ارجل واطبائهم ، فذلك انما يكثير من بث الدعوة التي يراد منها
 امثلة الظهور والتي يباع في تقدير فائدتها ، وهو يعتمد على سلطان الكبرياء
 وحس المال ، هو النفوس وحكم القوة ، ولا يتردد في استباحة الوسائل ، ولا
 يكتر في منه الغرم والفاد ، ولا يبالي بما يدي من مؤذنته ومؤارسته ونقصه
 موافق والكاره المهدد ، قد كان في ذلك تحقيق لما يريد ، ومن الآراء الفاسدة
 عنده مدافن من ان الحرب الدامية هي حاف شر من هذه الاساليب الخريبة
 الخفية ، وهل الحرب لا حيلة ، حذرة وتميزة ومهرو ومفاجأة ؟ وهل انشئت
 لاهرائجوريت وانت هاتك بالعبود ام بالقمة ولا احتياح وانقار ؟ واذا كان
 تاريخ المدن الايطالية التي وسمت فيها تلك القواعد السياسية واقتضت
 اساليب لا يدل على انها حيلة لمدي ، هل هنتر لا يريد من الحكام ان يرا
 تحقيق غمة تعف من بلاده انباء حروب الدمية وتفتح نفرة في السور التي اقيم
 حوطت ، والسياسة في نظره لا تقبل في مسنور اخلاقي فهي عمل بتغير وتبدل
 ، بتقبل جميع الخيل والاساليب على حسب رعة الملاعب ، ولاهم المستشار
 الانساني ما ينهم به من انه سعاد للمداه ، مستبج لبحرم ، طاغية من الطغاة ، لان

السلطة لا يمكن انزعابها من ايدي الآخرين بدون عنف . والعنف مصدر كل حكمة
واساس كل سلطان ، ولا يسهه ايضاً ما يقال من انه محاصر باحتياجات المجتمع ، فهو لا يريد
ان يمرض سبيل الذين يعملون كل شيء ، لآخذه وحل وطيبه ، ولا يحاول اصلاح
الانسانية ومعالجة ادواتها .

اما ما يتعلق باليهود والمواثيق فقد كان هتير بكاتب تقاته بانه لا يولي توقيع كل
اتفاق يراه منه اذا اطلقت يده في تجهيز بلاده بالسلاح ، وبقى حراً في متساهلة
السياسة التي يريدتها ، وان تنازل في سبيلها عن كثير من الحقوق ، وهو يرى من
البلادة ان يحجم عن توقيع ميثاق حشية من ان يضطر ذات يوم الى انتهاكها ، او
لا يوجد ميثاق لها كان عقاباً بنقضه ولا بدل ، اما الذين يعملون الى محاسبة
صغارهم قبل توقيع اي ميثاق فلا ينبغي لهم من اولة السياسة ان يحب ان يتجاوز عنها
ويتركوها وشأنها وماذا يضرب توقيع سر حصصه اذا كان عرقه خدمة بلاده .

فالكنية الخامسة وما غسال عنها ، ورسائل خبوء في ناس الاسفار ،
والمؤامرات الداخلية ، ومناورة الفتن والقاذول ، ومحاولة إيقاع الخوف والرعب ،
وعقد المواثيق حين الحاجة اليها ، ونقصها عند الاستغناء عنها ، ومخاربة الخصم ثم
مصافاته ، واستباحة جميع الوسائل ليجوع الغاية ، كل ذلك تطبيق بادواته مكيميل
من الفوائد ، وما ائتمه من الخطط السياسية التي استخرجها من طبيعته الاشياء
وحقيقة الرجال ، وكانت هي الفائزة في كل حيل وقيل ، حية في نفوس الذين
يتولون قيادة الشعوب ، يتصوروا تكتم قناعها وتصريح من ناحيتها ، وتصور
تحقق في حجب من الرصد والمكيد .

وجملة القول في مكيميل ومذهبه انه يذاق اقرانه بالآثر ، السياسية المحردة
ولا الاساليب الكلامية الجدلية ولكن حركته بظفر في مشكلات السياسة العملية .
وإحاطته امثلة تحقضي في معرفة النفس السياسية والشاهج الدولية ، وهو بذلك يشكك
عن خبرة ونجربة فقد عرف هؤلاء الامراء والشعوب وادرك اطماعهم ، وخدم

جمهوريه ، فوس الامر ، و هو معروف ، استفاد كثير من الناس من هذه الموهبة ولا سيما في ربح
 الرومان ، واستشهدوا ، كان يجري على يده وحظفه على الحروب ، وسائل اني غرضه له
 في الشؤون مختلفة ، هو الذي في كتاباته حكمة ودقة ، موه لاخاري ، والسياسي
 ما كان في القرون الاولى من الاجتياح ، لكنه ومؤهلاته وتراثه ، وقد كان شأن
 المكملية بترامي الناس ، حفاظه يتصل بالوضع في حركة ، ومن الكبرى ولكنه
 لا يثبت ان يعود جميع الرجال في قوله وشدة حرصه ، والحكمة في العفوس ، وما
 اصبح الناشئة العامة في سياسة جديدة قائمة على مناقشة خيرة ، والاعمال
 العامة كان مكتمل في حكمه عن الحرية كرجال لا يزال قننه مشرنا بالآراء القديمة
 اني لا يسع صدرها لاجتياح ، وهو في الواقع لا يضرنا ، والاعمال التي استحدثت
 من العولمة والشمول ، ولكن رغم ذلك ، يمكن ان يكون ذلك الحوادث الكبرى التي
 ستزول ببيان نموذج القوية في اوروبا .

وهذا بالغ المادحون في حسان المكملية لانها تنطبق على روح الزمان
 وتستمد قوتها منه فلا حرج في انها على الامم الغدات الشديدة في سبيل اهلها
 ومقربها ، ويمكن ان يستدل بها وهو خير منها ، ويصح حينئذ القول ان السياسة
 الجديدة هي خير ما اعتد عليه حكومات وتفرق الدول ، وقد حفلت صحائف
 التاريخ السياسي بامثال رجال لم ينو ونفوا الفعالات البسيطة بين الاشياء وبين
 الاحمال وعرفوا كثير من الصحة الخاصة والظلم والشهوة وبين مصلحة العامة
 والخاصة الموصية ، وبين لاسباب الرحمة وبين لاسباب المدينة ، ونشروا تقاليد
 ما توفرت في ايراسة السياسية تعدد معها دراستها المخرج بوسائل المتوفرة والاساليب
 الصريحة وبالغياطة على الناس والاحداث في سياسة الدول وتدير الاملاك ، ولكنه
 ولم يأت الى جانب رجال القوا لانفسهم جدولة طيبة ، وحكمة دالة بالفضيلة
 والاستقامة ، والروا انهم في شؤونهم رصيده وسياسة مدبره ، وامثلة
 هؤلاء كثيرة ، واخصها بالذكر عند الحديث وشطنان ، ومن كان لا وهام
 السائدة ، انه عند ظهور رجل من هؤلاء ، رجل يوسفين لاجلاني القوة .

كان يحاط بالاحتيال الصام الشامس ، وكانت سلطة العصبة عنده تقوم مقسما
 الدهاء والقلعة ، على انه لا يقال ان العصبة معناها الاستعفاف بالبراعة والاستقامة
 بالمخالفة ، وعدم الاكثارات غففتها الظروف ومسارة الخوارج ، والذي جعل
 الفضيلة صيغة الثقل في السياسة حرماتها احيانا من الذكاء والتجربة الذي هما
 اساس النجاح ، والذي لا يستطيع العصبة ان تستغنى بهما ، ان تقوم مقامها ،
 وعلاوة على ذلك فان العصيلة لم تكن دائما في السكينة الرقيقة والبركة السليمة التي
 تخضع لها المدينة ونظامها الخلية ، وتتضافر في جنبها وجود ارباب وتسمعون
 الصاحب والعقبات ، وتصلح للسياسة وشيا كرا واحيائها امرجة صادقة مجودة ،
 وافتس كبيرة معلنة ، اما العصيلة الغشبية الصعبة فها سر وبدعي ، وهي لا
 يريد الشر ولكن ليس لها قوة على ارادة الخير ، وهي تفر الغضب يردددها
 وتحسها اكثر من ان تميز بخرمها وامتها ، وصفت العصيلة بمسدها ونجسها
 عليها الزيلة ، وبمطلى المكيفية اكثر حججها ورعبها وشهد سبيل العذر لها .

٦ - طائفة من آراء مكيفة

في كتب الامير ونيت ليف

ان رجل اقوي : ان الرجل اقوي : يصر الى الماء كما هو والى الرجل كـ هـ ،
 ولا يهيمه كيف يكون الامر ولكن يهيمه الامر نفسه ، وامامسون غير الصاحبين
 هم الذين افسدوه ، لان سوء الطبع الذي جبن عليه الانسان حال دونه ودون
 التمسك بحاجس الخلال .

رجل الدولة : على رجل الدولة ان يجهد في اجتناب المساومة ، التي تضع
 الدولة ، فلا يجوز ان يكون بطيئا في ادراكه متعصبا في حركته ، ولا يجوز ان
 يركن في الثقة الى حد الاضاعة ولا في الرقة الى حد الامثال ، ويجب ان يدر
 في مميم له اذا كان يجب ان تملأ القلوب بحبته او ان يكون محود جانبه ، واذا

لم يستطع ان يكون لانيق رما فحيز لانه يبعث الخوف في النفوس من ان يبعث الحب
لان عامل الخوف يتوقف عليه ، وعدم حب يتوقف على سواه .

صفات الامير : يجب على الامير ان لا يستقيم بالثقة الى غيره ، وان يعرف انه من
اجزله ان يقوم بحق ما حلف عليه ، ولكن كثيرا من الذين لم يعبثوا بتلفيق
فروا على الذين اتفقوا بمودته وحافظوا عليه ، ولم ان الرجل كانوا كلهم ساحقين
لمكانت هذه القوة غير محبوبة ، ولكنهم لما كانوا في كثير منهم وسدين
لا يكرهون ان يعرفوا انهم لا يثقون بهم ، وعلى الامير ان لا يصرّف عن الخير اذا
استطاع اليه السبيل ، وان يتقوى على الشر اذا لم يجد حيلة في احتياجه ، والظهور
بظهور رجل متدين ومصلح هو غير التحقيق الحقيقي بها ، وانصافا في ذاتها
قد تكون سارة اما لادبها ولا يكون الا نفاقا ، وجماع ما في الامر المحافظة
على المدة وتوسيع نطاقها ، والاحسن الوصول الى هذه الغاية ثما من وسيلة لا تعد
شرعية وعمدة الناس لا ترى غير الطواهر ، والاعمال لا يثق الا من العامة ، وليس
هناك الا الحقيقة الواضحة والادبية والتقدير لامور وعدم الاكتران للحجرات والامر
والحق والعدل والقيام بالهدام المكوس منه ، ويؤتى بعد ان ينفذ عدد الشهور
وتوجيه المصلحة ، حتى يجرى حال مصطنع ، وفي الطبيعة ، لا يبالى بوسائل النجاح
ولكن النجاح نفسه ، ولا يهتم لان يكون كبيرا مع الظهور بالظهور الحسن
والخبر في نفسه من الصبر والشعور والاحسان والصفاء والنعص الزدائل والحرارة
الامير الحديث : يستولى النفس على جميع الامر الحديث بعد استيلائهم
على مقاييد الامور . لان عدوك انى غارت ارسيم اليها ويتمكنون منها لا تستند
الى اسس ، وهم يشعرون انهم يمدنون في كل ساعة وان دولهم غير ثابتة ، وقد
لا يكون كثير في يد امره شيئا مذكورا فهو يحتشون ان يمددوا الى ما كانوا
عليه ، ولا سيما اذا شهدوا في يوم من ايامه صياح القردة مداقوا وبال امره ،
ولكن من الذي يعرف ان متى يمدد يمدد يدي هو في الغالب سراج القلب - ربيع

الزوال منة على ثمرته قبل نصيحها ، هتفت على الامر بحاط بالاحطار ، لا بدوق طعم الهناء والراحة ، ولا يبرح من هذا سمه وعده يمسره .

واذا بلغ شخص من العسامة منزلة الامر له لانه لا يقال ذلك لا تجده ومساعدة الخط له ، وكبار الرجال تواضعهم التقدير بالقرص الساتعة ، والفرصة هي السادة التي يسبح عليها الرجل صيقها ، وحسن التمارن القرص من اسس الفضائل ، اما الذي يتالك الامارة بغير عنه وفضل قوته فانه يركب الصعاب حتى يتألمها ، ولكن لا يصعب عليه الاحتفاظ بها ، وطبيعة الشعوب متبدلة ، وقد يسهل اقتناؤها ، ولكن من الصعب بقاؤها ، في تقع به ، والذي تصل اليه الامارة عن طريق سوام ، فانه من السهل وصوله اليها ، ومن الصعب بقاؤها ، الا اذا كان الذي بلغ الامارة رجلا مقدما في رايه موصوفاً بالحكمة وسعة العقل .

والامير الجديد يراقب في عمله اكثر من الامير الذي يرث الامارة ، وكثير ما هم الذين يعتقدون ان امور هذا العالم تحكم بالحظ ، فاماليه اكثر مما يحكم بهتم الرجال وعنائهم ، وقد يراعى الخط بعض الاعراء ، ولكن اذا اعتدوا عليه وحده اساسهم الدمار عندما يتخلى عنهم فمالهم ان يحسوا مسامرة الرمان حتى يحسبوا عوامب الخدود المورثة .

مخاوف الامير ومخاطبه : الامير مهدد في ملكه بامير جديد او جاز طامع وهو لا يرمي عهدا ولا دمة ولا مودة ولا حافا ولا راحة ولا صبرا ولا غربة الا اذا كانت هناك مصلحة له ، وفي الداخل فالامير يستبدع اقل علمانية ودا كان مروءاتيا للاح ، وكان الخد تحت امره فانه مع ذلك يحثي من هو اعظم منه واشد من ان يحدده نفسه بفتح ملكه واستقلاله وعلى الامير الخازم ان يتقي الاخطار وان يستمد للمعبر والذهب موانع ، وازادت به فقد ذهب وان معالجتها ، ولا يجوز السكون الى مثل القاتل ، يجب التمسك بعشرات الرمان الذي نحن فيه فان الرمان يسوق امنه كل شيء : الخير كاشير والشر كاشير .

وفد يهاجم الأمير غيره حواف أكثر مما يهاجمه حقدًا وعامه، ومعدوع من يظن أن حركات الخاضر تنبئ سيئات الماضي عند كبار الرجال، وفي الدول القديمة والدول الحديثة يعتمد في البقاء على القوانين الصالحة والإساحة المناسبة. وقد يعمل بعض الأمراء في سبيل الاحتفاظ بدولهم على ربح سلاح رعاياهم وآخرون على بث الفترقة وغرس الاحقاد بينهم ببعض الأمراء، على أسئلة الذين يرتابون منهم ويفربون منهم. وبعضهم يشيد الخصوم وبعضهم يقوسبها. وسلامة المملكة لا تتوقف على أن يكون فيها أمير يحسن تدبير شؤونها ولكن أن يكون فيها أمير إذا مات تبقى المملكة قائمة. وإذا توالى أميران صديقان في ملكة قضيا على الملك ما لم تكن قواعد لدولة مكيئة وأركانها ثابتة.

الصدق والخداع : بما أكثر ما يكون الأمير محموداً إذا أبد ملكة بالصدق ولم يقتصر إلى الخداع. غير أن المحارب يدل على أن كثيراً من الأمراء الذين حلوا إلى الخداع قد استطاعوا مقابلة الأحداث ورادوا في ملكهم وسدوا ثغورهم واستطاعوا على الذين جعلوا الصدق رائداً لهم.

الأمير الاحرق المحقر : على الأمير أن يعي باحتساب ما يحمله احرق أو يذيب احتفاره ؛ أما أن يكون احرق عدائاً كان سبباً بقطع في أموال الرعية ونظالم إلى بسائها، وهذا ما يته اجتنابه، وهو يكون محقراً إذا كان كثير التبدل ما حذا متحدثاً جباناً زرداً ضعيف تراخي حوار المزيج، ويجب أن يعرف عنه كبر النفس والحرارة ورباطة الحاش والقوة، وأنه إذا قضى أمراً فلا يردده شيء عنه ولا يستطيع أحد أن يقلبه على رأيه أو يشكك من السيطرة عليه، ولا يبغي الأمير أن يكون لديه الصفات السالبة أي أن يحب المساواة بل أن هناك من الطامع ما يتعجب عليه الانصاف به، وعلى كل حال أنه يجب محاذرة احتقار الأجانب فإنها تثير الاحقاد والأمور التي تحمل الرئيس محققاً في الشعب حرمانه إياه من النفع وتكبره عليه وغريزه ويجب أن يكون الأمير آمناً في شعب آمن.

المؤامرات : قد يكون الأمير عريضة للمؤامرات وهو ما دفع اليه الخوف من الحسد ،
خشية العقاب ، هداية ان يقاومها بدم نفسه وحسن سياسته ويقور عقله ويكمل
تدبيره وسلاح قوايته والدفع عن اصدقائه وحماية اوضاع الدولة ، و اذا اصراف
الى ذلك بحجة الشعب له وعقله عليه في المستحيل ان احد من يتجرأ على مقاومته
وفي سد ذلك فانه يخشى كل واحد من اعدائه الذي يتجرأون عليه ، و اذا كان الشعب
يمقت الأمير فانه اعداءه والخصون وحدها لا تفيد ، وعليه ان يعير الى ذلك
حبة الشعب واحلاسه وولاه .

استدقاء الدولة وحصولها : قد نجد بعض الأمراء صدقة واحلاسا في بدء دولهم
عند التأسيس يرثيرون به اكثر من الذين يوحون لهم شغلهم وهم يملكون جهدهم
لازالة ما في نفس الأمير من اوما كان بين لهم عمله ، وقد نجد المتبع في شواهد
التاريخ ما يدل على انه في كثير من الاحيان يسأل عن الأمير ان يستعمل حصومه
من انت يستحق استدعاء الذين سبقك مموئته له : ولا تخور ان يسأل الى احدهم
يولى محلا كبيرا في الدولة و اذا عرف الأمير انه سيقبل او يدعو عشت العيون
مهابة و اذا عرف انه لا هذا ولا ذلك اقتحمته العيون ، و الأمير المتردد يقاد الى
خطة الحياذ بين الاعداء والاصدق ، وذلك ما يقضي عليه ، ومن المهم حسن اختيار
الأمير لوزرائه فاذا كانوا من اصحاب الكفاية والفهم ، عذرا حكيما ، و اذا
كانوا بصد ذلك فهذا الاختيار هو اول خطا ارتكبه ، ولا تخور ان تكون الاعلاط
في دولة ، كما انه لا بد في التجديد والاصلاح من التمسك ببقايا الماضي ، والامير
الحذر يفر من المخادعين ويثق بمن يقول له الصدق في نفسه ويستشير ، واستشارة
لازمة ولكن عندما يريد هذا الأمير ، و اذا كان فسادا فانه لا يستفيد من نصيح و
استشارة الا ما كان من قبل الصدقة والرجل ينفذون ويخلصون اذا لم تكن
هناك اسباب تدعو لغير ذلك .

الحرب : ليس المسالك بعض الحرب كما يظن غالبا ، ومن السهل الابتداء
بحرب ولكن من الصعب الانتهاء منها كما يريد انبادي ، فيجب ان يعرف قوته

وبفكر في العواقب ، والفنان لا يكون بالذهب ولكن بالحديد ، والذهب لا يكفي لحشد الجيوش وتجهيزها .

والهجوم والدفاع في القتال يتوقفان على حالة البلاد العسكرية او الجغرافية على ان المهاجم اكثر حماسة وهو يثبت حصنه موارد تروته ووسائل حربه وي طرح الضرائب ويغتم الفنان ويقلب على المقاومة ، اما المدافع فعليه ان يتطرق وهو يعرف البلاد ويعتبر بقواه ويستطيع ان يستعملها كلها من غير ان يحاطر بجميع ماله في خارج بلاده .

والمرء خدع نفسه اذا امن انه يدفع العدو استكبر بالخضوع له ، فالخضوع لا يجزأ ، ولكنه يؤدي ويضر ، وعلى الامير ان يحتفظ بشأته ومراتبه وحيله اذا كان لابد من التسليم ان يدفع لقوة سبيل التراجع . و اذا كان التسليم ينشأ عن الخوف من الحرب وعن الرغبة في اجتناب احوالها فن الحرب مع ذلك لا يختبئ ، واكثر الدول شقاء التي تطلب السلم ولا تملكه ، كما انها لا تستطيع المتابعة على القتال ، والحرب التي تبدأ بدون خوف تستمر بدون خطر وتنتهي بدون خسران .

وحسب الدول ان تقع بالضرر ، و اذا طمعت في غيره فها تضيق ، واكثر خطا تقع فيه الدول المهاجمة هو في رفض كل صلح يرضى عليها اذا كانت القوى المهاجمة اكثر منها واعظم ، ولكن الرجل في الغالب يسهو في قضاء واسع من الآمال يعتمدون عليها وما يكون فيها ، والخديعة من مفاخر الحروب والتجني عن الاسدء المهاجمين كالتجني عن مقل بعد احتلاله بدون الدفاع عنه .

الجنود والقادة زعمى فضل جيش صالح قائده فسد ام جيش فاسد قائده صالح ؟ يقول بولويس فيعبر : ان كلمتها حذير ان لا يعتمد عليه ولا يركن بالثقة اليه . ومع ذلك منه يسيل على الجيش ان يعد قائدا اكثر مما يسهل على القائد ان يجد جيشا وان كان لا ينكر الخطر من وجود جيش بدون قائده والمجر مضاعف للقائد الذي يجمع الجيش المتفرق ويحارب به المملو ويتصر عليه ، والتبديل الذي

يقع في المعارك وانتشار الاراجيف يبعث الفوضى في الجيش غير المنظم اكثر مما يبعثها في الجيش المنظم ، والتنظيم يجري احيانا لاجل الاسرار و احيانا لاجل الاحتفاظ ورئيس واحد في جيش افضل من وجود رئيسين قد يربحن بتنازلهما السلطة ويختلفان على النفود ، واسوأ الذم الذي تسوده الفوضى ، و اذا اريد ان يتفكر الجيش في الحرب فينبغي ان يثق بنفسه ويثق بفائده ولا يثق بغيره القائد كمرقة حطط المدو .

وكان الرومان في تفاليدهم القديمة يحبون معاقبة القادة اذا ارتكبوا خطأ وساروا بحمالة على خطاة تضر بالدولة ورون انه يكفيه ما اضاعوه من النصر حتى يضيفوا الى ذلك التكال والمغالب .

الاوصاع السياسية : تشابه الاوصاع السياسية في الشعوب لان الرغبات واحدة والاهواء واحدة ، ويدب الفناء في الدول عندما تفسد القوانين والاحلاق والعادات ، ويجب التبدل عند تبدل الزمان حتى يكون الخطا ساعفا وفي الغالب ان الجمهوريات تشي ، الرجال في الامم التي تحتاج اليها فتحتفظ بحضارتها ولكنها تغير ببطء فيكون ذلك سببا في اسراع الدمار اليها . وسنعم ان الحرس يحمل اسناد الرجال هينا ، فعلى واصمي القوامين ان يحولوا دون ذلك وان يدموا الاطماع من ان يطلق لها العنان بدون راجع ، لان الانسان يذهب من طمع الى طمع وهو يبدأ بدفع ما يؤديه ثم يعمل على ادية سواه .

سلامة الوطن : ينبغي ان يدافع عن الوطن بكل وسيلة ، واذا كانت سلامة الوطن في خطر فلا يجوز الوقوف عند اي اعتبار او علة او وجهة نظر في الظلم والمذل والقوة او الرحمة والمدح او الذموم ، لان الواجب كل الواجب في سلوك الخطة التي فيها سلامته وصيانة حريته ، والواطن المصلح لانهم يتابعونه في سبيل وطنه .

كلمات شتى : لا يعمل الرجل عملاً صالحاً إلا لحاجة ، والمثل في الغالب يكون بين الحاجة والفساد .

الزمان بلد كل حقيقة .

لا يجوز أن يفامر الزمان بكل خطئه ما لم يبدل كل قوته .

لا يجوز التمسك بالوعود التي تمنح بتأثير القوة .

يتحمل المرء الخرج الذي يصنعه نفسه أكثر من الخرج الذي يصنعه

به غيره .

لا يجوز الانتقال من حال إلى حال تناقضها بدون توسط .

الفصل الثاني

رشيلىو

وتفائيد فرنيسياسيه

١ سيااسة فرنسة الخارجية

منذ بدأت المملكة الفرنسية تتألف وتجتمع احدى الحلاف بدت ديبية بينها وبين
الساكنية بسبب الارضاء الفاصلة بين الدولتين ، التي تدعى بها كلتاها وتريدان تبسط
فيها ساطعها ، فكانت حروب الفتح ضروريا وحروب المقاومة عنيفة ، وقد ملا
هذا النضال سحائب التاريخ الاوربي ، وتطور بطوار مختلفة تتألف مع الزمان
الذي كان يقع فيه ، وكذا ان شأن الحجاج التي بدافع بها كل فريق عن حقه ، فقد
كانت تبدل قواعد الحق العام ، ولكن الغاية كانت تبقى ثابتة لا تتغير هي تغيرت
الوسائل ، وهذا الدوام على رأي واحد ، وانما في مناهضة حجة واحدة برغم جميع
الثورات والتقلبات التي حدثت في الاممكار والاشياء ، وتترجحه الحوادث والمطروفا
التي تنشأ عنها التفائيد الكبرى للشعوب والدول ، وقد ظهرت منذ ايام فرنسة
الاولى هذه العلاقة القوية التي ترافق تكون الشعوب وتؤلف قوانين التاريخ .

ان السياسة الفرنسية قررت في اقرامية ، ودعا اليها الشعور الوطني قبل
ان يحض عليها حق الدولة ، وهي مؤسسة على قاعدة امر اضورية شرمان ، ومبدأ
هذه القضية الكبرى في تاريخ الدولة الفرنسية هو الخلاف الذي لم يتم تسويته حول
هذه العوامل والمؤثرات ، ومنه كان يستمد التواء اسباب اطاعهم ورفضهم
ويستمد المشرعون مصادر براهمهم واحتجاجاتهم وتستمد التقاليد الشعبية قوتها
التي كانت نفوذ الملوك الى ادعائهم والمؤثر عين الى المجت عن نواحي الحق وحججه .

وما كادت المملكة تخرج من الظلمات حتى اخذ المورحون والشعراء يذكرون
الموت بما كان لاسلافهم من جد ساعد وعز يهره واصبح مثل الاعلى الذي يفسدونه
ويظلمون اليه ملك شرنان الكبير . هذا الملك الذي كان عظميا في داخل فرنسا
وفي خارجها ، والذي كانت تستخرج السياسة قواعدها من قواعده واساليبها من
اساليبه ، وتقت كذالك في صولها وفي حقيقتها في نام جميع الملوك الناطقين
بما انقاية فهي الفنونج واما الوسائل فهي التقاليد واما الاداة فهي المنسحقون .

وقد انشأ الى جانب الملوك طائفة من رجال السياسة ، وطائفة من رجال
الكنيسة حسة ، وكان منهم القادوسون والاحباب لاسول وواسمو القوانين
ومحمدو السيل وميخو الخجج ، اعدهم القطرة وغثت ملكهم الثرية الصالحة
وحجوا من اعماق لندن وتقدموا على حين شرة في ميدان السياسة فيه يفترحون
ويناقشون ويعرفون اوروبا وامرهم بها كيعرفون فرنسا وسادتها ، وهم الشهود
الباقون للتقاليد التي نشأت في الشعب ، ولولا هذه التقاليد ما عرف شي من امرهم .
وفي مقدمة الحركة الذي عرفهم فرنسا ودوالها جل الخدمات سياستهم
ودعائهم هنري الرابع ، وكان وزيره سوني واسع الخطط الكبرى في زمانه . وقد
منار هذا الوزير بحرصه الشديد على نمو بلاده واتساع سلطانها وعظمة ملكها ،
كان شديد التمسك بخططها وتقاليدها ، بطمح الى ان تسود فرنسا اوروبا كلها
وداك بالحصص على باب النمسة وابقاته في اسبانية فقط وتقسيم اوروبا الى ممتلكات
يقيد بعضها بعضا ، وتأتي جمهورية بصلانية فيها برأسها البابا وتحتكمها فرنسا ،
وكذلك اصناف مناسي هذه لمؤلة قامت في عقد حصومها ، ونقوبة انصارها
وتعزيز اسديتها واحطتها بجموعة من الدول الخائبة التي هي في الحقيقة دول
خاضعة لها ، وطامع تدفع عنها ، ثم مرر انتم من اوروبا واحياء امبراطورية
القسطنطينية .

وقد استندت هذه الخطة الى انشاء جمهورية بصلانية جامعة الى هنري الرابع
ولكنها كقلاوز ريمسوي ، وود اتفاقا من بعض الذين سبقوه وحرد عامن الاوهام

والخيالات التي نابعها فنون السياسة والساليا ورسم بالأحلام الدينية ، وقد عادت
بعض ثلاثة عصور إلى اقليم برغبر حديد وسلوب ابيض وسعة (سويس) ، وتصبح
دراسة بحسب مديحة على اوروبا ، دراسة لاوروبا ، محاطة بجمهوريات النحر
بأمرها ، حيلة في العالم ، والسر فاشرة بين الشعوب مدعب الكورن ، وما رحت
القوة المفرد بعد ما تدوا بأكبر ان العدل والامر لحد من مدعه وحمي ، فخرى
عبد جميع السياسيين اقدماء هذه الزيادة في وضع حجج الجديدة فذهب عن غايد
موروثه ، والاستناد إلى الحق والعدالة في امر خاصة معينة ، وسعيد سيرة
مفسدة ، ويتابع ذلك فريق آخر من عمى ومرق طمع شديد ، وآخر من بالكتابة
والفكر الذين يتران الدراسة الصحيحة ، ورمعون من شأن العلم ، وشمى إلى هذه
الطائفة مؤسسو السياسة الفرنسية الحديثة وهو ليس صوره في راسي وحادوث
تقائيد ، ويعتقون بالاستقلال ، وقرروا سياسة اخرى رابع ، رشيدو ، وان العمل
المالكون لا تعلم امر فوات به دراسة فدية وهو معاهدة واستقالة .

وكان هنري الرابع قد سخط انفسا سخيالات ، ولكن سخطه به الترهين
المنطوية والساليب التفكير الجميلة ، وكان يحب ان يسمع إلى سوي في ما يريه من
آرائه وحطاه ، على انه يقدروا مالا رضى به ، مالا يعتقد به ، سويده هو السر
او مالا يتفق مع هو انه يري انه مدعه وهو التجرد عن الفقة .

وقد شاء انكر ذلك رشيدو في تقايد السياسة ، إلى سوا هنري الرابع ، والحق
مبادئها معنى ساليها ، وكانت هذه النجى إلى يقايد ، وكان تصبح إلى الرين
ويرد إلى عمل سوي ، دراسة الزيد ، معنى لك دقان ، كبير حطاه تلك المذهبة
ووسمها ، اضاف إليها ، وكان رد في حرب ، وطعم كبر رد في حيا ، وبعد أن كلف
عن نفسه في ما كراته عند البحث عن حطاه هنري الرابع إلى نارت سيلة .

وهو تمكن هذه التقائيد متمسكة من رفس رشيدو ، حده بل كانت تجتمع عليها
كله حزب كبير وطني وماكي مصر ، وهو حزب رحات سياسة ، وها كان رشيدو

قد اتحد على هذا حزب ، وحدد مقوله بما كان له من سلطان ، وما بهر به العيون من رونق ، قال وشبه كذا ما ربه من الحكمة واحدة بقوة اجتهاد مقتدر ، وقد كثر ومارت ، عنه منذ سنة ١٦٣٧ يقول : ان في هذا الرجل شيئا شجاعا وحدا الانسانية ، والساعة بين شهر ربيع وجمال ابراهيم لا تظهر كافية له . . . وهو يريد ان يحارب شوطن البحر لانه وقت يذهب الى ارجاء الشرق البعيدة . . . نفس هذا خطفه على صبي سمعته .

حما فقد كان يشابهه . . . لا تظهر له . . . وكانت خطفه العارية وآرؤه و النصف بسيطة ، ودية ، وكان يتفوق في غير امور حسن التبارك ، عندما ساد لهذه الامور ، وجميع حصار حين غلبه . . . وفي التفكير الشديد الامراء ابراهيم تسان في حبة على بيت النسيه او كانوا يتبعون عما كانوا في الرمن ، فكانت مذكورة الى ان اس الثالث عشر بين مرميا القوائد العظيمة الى حينها كانت من هذا النوع ، حصار البحر الذي فيه . . . وهو يستطيع ان يحدوده الى الرمن بدون عاء . . . وكان يسمى قبل في . . . بعد العدة وثيرا سبيل ، ذلك باحتلال للورس . . . ومن ثم عاريت من . . . وقد مرسة تصدق الرمن في بضعة الشهور وكان مهاجمة وتقدر هذه قوع في الاطراف في سيطرة .

ومع ذلك فقد كان . . . في . . . في سنة المعطاء القوائد السياسية الحكيمة ويحدثون بها ، وما فاه في تلك الايام على انسان مبادف حكيم وان عوم بين الناس .

عليك ان تعلم حدا الامت ورميات

بيني قبل كل شيء ان ترب خطفت وفوت ، ولا تجاور في خطاك ما تدرك من القوة .

لاستول انما على ما لا يستطيع ان يحتفظ به .

٢ - رشيدية في طريقته وساليه



كانت حدود الزمن قاعدة كبرى سياسية رشيدية التي عمل فيها على تنفيذ الخطط التقليدية وما كان لابد من الاتيان بالسواعد الحقوقية والبحث عن الاصول والعراشي والسوابق ، وقد اعد لثورة رشيدية ان لا مبرر طور لاحق له في الحدود التي هي دون الزمن ، وليس له فيها الا حق النقص ، حتى حين ان حدود فرنسا بقيت على الزمن خمسة سنة ، وعلى هذا السبيل احد تلك عيون في اعداد الجميع وذكر الاسباب وانقر بالاحكام .

وما يكتب رشيدية ، بالفراسة والقتال لتحقيق غايته ، على ان اراد ان تكون سياسته وطنية ، وان يؤيد رشيدية القام ، فلو كان يوسع التوقعات التي كانت في عهده وفي عهد سلفه ، وعمل على ارشاد القرابين والاضاح الاسباب والنتائج لحطة الحرب والسياسة التي سمها ، وكانت برهين مهيبة لا تقهر الا على اقتناعها من التقاليد واوراها في ساليب دساتيرهم ، وقد اقلقوا في القرن التاسع عشر خطوات من سلفهم ، احد من بعدهم ، وسرعان ما الثورة الفرنسية التي ذهبوا نفس المذهب عند تقليدهم الاحكام ، لحظه في ان يطبقوا جميع الشرائع المعاصرة الحديثة على تقائيد الفتح القديمة ، ولا يحب في ذلك فان الذين وسعوا الخطط وسنوا التقائيد سرحوا من مبال واحد وانفق فكرة واحدة وشعورا مشتركا في الدواوس والسجلات واعمال الدولة ، وكانت جميع هؤلاء النواحي والبدلين يعتقدون عنقادا واحدا ان سعادته العالم مرابطة سعادته في سنة وان السعي للسيد العالمي يكون بتميز فرنسا في اوروبا ، ويزرون به من الحق الذي لا مبرر فيه ان تلحق فرنسا لاراس وهورس ، وهي بذلك ذات الاحقة وعدلا ، ولا تقب الادعاءات عند حق التحدث السابق بل تتجاوزوه ومتى بدأ الاتحاد في هذه الوحدة فان الفصاحة والبلاغة لا يفتسان عند حد ، والناشرعون بكشفون الغطاء عن الادعاءات حين يجدون نقصا بذلك ويتولون بالبراهين الشرعية لتأييد صحة مدعياتهم .

وإذا قيل تقايد رشيد و تقايد رشيد فليس كذلك بل مراد بذلك التقايد التي مر
براحت نسوي الفرنسيين إلى أسبني و آتت هذه في طبيعة و لا سياسة التحالف مع
أوربة بخلافه بيت النعمة التي كانت تعبر في كثير من الأحيان و كانت هذه المذاهب
قبل رشيد و ورثها الفرنسيون من ريشيه القويدي في مسائل لا مبرورية و تفاد
شارلكن في القرن السادس عشر و ستمائة مر رشيد في ردهم و استعان بالزنى
العام في هذا الزمان و لكن لم يدم ما صيربه و قبله و هو ان مرده في
وسط المنازعات الدينية و حب مدبر ان اتحاد سياسة حديثة بها و تقتصر على ما هو
و هذه النافع اما في قومه حتى ان تكون لها حرة و شوية و غير الدينية كريمة عامة
معتبرا و حديثا المرورة و ان لا يكون في حرة و ردهم و في ردهم و ردهم و ردهم
و هذه الزخمة و كان شديد الخوف على الافاق مع ريشانية العظمى و يقول ان
الحصانة و ما كان دائما مفيدة لمرسة و هي شبه جرس في مؤلفات

و كذلك في رشيد و التي بن حرة و حرة حسن القيادة و جعل العمل
الذي قام به في الخارج فتم من العمل العجيب حرة و حرة في اختيار ربح
بميد عن مشايخه و لكنه ربح حرة و في آثاره في سياسة الخارج و هو
الكرمال مرزان و هو غير موت رشيد و رشيد من السياسة عامة ان كان ربحها
لان لو ان التمس عشر فتم من ربح من كان و حرة من ربحه و وضع
على رأس المجلس مرزان الذي و من رشيد و يكون حرة له

وقد ربح رشيد و التي في بيروت و كان حرة في ربح من ربحه و كان
بومر هذه الكلمة التي حرة ان ربح لا و ربح ربحه و ربحه في ربحه و ربحه
فيه ان يكون هناك حرة و كان رشيد شديد الخوف و ربحه و ربحه
و حرة ما حرة و كان رشيد ربحه في ربحه في كل حال و ربحه و ربحه
من رجال الكيسة و من الأسر النبية و من «س خروبي» و ربحه و ربحه و ربحه

الذي اختاره ، وقد يتجنى عنه ، ولكن بعد أن طویل عندنا بعرف خطاه وبعزل
فرقة إلى القتال ، وأخرج إلى الاستيلاء ، وبعثني بعرضه .
ومما قل في وصيته من الفرنسيين :

إن حمة الفرنسيين وسرعة تقلبه لا يمكن . تعاد سائر الأديان منه رجل
بيده الأمر والذي ، فيه فتون على كل شيء . إذا كان الذين يقودونهم يستغيثون
ارشادهم إلى ما يقومون به من الأعمال ، وإذا وجد ذلك رفسا . جديري بالقيادة
فإنه لا يفقد رغبة الفاتحة ، وإنما في شائع في رجاء الغلبة ، والفرنسيين عاجزون
عن التمسك بالعداء ورفسته ، وليس لذلك سبب إلا العجز الزائد الذي
لا تحسب الحيل والوسائل الضرورية لغالب أبي يريدونها .

وكان كردمان الدولة الكبير يرشد الشعب الفرنسي في الخطط الكبرى التي
حلبها له ويضع له برامج الحائمه ويقود نفسه في البحار الدائبة ، على أنه كان
يقف معارضة غلبة في القصر وفي المدينة ، ولكن تلك كانت يؤيده كل التأيد
ويعرف له عظم خطره وحميل ثره ، ويجري القرن السابع عشر يرجع كله اليه وإلى
استايعه وحفظه ، وهو منفي ، السياسة الفرنسية الكبرى في أوروبا وفي حرج أوروبا .

٣ - رشيد ومزرائ

أبي رشيد ومزرائ في كردمان مزرائ هم عماد سلفه وحافظ عليه
لامته وورثه لجلاله ، وهو الرجل البارز في أعمال السفارات وسماعة المفاوضات ،
وكان طريفته مألوفة بالسياسة ، وانحسب يستعين بالمستشارين ، واجأ إلى
الكائد ، وكان يتم صنع ويصير خطابه لصغير حتى يفكر له ما هو عليه من عظم
الشأن ، وكان عليه أن يات في ثقة من أمه ملكه ، لانه ملك استولى عليه سب
المخد وحلال الأمر ، ولا فائدة من محاولة التمسك ، ولكن الذي لا يعمل على
الاستئثار بغيره ، وقد در معركه واستعارة وإبراز استايعه فارة لا يسبق لها
نظير ، وهو بعيد عن أن يكون رجل دولة مثل رشيد ، ولكنه في السياسة

على دقائيقها ، صرنا مدعورها ، ونناصرها ، ونعصاها ، ونناظرها ، وننقب عن مواضع
الضعف فيها ، ونعرفون بعضنا مقهور حبه لا يتولى بشؤون حبيب ، ولا يحضره بدون
مراقبة ، وهم في علمه خائف من الشائعات ، ولا حصة لهم بخبر دون إخطار جوده ،
وهم يحرصون على رجل السياسة من كان له محبة من جميع القبلات وفي
أرض البلاد ، وفي كل مكان سيون ، لأن ، يريد أن يستفيد من جميع الواهب
ويروم كل شيء ، وكنت في كل مكان له أفلام يوحى إليها وقد وجد الصحافة
الزمنية لأنه يروم قوة الزمير الممد ، وقوة الانحيازات السياسية التي تؤثر عليه ،
وهم يترجمونها ويضع يده على ما ، فيقولون كلاما ، وبه يروم ، وكان كثير الزمير
والكلام في السياسة ، ولكن ما رآه السياسي ما يمكن سد مسامحه ، والقول بأنه
كان صبيح ، وكما استند في الأعمال المعينة التي يقوم بها هو حق لأنه يتقن
صناعة رجل دولة ورجل سياسة ، وقد تم هذا المورد بالبراعات القومية وكان
رشدوا مستأدقها ، يعمل على أن تكون له قطع مائة الف ، ونهايت ، وقد كان
يدعو لامتياز سياسية إلى الامتيازات المثل والمثل في العلاقات الدولية ، ولم يكن
فكك عن الفاعلة حتى مع لدون أي تحاربه ، وعمل صانه مستعرة سبب أو غير
سبب في شأن جميع البلاد ، وقد حصل الفصل السادس من وصيته السياسية
مفاوضات مستمرة .

عند هذه السياسة التي تعرج ، يرانا في الحايث ، وبوسرها ، وجهاته يتخذ
مناهج التقييمية فاعلة السياسة ، كما حربة ، وسيلة تعبر السياسة الداخلية ، بعد
التي انفتحت مناهج من اقوة سرب ، صرحت داخلية في وثائق الدولة وحقوق
ميراث حطها مهمة ، وبحال سنة ١٩٤٦ ، في هذه بريس وسادوا إلى فرنسا وكان
الاستيلاء على المناهج ، حسب حوافه اليه ، وأثرها ، وكانت يرسي إلى آمال
بعمية توقع أن يروم بها عن فاعلة المموكة والامون الفاعلة بحيث لا يستطيع
أن يجد الماء من سيرة الحط منه ، فمن به ، ولكن حسب ، به ، ووجد طلائف

المقدّم أرادوه ، و وضعوا مبررات صفات شديده ، فلاموه على جورهم و تردده
و قوائمه ، و من سلكه عليه قولهم : ما اعلم ما غرق بين هذا العقل الراسخ و بين
اضطراب الكرد و رشليو ، و كان يحسن ان يفسر ما يضاف الى هذه المقاييس الخارجة
وفي المديح كما في المزمع ان يشبهه رقة او حصة ، اما الاواخر المديح كانوا اقل
ريبة من المعاصرين فقد اعجبوا بالكرد و بين على سوا الاعجاب باستحقاقه من ان يشترك
الذي ظهرت شواسته ، و عرفت مع الزمان بونه .

ولكن اليك اعلانية التي كانت تعني مريد السباسة الدورية هي التي تلعب
مزاران البذر في ان مزاران كما و منه حراوه ، يمكن ان ياتي ما يمنع لاجل القبول
الى فاته ، و كان تحاري الشهوات حاشا ، ويستخرج اسرار السكائد منها انهم
حكيما ، و يضاف الى هذه الزيادة صبره و عذوبة و لا يوجد و ر مثله انما انفس
و التزم ، فستطاع ان يهدي نورة الناقين منه و ان يريد في غنا الشايع له ، و
يكن سحره ان تجرح في كرامته و لا ان تحطم انفسه لاطمن فيه ، و لا ان تورع
المسرات الاذاع به ، و كان يعرف جيدا قيمة المصالحات فلا تدفع بها ، و كان يسي
تجارا و يشار باذرا ، و يمكن فسيلا و لا يسي راحه ، و دائم سكن فسيلا فسيلا
فيمكن شديدا فسيلا و قد كان رشليو في رعو و يجب و حرام الاضمار و لا يكتب بها انما
مزاران فقد كان يعمد على اجتهادها قبل و فوسها ، و كان يدر غير صغير و لكن انما
خطة و ياجا الى ان رأى انفس المختصر ، و لا من روات الشهوات و الاماني و الاندفعات
الشديدة التي لا تدل على بعد نظر ، و كان يفكر في المواقف في يازدها يمكن مزارا
من انفس حيازة لحوادث ، و قيل في الاساليب لانما هي في دور و في
جميع انفسه ، و يمكن السطحة الفيد و كانت كانت حفية على العصبية الظاهريه ،
بفقدان الشفة و يتهاك لاجرار النجاس ، و كان رومان اكبر نصير له حتى انه كان
يقول كثيرا : يا و ارمان ، و يجب ان يرد ذلك ، و يمكن ان يجمع كل ما يفتقر
سبيله كما كان يفعل مله رشليو ، بل يحتال على الامور باحسن الطرق و الوقت
الاساليب ، و يرى انه ليس عليه معاشة التباي ، و الاكثر ان يها ، و لكن الاهم

بالسابع والآخر لا بد كبره وقد فوس كليل من مشاهير رجال السياسة وتقلب
عليه الواحد بعد الآخر، يمدحونه في حاضر ما يزدونه، وانسكه من غير ان
يبدلون في الخفية عن شيء.

وبعد كل ما قيل من مزايا وفوائد التاريخ وصورته وقيل بقي وراثته
وقد سبسته وحاطه وسأله ورغب في غير ذلك خرس على الأسماء سي
وتابع بولس حقه، القليل لا يستقيم الكليل وجهه، صاب عيه فتوحيد دراسة
وإتقانه، وقد سجع لتأخر رسالته من غير أن يبعه وسأله وسأله، وإذا كان
دواءه من ما يلقى لا بد له من حيلة فقل كان عليه في درره حربه والسياسة،
وإذا كان فكره في شئ من سوء فهمه على قول صواب وحزمه وأهل علمه كان
أكثر صواباً وأصح منه، وهو لا يلقى أبداً كانه يقول له سوء أهله ومقراته
وعائلته فسيده وصاح لوطن.

وإذا كان مزيناً في جميع تقسيمه الأربعة فربما لو رجع إلى أربع عشر ألف
ألفه مع ذلك جميع أخباره، سعة في ربه ولا سيما ما يفتد من حكمة
وإنجكمه على سياسة وقومته من موصوفات لهدها، وما يجرها إلى
تلف تحديتها، جبرها ولا تتورث في التمهيد، وألفه بتأليف السيرة
التي سار على رشيد ومرد.

وكان فريق من علماء العرب قد تقدموا به فمدحوا به فقال أحد العرب في
استمارة الخاف في نفسه فمدح دراسة، فكانت سنة ١٦٥١ هـ شرح - برسته
ويقول: والي أن لا يكون عايز على أن يكون محروم من العلم والبركة، أبو الحسن
بن علي حارثي وقد قلى لأمر ربه، لا في موند أصالة، والسيرة إلى التمهيد
وتأليف القاموس لتأليف السيرة التي حرمه، حرمه فمدح على - في معاصره
والكتاب الذي من السيرة، وعلمه فلا يقف ما تعرض له من الزمان ومن القاموس
والتي ورواها، سياسة، يكونوا يريدون لا البطاولة والعدالة في الأهواص مع

فرنسة ومحاولة انتهاز الفرص التي كانت تشجعهم عليها فلائف بلادنا واضعار إلتها ،
و بحول دون موافقهم على اقامة سر عدل يتمتع الجميع بحسناته .

٤ . انضال فرنسا الامبرطورية المقدسة

وعندها في مؤتمر وستفاليا

كانت الطريقة التقليدية في سياسة فرنسا ترمي الى اسعاف الامبرطورية
وانضال القرعيين الالمانى والاسباني من بلادها ، وقد بلغت فرنسا ما تريد فاضال
البيت المالكي في العسنة ، ولكن لما تحدثت تدلات كبرى في السياسة ، ان تبدلت
الضلات واعلائق ، فصبحت فرنسا تعد في امانية اضرارا اكثر مما تعد حصوما ،
والامبرطورية التي كانت مهددة أصبحت مسالمة ، والعفة الكبرى التي كانت
تعرض سبيل فرنسا أصبحت اذنة طب ، وقد عطلت قوة فرنسا اكثر مما اسست
ارضها ، ولم تكن هذه القوة لتثير الخسد سوى عند بيت العسنة ، وكانها لم تكن
جبايلد الا تخبة حق كل ذي حق ، واصبحت السياسة الفرنسية الخارجية فتنة في
القاعدة التي اسست المملكة في داخلها ، هي : القصد في تحكيم القوة .

اما الحقائق التي كانت تتخذ قدما لسياسة والتي كانت مرتبطة ببعضها ببعض
بذاتهم دقيق ، فلما تكن عظيمة الا بقدر ما تنهت اضرارها فالاماني والسويدي
والهولندي والبولوني حتى التركي يجد كل قريب في الآخر بزيادة في دفعه ،
ومشرك ، ولكن عندما مهدد فرنسا كانوا يصرون بالانقلاب عليها ، ولذلك
تتجدد جميع المعري التي كانت مفعودة ، وما كان الالمانى يتردد في عداوة الفرنسي
بمناخه حرا ، من امانية ، ولا يتردد في الانقلاب على فرنسا لاسيما
مواطنيه وهو بصيانة ما بقي من المدة بسوع نفسه الاحتياط على احراره ، كانه
يشترى نصيبه من الثواب بما يبدله من المعونة لسلط فرنسا ضد تعصم القويحت سيده .

ولذلك افرطوا في محاولة في تطبيق سياسة رشليو فهددوا ذلك الى حيازة مبادلتها
فطنوا انهم بقمة دولة اخرى الى جانب بيت العسنة وتحرير السطة وتولية قدم

كثير من الامارات يفهمون سداً في وجه ذلك الباب ، على حين اهم في الحقيقة يفهمون غيره بمقامه ، بدلاً من عمارته وافصاء سبيله ، وقد كانت برشليو ياتر لاطنانية كي ينظر لامانية ، وقد كان يفكر بشاء محمد دول فيها ، فذاك الحيدانية الحرب العامة من الامم والامارات الدائمة التي يفهم بها الاسبان ، لالانشاء دول ايطالي يكون انتد حظراً على فرنسا ، وتعلم نحن النفوذ الاسباني الذي لا يمكن يطاق .

وكان لهذه السياسة الدائمة على اساس الثبوت والاتفاق غاية جوهرية هي هامة فرنسا وتكون وحدتها ، وما يكن هيري الرابع وورشليو ومزاران من علماء الادب ولا من الفلاسفة ، وما يكن يدمر في حدهم ان تحدهم سياسة الدولة الى عقيدة ولا الى قاعدة من القواعد الجديدة ، فقد دافع رشليو عن التروستمان في المانية لمعنى الرب الذي فانهم لاجله في فرنسا ، وذلك منهم كانوا يؤمنون دولة في قلب الدولة ، وكان يوافق سياسة الكريستال فيام فريش منهم ، وآراء الذين يقاومون بات التمسك وامداد امره بديه ، وهكذا كان هؤلاء السياسيون الكبار يسبقون على ادب لا ينام فيه ولكن خطط الى دعمونها اممات ويستعين بعضهم بعض ، وجميع هذه الخطط كانت تفسد عقريه لاهة ، ويصور ذلك الفرنسيين في محاولاتهم الخارجية مشاهرون جدا لا يمكنهم ان يخلو ، يحبون الحرب والتحد ولكن سرعان ما يتغير ، وما كانت حرب جديدة هيلا همهم يشند حينها ايها ، وقد قل نابليون مرة وهو في علباء غره ، يفقد جنودا ثريو حية وانفصت له : سنوا الخس كاه تجدهم يشوف في فرنسا ، والفرنسيون لا يعرفون الولي في المدهم عن وطنهم ، ولكنهم قد يصيغون نزع من اساءة ، وبذلك صرح به ، واد اخرج هذا الشعب من جنوده هو لا يكاد يعرف نفسه ، ورسو سماعته الحارقة لا يتطالع ان يسقط على الشعوب الفرنسية ، ولا تقار قدرته العظيمة الا في يوم يفسد ، وكان رشليو يفهم ذلك حقاً ويقول : ماد يكون لو ان الفرنسيين كانوا ضد مجراه ويقول : لو اصيحت هذه حلة الى سماعتهم لاسمع العامة لتوخطهم ، ولكن

في الاعمال الخارجیه حد لا یبقی تجاوزہ ، بہ کن التمرسیون انفسہم قدوس
عنی التبعدوہ ، ، ہذا ہو سر کونج الخاریقہ الثقیدہ انی توجہا موزون فی مؤخر
وستغالیہ (موسستہ - اوسستیرو -) و - س - فیہ سر - سہ (۱۶۴۸) .

وہذا حرکت فرسہ فی ہذا مؤخر ما یسہل لی تحقیقہ من مہام الامیر طوریہ
القدسۃ وانعام الامیر طوری ، وکات فیہ المرکۃ الاحیرۃ لانفساں بتوارث بین
فرسہ و بین الخائف الالہ - انی غسبور ی ، وایسج الامراء اولی حقوق فی
الامیر طوریہ و استقلال فی التعاقب مع معظمہ فی الخائف مع قبول الاحیرۃ
انفسہم بقائہم وانماہم ، بحی ثریحہ ان لا یسکون فی ہذا الحقود مہامیر بلینانی لندی
حقوقا علیہ الامہ منور ، ولہ بعد ذلک لاتفاق بسی عصبۃ الریح والذی اتفاد
فیہ امراء السانیۃ ومالک فرسہ شمسہ الضامۃ علی استقلال الامراء ومفاہدہ
اعتدالت السیۃ والساجدہ .

وحملۃ القول ان معاہدہ وستغالیہ قررت الفصل البانی بین الامیر طور و بین
اربع والدعوی - ہندس فی مقدسین خاممین (الامیر طوریہ وایابیویہ) ، وفیام شالاک
عطیہ فی اوربۃ ترجع الیہا جمیع الساعی السیاسیۃ و - سکرۃ فی ایر وایجر ،
وتعتمد علیہا الدول الثانیویہ وتعلق بہا غیبت تصحیح اقلۃ الدول وعموعا علیا تامۃ
تدثیر الخافات الخلفۃ ومتحوتۃ ممہا ، وکان الامیر نور جہتہ فی وسیع الانفس
بہ وسیع ای مالک او عہد ، والبعث فیہ من حیث الحقوق العامۃ لانیادی لالی
الحیۃ ، اما من حیث التاريخ والحیاسۃ فل فی معاہدہ وستغالیہ کان الفصل علی
اعمال الخیریت والتدیر الی عرفہا الامیر طوریہ عند اواخر القرون الوسطی ،
وحتی محل دولۃ عطیہ شیعۃ دول شئی ، کل واحدہا ممہا مخوفۃ تہیأ وغیرور
بنفسہا واستغالیہا ، متفادۃ فی سیاساتہم و - لاستیداد انی کانت الصفۃ الحیرۃ
فی ذلک الزمان .

أما المفاوضات في هذا المؤتمر فقد كانت عبثة صعبة ، بسبب الخلافات الكثيرة حول حق التدخل ، ودرجة المساواة والتأجيل لا يأخر رخص عسكري لأن المعارك من حيث مشتركة في جميع النواحي ، وكان قواد عرسة بحريون شيئاً مشيئاً انتصارات متتامة . وهذا ما حذر الأمر بطور على إلغاء الصلح ، وكانت فرنسا معادلة مياسرة ترمي في سياستها إلى محاسبة العناصر الكاثوليكية في الامبراطورية ، وكان امراء الألمان موافقين على منحها الشيء الوحيد الذي نطلبه وهو الأتراض ، وقد بدل ميزان كل ما نعلمه من رقة حتى سوى عتدب الشا كل وارضى غشفت الرغبات ، فجاءت بف السياسة ما أريدته كما بلغت في هذه المعاهدة .

ومؤتمر وسامدية هو أول مؤتمر كبير عقبه ملحق أوربي . بحث فيه شؤون عديدة لحاق بمعاهدة السلام وأصبح الملائق بين الدول ، وأقررت القواعد للتساوي وحل الخلافات المتقدم بين معنى الرؤوس المتوجة ومعنى الجمهوريات والندى الحرة . والدول الصغيرة . وتجمع كهذا ختمت بغير نفسه حددا في فية من الخطر ، وهو بعد بداية التسرع الدولي حدث ، على أنه لا يستتبع من تقوس صلح واستجابة مانطق والمغات التي أرادت فيه . ومع ذلك فقد كانت عقيدة الشك في محاسبة خالفة لراهمه وفيت العهد السياسي لأوروبا مدة قرن ونصف .

وبعد عشر سنين من هذا المؤتمر كان الفساق العرقات الذي عقد فيه لويس الرابع عشر على الاميرة الاسبانية ماري ثير ، بعد أن كانت على وشك أن تزوج بغير من سافوي ولفاء حروباً بمفاوضات وحزت مصادقات شفوية ، وبطرفي اثناء ذلك بانصاحيات المتوجة المتفاوضين ، وبإعتراف بالفرق والتساوي وامور الشرقيات وحقوق الممثلين السياسيين .

٥ . تبدل السياسة الفرنسية واضطرابها

محافة النمسة ومناذرة انكلترة

بعد لويس الرابع عشر الطريقة التقليدية ، وجمعت السياسة التي صار عليها فرنسا مكروهة في بين الدول مغاورة ، وصبهة في اوروبا كلها ، فحتاج خلفاؤه

[illegible]

وإن نجاح السياسة الفرنسية في تدابيرها المختلفة وحماقاتها المتعارضة ، فهي طورياً تكون آلة في يد الحكومة ، من جنودنا نحضر كندا ، يحتل فرنسا مدينة ، وهو حليف لا ثقة به ، ما يقال أن على عهد سنة ١٧٥٠ ، وانضم إلى الانكسار ، ثم انتهى بها الأمر فتدألت بين النمسا وتصبح أداة لسياسة . وقد طين في يدي ، الأمر أن هذا التحالف سياسة حكمية ولكنه نقاب إلى كراته ، طامعاً ، مع روسية على سيرة واستنوت ربحانية على الهدم . وادت سياسة لويس الخامس عشر إلى انتصار الكثرة تصدراً عظام بدلاً من الانكسار الذي كان الغاية الوحيدة لثلاث السياسة ، وقد حشرت فرنسا مكائلاً في أوروبا ، وبعد أن كانت ضمت إليها في الماضي جميع لدول اقلية من النمسا ، اضطرت إلى الاحتياط بينهم وبينها ، وفكرت بالنمسا الحيل على القارب تحمل ما تشاء ، ، صاغت ، نتيجة كل شيء ، لارميه ، هو ، ماري بر ، وشغل ، صفها على فردوس ، وفي آخر الأمر انقارب هؤلاء ، إلا أن المختلفون من غير أن تشرع فرنسا بالتفوق مع روسية على ثماني بولونية ، تقدم الامتداد ، لأمسية الفرنسية .

• ميشون الاسرة الذي عقد بين فرنسا وإسبانية في سنة ١٧٦١ كان العمل الوحيد الذائع الذي تم في هذه التكتلات والكوارث ، وإذا كانت الانقسام بين فرنسا والنمسا موضع انتقاد شديد في الدولة الأولى ، فإن ميشون الاسرة كان امراً متفقاً عليه ، وكما أنه كان يوحد بين الأسرتين فقد كان كذلك يقرب بين الدولتين ، ولم ينتقد هذا الاتفاق إلا في بعض الأمور التفصيلية ، وكانت بمد الشعب الإسباني حيالاً ، معروفاً ، فليل احذر ، شديد البغض الأجانب ، متفقاً على سنة عن سموت الحاضرة ، وهلات إسبانية لمس الرجال من افراد الأمة ، وهو كما قل متسكيو ، كبير الفئ في دولة كثيرة الفقر ، تعيش من مستعمراتها ، ونستقر بجزائرها ، فدمرها وتدمر نفسها باستثمارها ، وهي مع

ذلك تنفذ فيها حدود الرغبة في سخر د حيز فدرس وطمع بأمر احد حطارة
وهو احتلال الجزائر . وكانت هذه لأطراف توثق العربي بنسبا وبين فرنسا التي
كانت تستعين بالنسب السياسية المختلفة تريد في استئصالها وتعددها إلى حتمها في
مقالة الكثرة التي تنادي في ادراك المنصر ، ولكنها تخرج شديدة اليقظة والحدود
والترقب ، وكانت عذوة فرنسي القرن الثامن عشر انموذجة لانظمة اعطتها
ولاندوج حدودها ، وكان المعاهدات مع الكثرة لا مبررات ومخاضات ، ومقرب
البعضا كعنة ، . في الحق الذي ولدته المعبود ونسكاته حراحت الكرامة التي
توفد في صدور الفرنسيين حراسة الاشتم ، وكان حاضرون يشبهون الماشق بين
الكثرة ومروسة إلى ما كان بين رومة وبين فرنسا ، . كانت الكثرة داللة في
سهرها على ما يجري في تطور مروسة ومعاملها ودور سياساتها ، تعمل على سد كل
حركة ابديتها ومقاومة المسائل الموقفة والمجاهدات ابديتها .

وقد حاول لويس الخامس عشر بما بدله من جهود مشاوشة في سياسته المروسة
أن يصبح ما قدته سياسته اعلمية ، وكان ذلك الايجابية على مائع الفكر متعب ،
لكن فيه الاضطراب على الضعف ، ويصحي أن ما اوتيته نفس من القدر على
دراك الاشياء المعينة او على تخفيفها في سبيل العمل بصور مربت الذي تقوم
عليه اساليب تلك السياسة المأكرو ، . أصبحت مروسة في رأي جمهور الموظفين
في الشؤون الخارجية واهم رؤيا والكثرة كرامة دولة لاشك لها عند الشعوب
ولا قوة ولا مادة ، قد تحولت المسد لث في اوتيرة ، والساعت ورررها على ثقة ،
وبدلا من أن أهل كذا كانت في اساق من جهة الاموال المصيبة ، أصبحت كشاهد
ما يجري من الامور وهي حاله ساكية لامانها ولا بقدر وزن رأيها .

وكان الشعب شاعر بهذا الاحتياط ، شديد الخصب على الاساليب الجديدة
التي تقطع جميع التقاييد السياسية ، التي كانت تعمل منذ عصر توجيه الامكار
مقاومة بيت الخمسة ، وتعتبر ذلك من قواعد الدولة ومن الحقائق المعينة كمنسفه
الضيا والامول التي تروني ، وبعد أن اتصال لا عجب برشايع ومهادد ومناوئة ،

واسرمت ورفسة في محاففة النعمة والتعازير ودرجات الى جانب الكثرة ، اخذ شعور الشعب يتحول شيئاً فشيئاً ، واستيقظت في نفوس انائه تلك الذكريات الكبرى وحركت انجاسه ثقائيد الخصومة القديمة ، ولا سيما بعد ان بذل ما بذله من الضحايا وامرض ما تعرض له من الاخطار بغية الانتقام لما رى ترور ، حكما انعقدت به واسى الى مصالحه .

وهنا نلقى دراسة على ملك روسية لانه كان محبوبا فيها ، وكل اعجابها عظيم بصفتيه وفنوساته وحكوماته ، فانما حقد الذي كانت لغيره النعمة على العيشة التي كسبتها روسية ، والفرنسيون شجعون على معاملة الحب والتقدير للذين ينجحون في محاففة ، وهم يفضون حب مات في النعمة لانه يتحصن دم الامة ، وكانت المحافظة عدلة ونمى صحيحاً ، وقد من شعور القضاة بعد اقتسام بولونية ورعى الفرنسيون كلهم كانوا مدافعين للنعمة ، التي استثمرت في الحرب وحدهم في السلم ، وهم كانوا يقاتلون في سبيلها نفس الشدة التي كانوا يقاتلون بها ، وحاذروا هذا الخديم ، الكثير الظلم العليل الخارج ، ان يفرغ منهم احد احرائهم وان طمانه بالار من الدورس او غير ذلك فاعرت فيه ، ولا سيما ان ماري وز التي كانت مشهورة بنق وسدقة الخزوات وعدا القلاسة تمدحها بالقصر من صنائع النعمة ، فكانت في جعل على كرم الوأي العام للتحالف مع النعمة الذي كان معمولاً في نفسه ، وفي لامة التي بدت ان يسمي بها انصار الآر ، الحديثة وطيبين ، فقد جرت العادة ان يخرج في حرب النعمة جميع خصوم هذه الآراء .

غير ان المد ، لمهامة النعمة ما يكن يثير حماسة مريدي الفلاسفة والطبقة المثلية من الشعب بقدر ما كان يثير حشوية تلك واسرته ، فولي العهد على شدة تحسكه بالدين يحرم كل الخرس على ثقائيد السياسة القديمة ، ويحاذر ان تعود النعمة فتتغص بلاده من اطرافها ، كما جرى لها في الماضي ، وكذلك كان رثى رجل السياسة ورثى الموزاء الذين يفاخرون بعمرة الثقائيد ورثى دواوين

ورأى الخارجية التي تقاوم كذلك بلغة، صفة على الفوائد القديمة التي تعارض على النصارى القديمة.

وكانت هذه الجامعة عامة كباقيها ، وخصي ببيت حتى اياه الثورة ، وقد سافر
لها جرحه آراء الجمهوريين في هذا الشأن ونحو طهوه ، حتى ان كاترين الثانية
نقلت كتابا من حدودها الى الكنيسة التي كانت ملكية متساهلة ، انما كانت
المشروع الذي هو سنة ١٧٥٦ ، فتمت لامرقة - بيت الحاج حوت رأسها جميع
الاحقاد والراس في نواب في الجيوب من الصلابة والاربع ، وحدث الخواجات
الاحيرة فزادت في الاثر مشهور ، وحدثت فحجراتها الى فرانسة عربية في اعيان
المراسيم ، وحدثت بحرمه فتمسكها بشعاعها في كنف في حقيقة سمه به اجها
وبكى ان فاس عذب الالهو التي تارت على مرأى على وطنها التي باقية في فرنسا
والكنيسة التي حتمت في نواب ، وحدثت في نواب في كنف لا فاس في نواب
وهي في النوبة .

هذا مجلس المجلس السادس عشر في القرن الثالث عشر في فرنسا
في نظر دولة متناهي. وفيه كتاب الامور الخارجية. وفيه
الداخلية. وقد حوّل المجلس في بعض هذه الدورات
من قبله. وبعد في عهد الملك ادولف في السويد. وفي
برلين. وفيه في كل من الامور الخارجية. وفي
الداخلية. وفيه في كل من الامور الخارجية. وفي
الخمس. وفيه في كل من الامور الخارجية. وفي
التركي. وفيه في كل من الامور الخارجية. وفي
يستطيع ان لا يجد في السياسة الاوربية. وفي
كاما تصف بها الروح الطوح من كل جانب. وقد انه يراة وانقلب. وفي
بين انادي. وفيه في كل من الامور الخارجية. وفي
وعلى في عام من بينه في كل من الامور الخارجية. وفي

بسمعه كفته . ولا ريب في ان هذا العمل دقيق عسير ، فترافق وحاصبه الاخلاق والسياسي والذي هو في حقيقة ذلك عنوان كثير من مصيرهم من بعض ، واذا اضفنا الى ذلك قليلا من الظاهر والاحتفال ، والرغبة في المصاحبة التي كانت في دوق العصر ، وطولاً حقيقاً من الشنيع والتكافؤ ، وحداً لا يستطيع ان يعد فرحين في مقدمة امورنا الذي حكوا مرة منذ عهد طويل غزلاً وثراً ، وكان يريد ان يرد فرسة الى حجة مرادية ، بدلاً من شاعة السياسة التي قد اهدت نصف لويس الخامس عشر وسجل اورانه ، وقد نزع فرحين في مساعيه على حين ان تورسو مثل واحق ، لا ندر ان ارد ذلك الى طبيعة المصير ، والتي تعقد الشؤون الداخلية ، وسياسة الامور الخارجية في نسبة اليها ، ولكن يجب ان يكون شيء ان يرد الى ماقيه فرحين من شيد الشعب وثقة البلاد .

وكانت رثى نفسه في توفيق تورسو ، وكانت مصالح خاصة متضاربة عليه ، محبلة عليه ، كانت فرسة ، انماها توفيق على السير وراءه ، ولكن شيد تورسو والنسب دونه ، يتفرق في رثى سام وفكير عال ، اما تقدير فرحين وبعض سياسته في كفة اي ، من جهة الحكم ، وسلامة الرأي ، ومعرفة المصالح الفرنسية في اوربة ، وكانت لويس السادس موسوم بذلك ، ولكن عقله انه في تفرد يمكن ان تجعل تلك الامور المعقدة في السياسة الداخلية ، فحلى ما درسه ورد القيام بها ، على عائق كسار موصفي الدولة ، اما الشؤون الخارجية فقد كانت في ربه ، على عائق وطافته وسريه ، اذ هي شؤونها الخاصة التي انقطع اليها يداه ونومر عبرا عواء ، معرف تاريخ الاسرة التي ينتمي اليها وتاريخ الاسر المتراكمة في اوربة ، وهه شعرات بالدرس والاعتراف في الطالب ، ولكن بالمحادثات والروايات ، وبديق الخيرة التي كان يفصلا امير مات ، وقد رد معرفته ومعارفه في شؤون اوربة الى بعض مقترحات الاساسية التي كان عليه ، وكانت بضرب اليها عاطفة رفيعة من مكانة تلك وحفته وواجبه ، وشاعه هذه المشاة على نقي النصائح القيمة وبدي الآراء الحكيمة ، وزاد في حذره

[illegible]

كان هذا السقوط قريباً ، وقد بلغ القدر الذي فاق به عهد القديس بولس ، وما
روى في نصرة مريم في سكران لاهوتية في سرقسطة ، وكان على فرجين
التي كانت سياسية نوعاً لا رجحان فيه ، وقد تمكن له أن في الحكومة الداخلية التي كان
يعمل عنها ، وقد برهن في دراسة راجحة من رجليه ، استطاع أن يفهم الناس في
وسط الفتن والفتن ، في يؤمن بحسن النية ، وانسحب من خارج ، واستمدطها ،
فكانت وراء فرجين في سكرات في سكرات لاهوتية ، وقد استمدطها عندها إلى
السياسة الخارجية ، وشعاعه في سكرات لاهوتية ، وكانت لاهوتية ، وكانت
عسائرية ، تتوجب على الحكومة في سكرات لاهوتية ، في سكرات لاهوتية ، في سكرات
السياسة ، في سكرات لاهوتية ، في سكرات لاهوتية ، في سكرات لاهوتية ، في سكرات
وكان فرجين قبل أن يشهد ، في سكرات لاهوتية ، في سكرات لاهوتية ، في سكرات
وقضى هذا السقوط .

الفصل الثالث

تليران واهيستيا

٨ أوربة والثورة الفرنسية

إن المجدد الذي أصاب أوربة في عهد لويس السادس عشر لم يلمس
أعضائها إلا مدة قصيرة من الزمن ، وفيه ما يرحون يحشون ما تشتمل عليه من
الافتقار على الأمور الخطيرة ، وما يبرزها من غلظة قومية ، وما الوبق الذي
الآن لا يخاف في سمائها عند جلوس لويس السادس عشر الأخير الذي كانوا يظنون
مها الطنون ، ويمتقدون أنها مدبرة إلى الاستحالة ، وما في سربس انفراس عاجل ،
والكن سرحان ما كانت تحب آتت أعدائها الذين يعرضون بها الدوائر ، وبها لون
في تفكير عازم سمفرا وها هو الخلافا ، وبرو مها حنة تحال في حالها التراهية التي
كانت تهادي بها في عهد لويس الرابع عشر ، قد استأفقت نشاطها وغدت إليها الحياة
ورحمت سيرتها الأولى ، وكانوا يتصورون أنها تسير في سياستها على
القواعد الآتية :

- أولاً ، مناعة الحروب والتأهب لها ، وإحراز الفتوحات ، واتحاد الجميع
الاستعداد على الشجيرة والتسلح ،
- ثانياً ، التدخل بجميع الشؤون التي تقع في اليدين وفي الشرف ، والتحكم هنا
وهناك بالقوة أو بالعتنة ،
- ثالثاً ، التمسك بمصلحة الدولة ، وعدم الاكتراث في سبيلها بالمساهدات أو
بالتراطة المديية أو بالتقربة أو بنودة ،

والمعنى، تحرير بعض الدول لاجتباة حتى يشغل مضمونها بعض فتوحها الى
المنجزة والقيام بمدرسة الحروب.

وكل هذا القوم من غير فوسد ما تحقق به علاته خطوه حمة بحرية مدبرة متذممة
طوبان وبهكذا كانت نصف دريت، كبر مدرسة بويطن نفسه قادراً على التنبؤ منها
ويشبهها يا معي الحرف الذي يتبع هذه العنق وتخيض به انفس مبرهون بالسون .
اما انيات التي يعرفها في مدرسة في اورية فهي انيات انما على التفتيد .
وقد نهم مدرسة بومور لا يعرف من اني ما . وليس كما يتفقد عالمها حرمها على ان
تكون النجزة . مثل ان لا تملك الجومات وهو ان حدودها الحسا . على هذا
احد ان لا . اما العقل . لا يسكره . ولكن الامراط في الاطاع . وانما انات على
توسيع الحدود . بحيث تصبح مدرسة للمدة الوحيد في مربة لا كبر دولة حسب .
ود قدما مظاهرها في هذا الحد . وانعرف في القنوج . فان ذات كما يتقل كاهلها
ويبرز حسب . للمدول الاخرى . وانما سادوسا مرة تكند القنوج ان كيم سادوس
الامر بطوريت كانت يدان مداوها والقضاء عليها .

والسلة التي كانت سسسانا اختلف بين مدرسة واورية في يوم الثورة
ولا يعرف اورية . هي ان تراث مدرسة هذه مدرسة من السلطان والاحتفاظ به .
تكون للمدة الى معسكر محاط بندقية . والى انهاء الجمهورية في رؤساء الجيش
تصبح اورية مظهرة . مستعدة . وكانت تكبره يريد بعدد لانفاقات ان
استعيد باقرة ما حبرته القوة . فسطر مدرسة لاجل الخاب على هذه الخطا .
واسية حنفاء الكثرة . والقضاء . يجب ان يعرفه انيات مدرسة . وتعمل على
تجزيات جديدة . وتكون انيات الحروب تقدم عايرها لامية . والاضال
بين الدول التي الى احصاء ابري والى عداية فتح اشافي . الايسر من الرين .
فلا يعرف الذي يقود الى هذه النتائج يعرفه بجمال بهمة . وداسه صابنة
يستطيع الرسول الى عايرته . وهي . سبيرة . على مربة . فان سياسة بحاجة تكون

ساعة اضيق حاله ، وهذا ما ادركه الخضم الكبير الذي تقيته فرنسا ، وفيه
 تأبى قول : ولم يأت . وهذا ما ادركه ايضا مرنيج ان حل الحول القلب ، ويمكن
 الاثنين في الضال الذي ابتدأه الاول ، وفخر بأعماله الثاني الا هذا الدليل وهذه
 الحجة ، اما الفرنسيون المذهب المؤمزة والوفاء عظمة فقد طربوا الاحكام الكبيرة
 وساروا وراءها ، وفق عزائهم وسلاهم ان حكمة وجل السياسة فيهم درأت عنهم
 الاحطاس والنوائب التي حلت بهم والاهام التي استلمهم ، بعد ان سمي رجالهم
 الاكياس لشفتهم بها وحذرهم من عوقبها ، وقد كانت آرائهم العادلة متناسبة مع
 قوى الانبياء ، فبه بعد انني ، عشرين سنة من حرب لا انقطاع فيها ولا هوانا ،
 على فرنسا اعداؤها الشجعان والبرعوا منها فتوحها واستعموا اطارها واعزوا
 عالمها في فقر ذرها ، فبالت السلام الذي اكبرته عليه ولكن منهم في اوقيمه ،
 وسالحت اوروبا من غير ان نزل عن مرتبتها التاريخية ، واستمادت بحسب دليل
 مكائهم ، وسكنت الخطأ التي وسع سما وروافها الحكمة قبل الثورة .

وفي العالم التي ارسدت سنة ١٨١٥ م - ١٨١٥ م في الثامن عشر ووحى التاريخ ،
 الى مدوني فرنسا في مؤتمر بيرة تعدد هذه لحظة البديعة الأوروبية عن دي فرنس
 ونظراته : ان فرنسا تبيع من العظمة درجة لا تطعن اليها المدل الا عند سوادها
 فكرة الاعتدال والقصد ، هذه الفكرة التي برزاد فارس علمها بسبب طائفيته
 من فكرة العلم منها وهي فكرة الحق والعدل ، بفقرته بالرفع العام ، روح عرسوا ،
 هذه هي التقايد التي كان يجب ان تمتصها فرنسا ولكنها تجاوزتها مددك ،
 مصدرا الاصل وحديثها افرس وعجزها الشقرون ، هذا هو حفظ ويرة التصل
 تحظر فرنسا وتاريخها ، وما كانت الترخ يدعي لانها جودت متفاعلة ، فقد صيبت
 فرنسا في ذلك العهد بآزمة شديدة ، شاعرت فيها اوروبا بحجها وتقباتها .

٢ - السياسة الخارجية الجديدة

في شهر أيلول سنة ١٧٩٠ على رغبة حتى رئاسة مواءمته سياسته الخارجية، ولا سيما التحالف بين فرنسا والامم المتحدة التي تمثال حتى تنقذ منه الارض وقد اختلف اوروبا حينئذيات، واحد حصود حقاقة التقدم ومبادئها يعملون على ان يقيموا في الدولة طريقة سياسية جديدة، كان في مقدمة الداعين اليها رجلان متفانون في الشريعة اليوم، ولكنهما كانا متعادين في عصرهما: دككو وعقوبه. وكان كلاهما في مقام يمين على الاطلاق والمعروفة: لاون مؤرخ الملك، والتماني من مقدمي رجال السياسة العربية.

اما دككو فكان يرمي النظرات والآراء، وكان دائما اكثر منه سياسيا، ولكن مذكراته اي اثبتت في التاريخ تاريخ حرب السنين السبع، الثارت القوس على سالم سنة ١٧٦٣ الذين، وبتت الضيقة على النمسة وعلى التحالف معها الذي كان مصدر الثروة التي سالت الدولة، وكانت تفويض عجائبا بملك روسية ورجائيه دته وولائه، وقد حمل دككو في هذه المذكرات حملة شديدة على ماري تير وندد سطر كمد نحو فرنسا وسبهاها مع فردريك على ارضه من كوسه ونخفه.

وكان هذه الرسائل المتصلة بهر من فتنة المعاصرين، وفتح سياسة لويس الخامس عشر وتذكر نصيبها، وما اقيمت سنة ١٧٩٠ حتى كانت بالغة حدها من الشهرة فهايت سيرا الجمهور وشدها اسجانه، وهيا دكاو عا كثره ورواه الرأي العام، وفهم فيه برشود وهدائه.

وكان عقوبه قد بدأ عهد تعاضد السياسة، فخرج على اربعة اشك من احد وكان انعطاف حسانه وحسن سانه، وشدة ميله الى المدينة والرشوة، وتوارثه اسباب الثروة، كل ذلك كان سببا في اخراجه من الملك السياسي وافصائه عن ارباب الرعية، مفضل في الاعمال الصبابة المبهمة والحياء

البائسة ، وسافر في أرجاء الأرض هذه كثيرًا ماشيًا وحده ، وكان يصيب إلى معاربه العنيفة هذه كثير ، وبنياً فربحاً ، فوسغ على أفكاره من الصنيع الاقتصادي ما يوافي رغبات أهل زمانه ويؤايد ميولهم ، وكانت اهتمامات الفنية والفراغ التي تؤيد مذهبه تستميل النفوس وتجذبها إلى الفكرة ، وكان شديد الوطنية ، شديد الحب لبلاده حريص على عظمتها ، يذكر عند الخلق ما طالع من التي توجه إليها ويستولي عليه أعمس .

وحده القول في مذهبه كان : جعل الفرد ، ولساناً نهضاً ، وهو في ذات مفكر بعيد الأمور وسبع حول الحزن من الحفظ كثير التدبير تحت الأساليب ، وينزع الخلق ، مثل بومون حريص ، وسافر في شدة ، وهو السياسة يروج بين النيل إلى الحق ، وبين الواقع بلا مبالاة ، وهو من رؤساء تلك الطبقة الفاتمة من السياسيين التي ظهرت في تلك الثورة ، وشاركت في اشتداد وطرد التقدم ، ان تشر في الثورة ، وأسست جميع الطرق المثوبة ، ونهج حريص .

وكانت خطة مذهبه ترجع إلى مقترح جوهرى وهو الصفات الكفارة ، فقد كانت الفكرة الكبرى في سبيل الساع مرسى ، وهو سقاطها في المستعمرات وفي البحار ، بل في مربة نفسها ، ويجب تخميرها في جزرها ، وهذا من أصابل وربة ، وهنك فرة تحشى الاقويذ الماسة لانكارة ، فحينئذ لن تبدأ بالقضاء ، بل ، وان تخالف ، ووسيلة التحقيق انما ، وهذا هو سر الحيلة الجديدة ان النقص القديمة والكثرة تحمل نفس حيواتها ، فمضى في الامور شرده يلقى على حمل الدولة وجهه وحاشا لرجل وخبروات ، سياسة ، وكان قوية مفعلة لمخافة الماسة لانها مقابلة كفاية السياسة الفرنسية في الشمل وفي الشرق ، ونهجية بحداه ، والاصار الغنى في سبيل صنع الماسة ، وان كان حتى - في ذلك ، فقد من سالا بعيداً ، كان له من مصر روسية من روسية ، والاتفاق مع السويد وموازرة فرنسا ، ونهج عن بولوسية ، وحماية الدول الصغرى في ألمانيا والمحافظة

على التوازن بينها ، ومعنى ذلك تكليف روسية مكثف له لويس الخامس عشر
التمسة ، وهو الانقضاء عن الفناء ، والافتقار بالمرء ، والدخول بسياسة
غريبة ومذاهب متنافسة .

وكان هذا التناقض من طبيعة رومن ، ووجهه لو حيد ثورة الأهواء ، والتفتة
بالثقافة ، وقد كانت رندبورغ أداة سياسة رشليو ، وكان ملك روسية من
الغاشقة ، وكفى انصارا لليمين ناصر الثورة ، وكان الخروسيون الثيرون يضرون
حقا شديدا على الحق ، وهو ابدى في فرنسا ، وكانت روسية حليفة طبيعية ،
والممر بها تمر فرنسا ، ولكنه لم يكن قد تم بين فرنسا والسياسة وقواعد
العالمية ، على ان رجلا سيدي انما عكري ، صاحب اذهنه وفي انحاء اني ، واقفا انعت
الزمان وقوة الدول ، وخاصة حسب عيقرات الذين يقودونها .

وقد تميزت قواعد السياسة الجديدة في ايام الثورة ، واصبحت مرتعا عربيا
من الدعوة الى السلم والحق على الحرب ، ومن الشعور الانساني والحنس للامم .
حتى ان انشاء على رشليو كان يقصد ان يصف انما حال حقيقي من الكائنات الطبيعية المستمرة
المتدفقة على السيل المتدفق مضيي ، يستند من انفسه في حجاب مبهمة ، كانت الثورة ، كانه
لا بد ان يقاتل من الانوار والحق ، ولا بد ان يقاتل الخمر ، من الخلق وحذر الانسداد ،
فرومة كانت الحاجة الى فرنسا ، ومع ذلك فكان على فرنسا ان تستمر ، وان
تتوت ، وكان انفس شديدا لا تكفيرة ، وهي تحارب تثار هذه الاقوال : فكيف
تسبحوا ، ومفران ، فاسأله اخصر ، وهذه ساعة عدل ، انفسه لا تنفد ، قد
سنت اورية اعلمين ، وسرعت حقوقها ، فكيف كان تكلم رشليو الذي يحب
ان يحميه المواطنين لانه كان هناك للدم ، والذي يحمل السيف لجميع اعدائه
حتى يسأل ميشال ، غير ان لامة ولدولة ينبغي ان تكونا دكرانه كورير ، لانه
اول من سمع فرنسا كلمة العسكرية ، وحقا في اورية انقام الذي يليق بها .
وبرغم النقص الذي كان يشتمل عليه اعقوبيون فقد كانوا يسمون اطرا لويس
الرابع عشر الذي منعنا في هذه ارضين منه ان يكون جديرا معه ، وكان كبيرا

حتى فيما ارتكبه من الخطيئات . و قد انحط في سقوط وفي اسكنة لاهو ولاشعبه .
 وكاف فرنسا قد نعتت عن الفتوحات حرة ، وحفظت اعلم على السلام والوثام
 والعدل في نورها انه اذا كان احدا قد عرف بين الشعوب فان الحرية ستجمع تحتها
 ومدد بحمد بعضها بعضا عليه اد تحتها السعادة . وحلت نادى مثل هذه الآراء
 حتى ظن فريق من هذه الشعب الحرب انها ستبين على تحقيق هذه الاعاني . غير انه
 حدث ما هو اكبر من ان يلقى طبيعة الاشياء وعلى اقواء الامثال ، فحدثت بعض
 الحروب للتورة وبذلك الحرب مذهب من الارسي الفرنسية ، والتمسرت في
 البلاد المجاورة ، والبلاد التي تحتها ورثة تجردها اختلاف بها نفسها ، وبما
 يبقى لدى ملك اورية لاغوى حكومتهم التي نورتها ، فقلب عليهم شمس كانت
 يقال اولا في سبيل استقلاله ثم في سبيل مفاخره ، وبما تقدم لاقبال شعوب اورية
 انقلاب الامر وتبدل . واستحدثت سياسة لا تعتمد الا على وسائل الدولة ، والحرب
 اورية سلاحها ، وقد وقعت في هذا التناقض ، فبعد ان طالت الحرب على ملك
 واعانت الدول والشعوب ، فاقبلت على الهك وبذلك الشعوب فقدت الثورة الفرنسية
 قوايدها لتعامل اورية القديمة . وتدارك اورية القديمة عن قوايدها لتعامل
 الثورة الفرنسية .

والناطق وحده بس من شأن السياسيين الذين يتكلمون بحسب معذجة الدولة
 ولا من شأن الشعوب التي يتكلموا بحسب الخوى والمصلحة ، ولكن ثمة شعوب كما للشعوب
 اقايد نسائي في فهمها تاريخها لانها تمشي مع التاريخ من بنة واحدة وتسير نفس
 المجري ، وتأثيرهم وطريقهم حري للنفوس ، وفي الارضات الشديدة التي لأحد الرجال
 على حين غرة ، لا يجدون مناسا من حضون السلطان الغوايد البتمة والاشياء المألوفة
 والاهواء المسيطرة عليهم او في ختمهم . شمسوا واماموا وعرفوا ام حركوا
 وادعوا ام لم يدعوا .

وفي سفوان الثورة الفرنسية التي تتكون خطبة شيرمات فيها بصر البلجيكي وايد سياسة الحدود الطبيعية بقوله : ان الطبيعة عين حدود وهي من جهات الارض : من المحيط ، الشرق ، الغرب ، الجنوب ، البحر الابيض والاربع ان شئت قواعد جمهوريتنا وسلفاننا . وكان من هذه الخطبة ومن القرارات التي اتخذتها ان كتب تاريخ فرنسا كله الى سنة ١٨١٥ . ويشد الاتصال الطبيعي اوروبا وحدها مع انكلترا لاجل تحقيق أمن فرنسا التي تورطت فيها منذ احببت .

٣ مشكلة الحدود والسياسة في أيام الثورة

من كان شأن المطامع قاضي لا دام السياسة ، و حدود هي الغاية الحقيقية . وقد كادت فرنسا سنة ١٧٨٩ ان تزل الحدود التي تنتميها . وقد انشأت الاكاديمية ، وبعد حدث في عقد محامات ، ونصرا وحصل غمرات الحرب والسلم في الاربعاء الشجي ، و كان الذي سمي ان السياسة كانت الحدود نفسها الى حالة الدول التي تحاورها ، وقد كان موقف فرنسا في هذه الساحة متصل من غيرها : دولة متحاربة قوية في اوروبا ، و الى جانبها دول محدودة ضعيفة ، وكانت فرنسا في الامبراطورية المتقدمة على غيرها وهي هيكل عدم لامست فيه ولا نفس ورجو ان تأسس ايمان وصلاح ، وكانت الهندسة اوروبية تقبل في وحدتي مديون لا حرجي ، وصدها عن قصدها وحر من مساعدها وحفظها ، وكانت فرنسا تستطيع ان تسود الدول الصغرى المحرط ان لا غير سلبها ، وكانت الخطبة السرم متعادلة ، وهي تستطيع سياسة محكمة ان تضارب ذات يوم سلطة الهندسة ، وكانت السياسة مرتبطة بفرنسا بوثق معاصرة ، وفي سنة ثمان مائة بعدد مثله بين دولتين ، وكانت سويسرة محايدة حرة وحملا .

وفي مثل هذه الشر وظ كان بنسائل السياسيون اذا كان من الرائي ان يوضع في خطط المستقبل ، مع توسيع الدولة السرم وتكبير مساحتها ، وقد اتضح انه

أثبت في أوربة دولة قد بلغت من القوة مبلغاً يستطیع أن تقوم معه فتوحات بدون
شركاء ، وقد قام العرمان على ذلك في يوليانية وعویریهان - صنع ، ولكن هؤلاء
الشركاء لا يكونون إلا من أحساب القضاة الذين تقع بهم الخصومة ، ويستند
التنافس ، والربح لا يزال إلا على حساب الضعفاء الذين تضحي بهم في سبيل
الأغوياء . وإذا كان الأمر كذلك لا يمكن حينئذ دراسة باقي المملكة الكهنيين
الدول الأوروبية المترفة من أن تتفاهم مع الدول المتساوية حكم ووربة ونورعها
بين عدة سلطات عظيمة ، ولا تكون أيضاً حدود غير ثابتة في اتحادات عدة قائمة
كما هي أفضل لحاجة الدولة من حدود تأسيس بطريقة جديدة ، ولكن تكون ورآها
تماماً منطمة لسطح الخطير ، مستعدة قتال في سنة في كل يوم .

هذه أهم مشكلة سنسها دراسة ، وهـ تكون ، جديدة عندها ، في عهد لويس
الرابع عشر كان كبار قوته انتم به لا يرون أن واحد من حرب الاستتباع الحراره
في السرد ، والفتوحات التي لا حزم فيها ولا صيرة تعز على صاحبها خوف ، وبطلة
كانها سلاح بيد العدو ، فله فائدة إلا من الاستباح القوة ، وليس المنفعة التي
تصلح للدفع عن الدولة ، وهذه هي السياسة الحكيمه ، والحدود الثابتة المستحقة
وقد أصبحت الحاجة تفس إلى تحديد الأمن ، لأن الحرب الذي أت إليه الدول
حمل نموها وانماها بعد مالا وحسب مرافق ، والثابتة لم حذبة ، تعدد أنواع لها
الخطرات العظيمة ، والحالات الخطيرة ، وقد أتت من الفتوحات ، وبكفي
أفراصة مالدتها من فتوحات وما ناته من مملكة ، وآل تقريريين أن يشعرو
بحكم منطهم كثير الحراره ، والدول فرصة من سياسة الفتوحات تحمل غيرها
على العدول عنها ويكون تحردا سرب عظميا ، فيجمع خوف الدول المنافسة
التي تمنع محاربتها ، والتي تبقى محافظة على محاربتها ما وقعت في مصالحها ، وتصبح
بذلك رئاسة تحالف دعوى قوي يصد جميع الجامعين ، ويجعل دراسة إلى نصف
الأول ويعينها على البقاء فيه ، ويجعلها حكم السلام المديمار ، والعائق لتوازن
الذي يكون كل الخلل فيه مصراً على مصالحها وكانت الحكمة تنصح بهذه الخطة .

والمدن يؤيدها والمصالح الحقيقية لأحزابها وتكون دراسة بدلية مدعاة على خير نفسها
ومؤيدها ليدانها ، وكان يرى متسكياً أن هناك علاقة ضرورية بين عظمة
الدول ووضعها ، وه تحمل الحقيقة الحدود بالأنهار والجبال ، ولكن حفظها بإخلاق
السكان وحسن تدبير مصالحهم ، وقد أوتيت فرنسا من الخط أن انداسها كان
متناساً مع سلطتها وتبعية أبنائها ، ويجب أن يكون لدى الملوك من الحكمة
ما يستعملون به على توسيع سلطتهم ، وإن يكون لديهم من الحذر حالاً بقدر
سنة ذلك حتى يحفظهم ، وإن كان ينبغي دفع الحدود التي تشتمل من الضعف فكذلك
ينبغي أن لا تفقد الحدود التي تشتمل من القوة .

وبما جرت عليه سنة الثاني لا يعمل فرنسا على التحول له عن سيادته ، وعلى أن
تأخذ جيرانها نصيبها من أمن البلاد بالحفظة ، أرسل إليه دو فرجن كتاباً يقول
فيه : لا ضرر يحدث فرنسا من ممر هذه الخطوة ، وخاصة بتأثيرها الرأسي
التي هي أعضائه ، وإن أصبح أوروبا لا تخشى إلا لارادته - مثل هذه الطريقة
من الاقتصاد والتمتع من مصلحة جميع أفرادها - وأصبح الدولة بموافقة مسرعة
للعن والاعتماد . . . أن دراسة في الوضع الذي هي فيه تحت أنت تحاور التوسع
لا أن تطعم به ، في اتساع الملكية الرأسي طرماً ما يشغل كاهل الدولة بالأعباء
ويضعف من كبرها ، على حين أن لديها جميع العناصر التي تؤلف سلطة
حقيقية : أرض خصبة ، وحيرات كثيرة لا تنفد منها سائر الشعوب ، ووفرة
وتجاسة طبيعة شديدة الخرس على ما يرفع ، يرها ووضعها ، وفرنسة في وسط
أوروبا بحيث لها أن تؤثر في جميع الشؤون الكبرى ، وملكها كفاً من سام يتخذ
عرشه أصيانه حقوق العرب ومحبة لها الكرم ، وإن كان ذلك لا يمكن العمل بعد
ونشط لا عدة الضمان إلى نصائه في داخل بلاده ، وتوقع في سياستها خطة تعمل
بالرأى الذي يدعو إلى السير في سبيل الأمن والعقلانية وأعدل ، وهو لا يظن إلى
التمارات ولا تعطوى حوله على الأضرع ، حيث يكون مثلاً بلغ أثر أمن سلاحها
وحيث يموذ الحق والسلام أوروبا كلها ، فتنبه في راجعها المدنية والاقتصادية
لحذا العمل المفيد ، وتتمتع منها بالثمة على يد جاراتها وحكمتها وأتباعها وفضيلاتها ،

ولم يسبق للسياسة ان تكلمت بكلام في هذه الفترة من السمو والنبال، ولاحت
 بمثل هذه المقترحات الشريفة لدى سلطان، وهذا فصل يعين به عهد الانتقال من
 الحق القديم، الذي كان سائرا في سبيل الاستحسان، وتفرقة الى عهد
 الجديد الذي يراد نشاؤه، وانشاء علم جديد فيه، وبكافى لمعرفة مقدار التمدل
 الذي حدث مقارنة العوامل التي كانت في الماضي نفوذ دول الشمال في معاوضتها
 المتماثلة ببولونية والعوامل التي قدت دورا من الى مثل هذه المقترحات، وكذلك
 المقارنة بينها وبين الامم التي تذكرها دراسة غفران، التي تترك في محاذها امة،
 وقد انقضى العهد الذي يمر باستيثاق فردريك وكارس وحملنا رسلو، ووجدت
 المناظرات السياسية بقوة على البحث في مصلحة الجميع التي فيها مصلحة كل فريق ومات
 التمس الى استبداد المكرة القائمة على مصلحة الدولة، ووجدت الاختلافات
 الاخلاقية المحضة تصحح من الخفايا الفاسية التي قررناها السياسة القديمة، ووجدت في
 السياسة شيء من مبادي، روح القوانين، ودور من الذي قدسنا من كتابه
 القواعد الزقيمة التي استلها ذكرها كتب ايضا في مقبول عهد لويس السادس
 عشر يقول: لا بد ان لا تخامر الملك الفاني حزب، وحب من حله، وانكس الملك
 المواطن برصيه ان يكون في ايام ملكه ظروف ثلاثة تنميد آرائه السياسية الفاسية،
 وكذلك كانت قواعد السياسة الخارجية سنة ١٧٨٩، وقد انكس الجمعية
 التأسيسية حطة غيرها.

وقد اتى مبراو، وتبران هذه مبادي، وشا في احوالها، وكانت اقعد
 الى صميم فلههم عندها احدا مكانها من الجمعية، وقد يكن يد من السلام الخارجي
 نتيجة في الاصلاحات الكبرى، وكان يعتقد مبراو ان فرصة لا يقد معين قوتها،
 وادارك لها الامر هنا - نعيد رونقها ومهاها، والقوة الداخلية هي ركن
 السياسة الخارجية، ستبقى شؤون دراسة سيدة مدام وزير الخارجية بها الدور
 الاول، وكان يرى كل تجربة حارة ففحة مؤدية، وبمثير روسية بالغة من القوة
 جدا يجعل من نقص الرأي ان تم فتنهم وتوسع، ويجب الاحتفاظ بالانية كمنهم

اسماني في الثوارن الذي جعل السيادة فرنسا ، وكان يميل الى محاكاة انكلترا بالرغم من جميع الاوهام التي كانت عالية ، فن في اتباع التسعين اوضاعاً متشابهة ما يجعل لها نفس المصلحة في الدفع عنها ، والمعاهدات التجارية تؤلف بين مصالحها والتنازع يذهب بجهودها ، وتحرير المستعمرات الاسبانية نتيجة تحرير المستعمرات الانكليزية وكلاهما يعود على تجارة فرنسا وانكلترا بالفوائد الجزيلة ويفتح لها المنافع العظيمة فبدأت راجحها في العلم الجديد وبمقاصد خيراته والنفوذ فيه . وكان ثوران بونابرت في حطته بهذه الآراء ، وقد استنكر نظامه بولونية ، ولكن اوده هذا النظام ، وانما سبيله ، وعنده ان فرنسا يجب عليها ان تعدل بعد الآن عن خططها القديمة في التسلط والسيادة ، ان لا تجتمع وسائل الفنى الحقيقية عن طريق الاعارة على ما تفكره الآخرون ولكن عن طريق الاستمرار بملكها ، وما عند فرنسا بحريتها لا اشياء عظمتها ، وما اذا راد على ذلك ان يكون بدون حطه عليها وعلى السمر في اوروبا وهذه المناهج الحكيمة تقوم عليها اساس السياسة التي يسميها رجل البراعة والرأي الذي سيصبح في سنة ١٧٩٥ وزير خارجية الجمهورية ومفاوضا السكافي السيد الوفاق .

وكانت فرنسا تستطيع ان تؤسس السمر الذي كانت تنفرد اليه على قاعدة احترام الحقوق ، وان توافق بين مصالحها الدائمة في اوروبا وبين مآثر دعوائه من مبادئ الحق العظماء الجديد ، ومن المذهب المأدبة ان الرأي الحق في تقييده مع التجارب ، وان ما كانت توحى به في العهد القديمه اسباب انفسه الحقيقية والمبصر والتفكير كان العقل السليم كذلك يوحى به الى المنتمين رواد الحقائق . واول مبدأ من مبادئه الذي هو سيادة الامة كان من مسمحاته ان تقرر الشعوب مصيرها وتصرف شؤونها ، وادان طبق هذا المبدأ الذي هو من قواعد حقوق الدول سنة ١٧٨٩ فانه تحول دون جور الفتح واسائه ، ولكن كما تبدل الظلمات فان القواعد الحكيمة وسنن العرف والمادة لا تكون هيئات مطلقة ، والدول

الكبرى الحاجة في سياستها الى قواعد بسيطة وعبود ثابتة ، وحق في ما نشر في ١٧٨٩ ان يتخذ من مقترحات فرجن اوامر رسمية وان يحملوا القترح ملقاة في قواعد البلاد الاساسية .

ولكن السياسة المتبعة كانت منافسة لما كان النافذة ، فلا فرنسا ولا اوروبا لم تكونا ، وحين هذا الاصطناع الجوهري في الاحلاف السياسية ، وقد اثر روح الدعوة في الثورة ، و استمر روح الفتح بحكم دورته وبعث ذلك حرب ضروس فالتفت وشبه الفرنسيين استقلال الاربع ، وفتح مقسمات ودية الياس الفتح الجمهورية وحسبها لها حواسنها ، وولدت صبح البر ممكنا سنة ١٨٠٥ لم يكن قد بقي احد من مؤيدي سنة ١٧٨٩ ، و استمر كل اثر من آثارهم ، و خلا السكان من اولئك المتأثرين المفرنسين ، الجمهوريين بالصلاح والخدمة من احواء فرسان القانون ، الذين كانوا يفتخرون على البر و سياسة رشاش ، و منهم من باعوا الفوائد التي كانت تحيط به ، استاءوا في خدمته ، فمباشرون الشعب لتعجده وندمونه الى الحرب ، و شيدون على شرفه انه المظلة التي ردهه بها صمعه ، وكذلك يعتمد شارحو حقوقي الامة في كتاباتهم على مؤلفات ابي وسمت في حقوق الملك ، وكذلك تعاليم سياسة البر واولئك من سياسة الفتح و لا كذا .

و قد سارت الثورة على مراح لواس رابع شمر في كثير من خططها السياسية ، كانت وابنه على وفق من حركتها ماسة ، و على خلاف من حيث الوسيلة ، فهو مثلا كانت له سياسة في اسبابية ربه ، و اعتبر ما كان ينام به العبد اغد من اوضاع و بنات ملكية و استبدادية ، و هي في المارة لوجودها فيها تصرح برسمها في خدمة سيادة و لاساسية ، و لكن الفرنسيين عندما اجعلوا هذه الاربع ، استاءوا مشرقي بعنايتهم التي وردها من اعداء الختم ، و يفتخرون لاسمال ككشمت عن تحكوه عليهم ان يكون في المرحلة الثانية ، و حاشية الملك ضعيفة جوارفة تساع و تشرى ، و عمل سياسي برز حبات الشعب و شهادته به ، و استاءوا سياستهم على ما يريدون من غير انهم يفتخرون من حضوره ، و لكن هذه التقديرات التي .

تميّزاً بالانحياز الجوهري وهو حائز الأسباب حدثت مختلف أوضاع الثورة واضطرابها ، وقادت نابليون إلى اعظام الكوارث ، وطويت فيها الخطط التي حلقها العهد القديم للثورة .

وهؤلاء الأسباب الذي لا يبق لهم يومئذ في أوربية شأن إلا في الإبحاث الفلسفية ، وفي الامثلة المأخوذة لا لمخططات الموت ، عندما وطئت الاحزاب بسنابك خيله ووجدوا الفقه في حطار ثورة تحول عليهم سائرهم وتسلطت احلافهم وعادتهم ، استيقظوا فجأة ، ودمعتهم حماسة الشعب المتاحجة في مدبرهم وشعور الوطنية المتقدة في معبرهم ، فرأى ذلك رجال السياسة في أوربية ، وتحففت كفة رسلهم التي قلما عن الأسباب : اسلم بفوقون الفرنسيين في الثبات والعزم والغيرة والامانة وحب ملكهم ووطنهم ، ووجدوا نابليون كما كانوا منذ حاربوا العرب تلك الحرب الفروس .

وقد انتفض الأسباب على الفرنسيين المنعزلين ، والتفالقوا إلى طائفتين اصغفهم كانت لهم معين قوة ، وانقلبت إلى معاديل يستمدون منها المأس والشدة ، وتوقد في نفوسهم نيران الحق المائل الذي كان يذمر على الفرنسيين ، فسكان يؤسسون بحملهم غير شاعرين بالآلام الحرب ، وتعصدهم الذي يستثيرهم على منكرى الدين واعداً ، فشعور الخسارة الدينية ، وما وراءها آباء القرون الوسطى من صفات الايمان والانفة بهذه القوة التي تختار مع دوائى الشرف الرفيع ، وحب الانتقام الذي يتجدد بروح انتصحية ، تحمليه جنوداً عظاماً ومقاتلين أشداء على المنعزلين ، وكل ما كان يقصده في القرن الثامن عشر من الحضارة الامورية ، ويطلق ابوابه دونها ، ويبقيهم في سبائهم الطويل كان يعين على حملهم متبعين في جبالهم لاتصل اليه الايدي ، وذلك عندما وجدوا كرامتهم التي اعدهم عن العالم مبانة ، واستقلالهم الوطني ، الذي ليس لديهم ما يستويهم غيره مهدداً ، والثورة الفرنسية حتى في افضل احوالها لم تكن الا مؤذبة في اعراضها عليهم ، تبعهم على اليأس

والاستبسال في الذود عن حماهم ، وبقيت اسبانية الحاجر الذي وقفت عنده دعوة الثورة ، ونا اراد نابليون ارادته تكسر عليه سيمه ، فوجدت فتوح الامبرطور في طريقها نفس العقبات التي وجدتها رسالة الثورة وهي عواطف الوطنية المتأججة ، ويقال مثل ذلك عن اجزاء اوربية اخرى ، ونخص بالذكر هولاندة التي كانت فرنسة تحميها تبعديت النسة من حب الاسكوت وارين وتضعف النفوذ الانكليزي في البلاد المنخفضة ، وبعد ان استعانت هولاندة بفرنسة وشدت ازرها بها ، قاومتها مقاومة شديدة لانها ارادت ان تستعدها بعد ان اعانها على تحريرها ، فقام مقام الصداقة والنود الحقد والعنفية ، والهولنديون لم يفكوا رفاقهم من ريفة الاسبان حتى ينجحوا ريفة الفرنسيين ، وكانوا يمزون الى حب الغزو جميع الادعاءات الفرنسية التي لا تتفق مع مصالحهم كما ان الفرنسيين كانوا يرون من دلائل انكران كل مقاومة لادعائهم ، وقد كان في طافة فرنسة ان تصالح الهولنديين لوانها اثاروا اهتمامهم بخططها وحملتهم بحون الفائدة منها ، ويطلبون الى عواقبها وتأثيرها ، ولكن هذه الاساليب تستلزم تنازلاً واعتدالاً ليس في دوق سياستهم .

ويظهر ان الجهود العظيمة التي بذلها الهولنديون قد استنفدت قواهم واضعفت عزائمهم ، فانهم بعد ان قاتلوا بكل صبر وتضامن في سبيل حريتهم ، ظنوا انها اصبحت في مأمن الى الابد ، ويبدووا يفكرون الا بالذين بقوا آثار هذه الحروب الطويلة ، وكان حب الوطن يحملهم على ان يضجوا بحارهم في سبيل استقلالهم فاصبحوا يضجون استقلالهم شيئاً فشيئاً في سبيل بحارهم ، ولما صمد عليهم دورانج على عرش انكلترة ، اصبحت دولتهم في اول الامر تترك هذه الحليفة ، ثم دارت تامة ، ولكنها بقيت منافسة لها في الحكم وفي المستعمرات ، فكانت في القرن الثامن عشر تفيض على و بحارة ورجال ، ولكنها تنقبض في سلطاتها وفي كرامتها ، وكانت الدول الاوربية تعاملها كما تعامل المعاهد الصارفة في حجبهم اليهم ، يحلونهم قبل المقدور يهونونهم بعده ، وكانوا يرون ان هولاندة بلاد بحارة ، ويجب ان تستفي ونحوي

وتفسد وتخضع ، وقد ساء الفرنسيون في تحرير هولندا بعد الثورة ، ثم إلى
 ونجها ، ثم إلى تحريرها ، ثم إلى تفردها ، ثم إلى إزها من ديوان الشمو إلى أن
 كان بعدها ، واستقلالها سنة ١٨١٤ ، وما كانت الخيوش الهولندية تولى إعطائها
 بأفكار فاطمون حتى قد نسي ملكها في تلك الأثناء ، ولكنه مع ذلك قد بقي فيها
 أراء عام وعابها لإنشاء شيان سياسي جديد يختلف عن الأوضاع السابقة وأحداث
 القديمة التي كانت تعمل جميع السلطات السياسية في يدي بعض الأشراف والجماعات
 الثورية وتكره على نقل دي الدولة من لم يكن يدق به ، وتؤيد بقا طبقات متزايدة
 لا مساوي في غرب القانون وفي تطبيقه ، وما كان هذا الصفا يقدم لأمر طاهر أو
 إلى أمره وقضى عليه ، وقد فوس مقاومة حميدة من قبله ، وأمره حذرة أو شابة
 كونه من البلاد بحسبة لغيره التاسع عشر .

٤ الحدود الطبيعية وتقاليد الفروع

التاريخ يترى التقاليد في الشعب ، والعادات التي تفرض السياسيين لأنظ
 في سبيل القواعد والسياسة ، ورجال الدولة يحضرون على أن تحسبوا حساب الواقع ،
 من المعاهدات والتعظيم والتخضع ويتأقنون من حق وتكون أن دول السياسات ،
 والتقاليد لا تحي من نفس الشعب ، وقد قدمت نسبه سنة ١٧٥٨ فانهما فرنسا
 لأنها لا تحي المتجدي به ، فحرب على ذلك عهد الملوك : انه يستحق بفاء هذا
 المنح احيد برعم الثورة كلها في كانت تحمد فرنسا قبل ذلك ، ولكن عمه
 الناس تموت هذه لاسي من عمره يفكر في فرنسا أقوى عليه ، وما عدل
 حكومة عن ذلك الأمر عمه ، ففزع الملوك ، ومارات لرمي بصرها إلى
 هو نده والتجديد والتكديج ، والتجديد ذلك ما ذكره كل حطة سياسية
 وكانت الدروس منهم التقاليد ، ومؤرخون بتحددهم ، ورجح
 لادب به مؤسسا ، هي باقي في مدارس العسكرية والتعدي في سنوات لدوام ،
 واستغل في طائفتين من رجال يدق ، ففوا أن عظم في سياسة الثورة
 الخارجية : بخرسين وعضو كيريين ، ففوهج واحدة مفصلة

بطريق التحليل الذي كان من صفات ذلك الزمان . وهي قواعد بسيطة ليس فيها شيء من الجدول والمناقشة . فطلت حطة الفتح القائمة قبله الاحلام الوطنية احيالا متتابعة ، لا تفرق فيها الامن حيث اساسية وناظمة ، وكانت كل فريق يأني بالبراهين الواقعة ويعتمد على الاسباب القائمة ، فضرورات الدفع والم هجوم حجة رجال الجيش ، وضرورات الحكومة الداخلية حجة رجال الدولة ، وضرورات السلام الاوربي حجة رجال السياسة ، وهي يحملها نواصب عناصر البحث والمناقشة .

وقد اتفق على الحدود النهائية ، سافوا ، ومن من حجة ، والخوض والرب من جهة اخرى اما احراز الشاطي ، الايسر للرب في يكن عبة مباشرة ولا حجة سياسية محددة ، بل هو الغاية العليا والامية المستقبل وآخر حقة في السلسلة ، وادامتقف دراسة عند هذا الحد الذي عينته احقرامة والتاريخ والسياسة ، فلما تعدو بدون شك طور الدولة التي يستند بها نوارن القوى في اوروبا ، وتعدى حدود الملك الذي استطلع حكمة والدفع عنه ، وقد ورد في احدي المذكرات السياسية القديمة في سنة ١٧٥٥ انه على دراسة ان تكتفي بحدود الرب ، وان لا تفكر ابدا بتجاوزها والقيام بما ينجح في المانية ، وادا اتخذت لنفسها قاعدة الوقوف عند الحدود التي عينتها العظيمة من الغرب ومن الجنوب : البحر المحيط ، الجزائر ، والبحر المتوسط ، جبال الالب ، المور ، الرب ، صبح مسيطرة في اوروبا فدره على رعاية السد بدلا من تكدير صفوه .

والكن دراسة اذا ارادت تحقيق حطة الفتح والاستيلاء العظيمة وحمل اوروبا على قبولها ، فانه ينبغي ان تقلب اوروبا بأسرها . وهذا من الامور المستحيلة او ان تسلك حطة التحركة والتفكير فيها ، ومعنى ذلك ان تقام في اوروبا اسدق او شر كاء وان يستعان بسلاط القويين لتمكين القضاون وسديد الدول ، فهناك عدو يجب ان يقبل ان عرف هو النمسة ، وحليف يظهر انه دائما على ابهة الانتفاع ، بين تحريات القشوح . ويرى ان السادة هي السك هي مفهم وهو روسية ، وكانت الاراضي القابعة للكيسة في مانية تستخدم في مثل هذه الاحوال لتعزيز

الموقف والحفاظ على الثوارين ، وإدريس نخاعة فهذا بولونية وهي بلاد
لا صاحب لها ولا حدود ، تنصرف فيها روسية كمشاء .

تلك هي قواعد سياسة الفتح التي شارت بالدعوة إليها قادة الجمهورية ورجالها
انقشروا بما كانوا يحملون من عقائدها في المنسكرات والمجامع ، على حين ان
هذا الخيل الذي يستوف فيه ، هو حيل فلاسفة ينسكروا الحروب ويقتصد
الفتوح ، ويدعو الى اقامة نظام الدولة وصلاات الجماعة على اساس لا تتغير ولا تتغير
من سادة الشعوب وحقوقها ، وهو يرصد تلك الاتفاقات الواضحة التي تعدها
الديمقراطية وتضعها النعمة ونزولها للامم ، ويريد ان يؤمن من الامم ان على اساس
من الحق باطلاق اشغال الصراع ، واساس الذي بعده تصاحبه الانسانيات يجب ان
يصمد له الخلود والبقاء ، ولا تعد نذرية الحقول المعقدة الحساب اليسيط الذي اقترنته
بحرية رشايو ، واحد يتصل عنها من نتائج السياسة الكيدية وكانوا لا يكتفون
بالاحتجاج بالاعمال بل يريدون الاستعداد بالحقوق ، ولا يكتفون بالحق التاريخي بل
يصيرون اليه الحق الطبيعي ، ويقضي مذهبهم بتأليف بين الامم والعدل وبين
حق الدولة والحق للحرية .

فلا شك ان فرومها الثورة الفرنسية اتى على استعمار الشعوب ، بحيث
لا يضاف الى الدولة الا الذين يرغبون بالانضمام اليها وهدد بدأ جميع ولكن تطييفه
صعب ، فـ شعوب برص والامر لا جانب لا يبقون فعدة تدبر بساطهم ، واذ
كان مبدأ السيادة حدها مطلقا فان الى جبهه مبدأ آخر يراد ان تكون له الغلبة
والسيادة ، هذا مبدأ الذي يقول النصارى : انه حناية في محكمة الاخلاق ان يسامح
ويعطى ابتداءا الى سلطنة احتيائية ، وبى حق ينصرف مع شعب لا يريد ان يبدل
السيادة فيه ، وهذا يجب ان تكون الشعوب كل شيء ، وان لا تكون شيئا ، او
اس على امر شيء الشعوب ، وما معنى حقوق الدول ؟ وما معنى حقوق الشعوب ؟
او ليست القاعدة التي لا تفضل ابدأ هي ان حيز الشعب وسلامته هما القانون الاسمي
الذي يتوقف عليه كل قانون سواه ، والذي ليس فوقه قانون .

غير ان هذا القانون مما سافدره لا يبرح قانونا مبدئيا ، فمن الذي يضع القاعده في هذه الماده الخطرة ونحدد حدودها ، ان فرنسا لا تستطيع ان تتجاوز الحدود التي ترسمها السامه العامة ، والسلام يتوقف عليها ، والواجب يقتضي ان تكون ثابتة ، ولا بد لتحديد لها من اساس يدعو على اساليب سياسة القسرية ، ومواطناتها ، وعلى اطباع القانحين وامانتهم ، وعلى جهل الشعوب بحقوقها ونصيبها منها ، وقد استخرج هذا المبدأ مؤلف العقد الاجتماعي روسو ، واستمداده كسائر مبادئه من الطبيعة التي هي مصدر كل حكمة وكل فضيلة ، خلال اوروبا ونحوها وانهارها تقرر حدود الشعوب الساكنة فيها ، وتحدد عدد الشعوب وسماها . وتجاوز ان يقال ان النظام الاساسي في هذا الحق من العالم هو في بعض معانيه محل الطبيعة ، ولكن لا يراد من ذلك ان حبال الال والجزائات وتختلف البحار والانهار بحجاب لانتهاها الاطباع ان هذه العقبات تستعين باحدى تقويتها وتغزيرها ، وتفيد الدول الى حدودها التي تجاوزتها بجهود رائدة .

هذه هي القواعد التي قامت عليها الثورة في مجال الحقوق العامة وتعيين الحدود ، وقد تحاورت بها المحافل والمجاميع ووسمها الخطباء والمفكرين ، لحقوق الشعوب اثبتت من الطبيعة ، وتفيد هذه الحقوق يتوقف على ما وضعت الطبيعة نفسها من الحدود ، والمذهب الذي سمد الى الطبيعة في تقرير مبادئ الحقوق العامة لفرنسة الجمهورية يؤسس لحقوق الدولية على فواعل الحدود الطبيعية ، والحدود التي رسمتها الطبيعة هي بحق التي ذكرتها الاساطير ، وحددتنا الجبال التاريخ ، واوحى بها درس السياسيين المعاصي ودرس الغلامه به هي ، وامادة الكوفة عند فريق نورد الى نفس النتائج التي يرشد اليها منطق الآخرين ، هذه النتائج مبرحت منذ العصر الرابع عشر استخرج على التوالي من ترائع ملوك نابوليون وحقوق الرومان ومن اليهود والعقود .

وفي سنة ١٧٨٩ كانت الخطا الكبري تظهر من الخيالات الزميمة ، ولكن هنالك تناقض بين السام في نفسه وبين اقراره في السام ، ومع هذا التناقض بين

السلام وبين اقرار السلام ، فكلاهما كان ينشأ مع حالة الزمن الروحية ، وهذا الرجل السياسي الذي عمر خطره بتدريالات كثيرة كان يحذر بان ينشأ اوروبا على هواه ، ويؤلف فيها جمهوريات متشابهة كـ هو الامر في الولايات المتحدة الاميركية فتعاد الدولة الرومانية ، ويكون السر مؤسسا على الوجه الروماني ، اى على قاعدة احصاء الشعوب القديمة لاحترام حقوقها ، غير ان هذه الثورة لانتم الا بالفتح . والفتح السعيد او الفتح الفظيع هو الذي يمد له كذا كذا سبيل عبثه .

وكان الكثيرون ينفقون من نزع الثانية مما كانت فيه ، فتخلص من الامم ملوثة بقدمه ، ومن هؤلاء الامم : روسيا ، الذين كان يبلغ عددهم نحو ٢٠٠٠ يطعنونها في السر ويحتاجونها في الحرب ، وكان بعض الفرنسيين يطعن الى برهام موحده ، او يقلل منها عند حل تحت لواء التبعين المالكين في النمسة وروسيا ، وهكذا كان الامر في إيطاليا والارضية في تحويلها الى جمهوريات متحدة او دول ، واقادها من قبلها ، واما خمسة فيما ذات مجلس عم وورثس ، يكون ملك ساردنية ، وما هذه الا الثانية الثانية تريد فرنسا ان تنشأ على ابوابها ، وقد كانت مبرأة من اثم الحكمة ، متقبلا جمهوريون ، وبين غلبه الا ان ينفروا وبها الاصحاء .

ولكن ما هي اعانته من احياء إيطاليا واتحادها خليفة اداة يمكن فتح طريق الشرق افريقية هو الثانية ، وكان يرى ذلك جميع الخياليين وواضعي الخطط ، فقد كان منهم من يسمى بمقالة الحرب وادرس عصر منهم ، الذين يدعون الى انقسام للدولة العالمية وتجزئتها ، واقدمه تلك بصراية في اليونان ومكدونية ، والاستيلاء على فلسطين وسورية ومصر ، وكذلك الامر في بلاد العرب وفي مصر اكس ، ثم وصل بحر الشرق والبحر الاحمر ، وقد استغاثت كاترين بجماعتها الصربية سنة ١٧٦٨ من انتشار هذه الآراء ، وكان فواتير نصيرا لغضبة اليونان ، كما ان شيبسي جعلها قضية جميع الشعوب .

وكانت مصر، وهي اقلية رجال السياسة، وبعدها كان يوسف الثاني، كانوا يمدان على اقتناء تركية، كانوا يرجون ان تشاركهم فرصة اذا منحت مصر، ويروي ان مجلس الملك قد كبر في هذا الشأن، وان فرصة ما يمكن رسمها بعوس دابرا، اذا استطاع ان يحول دون تحررة تركية، دوره او كبريه، ولكن مصر هي التي الوحيد الذي تمنع به، فتبع الخمد عن هذا الطريق وتعيد بواسطة العوس طريق التجارة القديمة، يتبع ما يريد من تعطيل طريق، ان كان، ورأس الرجال الصالح.

وكان ذلك اجازت نفسه بهذه الاحلام عند دخوله ايطاليا، والشرق هو الذي تحدث به من وراء الجبال والحدود، وقد كتب المباح من حقيقة الكبر بقوله: يجب احتلال مصر ان ردت الى قضي على الكبر، وادع فكره الى خاتمة العطفية فرأى ان يسير الى القضاة، ويرى الدولة العثمانية، ويرجع بعد ذلك الى باريس عن طريق مينة عدنان بقضي على باب العمة.

وفي الخلق ان ماتم على يد المليون تهور في مصر اعطوا كل ما جرس في حبال حاور في العادة، بعد هذا زمان، ثم الامبراطور الشيخ حليفة، عند تحفة تهور ما كانت تطلع الاحلام به، ولما انه قبلي في سنة ١٧٩٠ الى احدى رجال الجمعية التأسيسية كذايرن الشهود في مصر عثمانى، تحررة اعمدة، ويخرج في طرفة فرحن الحكم، بعد ذلك، انه بعد الاحياء بعد القاصرة في اورية واهر طور به، وانه سيكون الورر الاكبر في هذه الغارات والفتوح، اصاح بصوته مستكرا والكلان، حتى بالاربع، وسواء الثوارات وبغداد، ودية، ولا نتائج من ذلك، ان كان ذلك تحت هذه، فهو، ومع ذلك انما انما العجيب لهاب في الاراء المم، وبه ان كان هناك معجز في الحقيقة، فلهذا يعرف، يصي حق المعرفة، وبه انظر في انفايد لايت مكر ولا يوجد العجب.

والايات التي جعلت الثورة انصب في انقسام الداخلي الى فوضى دامية، تقوم على الاستبداد ولا تنكره، هي التي تحدث عند الاستبداد ينشر في اورية

ويرفع الربة فتوحه ويحمد السيد مبدعه ، ما الخدرون واصحاب الآراء البعيدة
الذين ه عندما شاهدوا المطوفان لادوا باكتاف الجبال او حبسوا انفسهم في انفلتات
وانتظر ان تهدأ العاصفة وان يفيض الماء ، فقد انتقموا من الظالمين والجاهلين
الذين حبسوا انفسهم قدرين على العاصفة محملتهم في طريقها ودمرهم تدميراً ،
ولم يكن غدوفاً من يطل ان مثل هذه القوة لا بد ان تتداعى في العاجل او الآجل
تحت ثقل اعبائها ، وعلى هذا اطلق قوم الذين قاوموا الثورة الفرنسية ، ولم يبدلوا
مطلقاً عن العودة بعزيمة الى حدودها القديمة .

وقد دامت الحرب بين اربعة ثورات فرنسية بحور مع قرن فابتدأت في هالي ولم
تنته الا في الزلزال وامتدت في آخر الامراء وبقائه حدة على الجيوش الفرنسية ومع ذلك
ولا يقال ان فرنسا خرجت منكسرة من النضال ، فقد خضت المعارك مدافعة عن
استقلالها وسلامة اراضيها ، ومما قدمت به من الاملاح في دستورها السياسي وفي
قوانينها ، ولم تسكنها السد الا هذه البلاد التي انزعها من اعدائها ، وعادت الى
حدودها القديمة من غير ان يصاب جسم الامة بغير ، وسدت الخواصد الكبرى
لثورة ، فحتمت فرنسا بالثانول اندي وبالحكم التشيبي ، وفي ذلك الغاية يكون
عمل ١٧٨٩ ابدء من ان تالله بواحد الادى ، وافقوى على ان يجعل الى الاحياء
القادمة جميع ثمراته ، كزراع اخرج شطاه بمجيب اوراق .

٥ صفات تباران واخلاقه السياسية

لم يكن اسبانيون في عرب الناس طبقة مستقلة ذات طابع معين ، ولكن
طائفة مميزة باوصاف ملكية وعادات مألوفة ، وحذر وحيطة وروية وتفكير
وتلبس ومخادعة ، وكان تباران احسن مثال لهذه الطبقة ، وقد بهر اهل زمانه
بفكره السياسية ، فكانت احاديثها كالاساطير التي تتجاوز الحقائق ، وكان اشهر
سياسي الامبراطورية ورجال الملكية المؤسسة بعد انكسار نابليون وحليف الراى
هادي النفس ، لا تمل له حبوة ، ولا تفرغ له صفاء ، حفيماً كريماً ، طلى الحديث

ساحر الاسلوب ، بعبق النور ، واضح الكلام موجزه ، حاضر الجواب عتيقه ، وكان كرجل متفرد بين التفلا . متفوق على الاقران . يكنى بان يحسكه ويدبر ويستعين بكل انسان في ميقات اموره بحسب ما عنده من غناء وكفاءة ومواهب ، بانى ان يرضى لنفسه بما يرضاه لسواه من ارباب الصغيرة والمكرمات المحدودة ، شديد المراقبة حتى الاسرار لا يغير شي . على ما تمنح وجهه ولا تدل ملامحه على شي . لما يجري في خاطره . بها تشتت المواصف والطرقت النفوس وبلغت القلوب الخاجر . يسطر على الرجا . ويتقلب على الحوادث التي تلتها الخواص حشيشة . لانه يعرف كيف يتفادها وكيف يخلص لها وكيف يتسكن من فساد نفسه ويقاوم اهوالها . اما سياسته الصرامة فهي اعمال حميلة . تعذر عن هذا الرجل الذي عليه ميم العز والسمو والرفعة ، والذي لم يكن يعا بفجار الولد وشرف المناقب ولا بالاطماع والردائل . وكل ما يقع لآخرون تحت تأثيره وساطاته يتخذه وسيلة لنيل مسأله وتحقيق غرضه . ويقوم بدسائسه قديما بل عنه الآمال . مستترا بجميع الوسائل ، لا يبالي ما يصعب في سبيل ادراك النجاح ، وقد تفقد معاهدات كثيرة كانت فيها المصلحة السابق . اما في مؤخر فبنة فقد تجاوز قدره وصاحق على نفسه .

وقد ملأت السياسة حياة تليران . فمكأن بصيرا بها ، حبرا تحمل مشكلاتها ، نازقا مداحلها ونجار جها ، لم يكن يعالج مشكلة ويتركها واثق انه لا يبعد فيها الى ما يريد ، وقد اقتصر في اعماله على المهام الدورية التي عرفتة الاجيال بها فاتفق فيها مواهبه النادرة . وحذر لقياء باغياها طريفته الهدية . وكانت السياسة العليا جزءا من نفسه وادراكه ، غير انسه لم يكن يتسار بصفات رجال الدولة لامن حيث الفكرة ولامن حيث الحقة . وقد قيل انه نصف ميرابو ولكن لم يكن على شي . من ميرابو ، فقد كان هذا خطيبا . على حين ان تليران اذا خاطب ثلاثة رجال وحد اثنين يستغنى عنها ، ويتجاوزان الحد الذي لا يجوز تجاوزه في هذا الحديث ، وكان يكل الى غيره افهام الناس ما يريد عمله ، اما الفصاحة والاحلاق فمكونا في ذاتها من غايته .

والثقل على هذه المسألة. ونرى أن من صفات الاختلاف وجوده بين الناس من الأمور التي تهم وصفي السياسة. وليس هو مبرر ولا يستحق أن يكون في سداده من جهة أن يخرج كذبة عنادته التي من ذلك يستطوع وهو يستعين بالحقيقة أن يدرس بحاجتها عليه.

وفي السياسة أحوال تكون فيها النواحي الأخلاقية عظيمة الأثارة. وأحوال تكون فيها النواحي الأخلاقية بسيطة البهرار. ولأنهم إذا كان الغرض فيها معطلة. وصفات الأخلاق المتشددون يتفقون السياسة في رجل واحد. وبما يشارونها. ويشار إليهم صفات صفات العقلية. ولكن ملاحظة الأمور السياسية من الساحة الأخلاقية صفة لا تتصل. ولا يمكن يستطوع أن يبدل الأوضاع والمفاهيم والأشياء. ولكن الأوضاع والمفاهيم والأشياء لا تغير إلا بغيره في طبيعته وحالته. واحتج. وقد سار ذكره من أن من يتفق رجل السياسة أكثر من الأخلاق ولكن لا يقال فيه على الإطلاق أنه يتطوع في طبيعة محرومة. وإذا كان في كثير من الأحيان من أن الطبيعة التي يرددها إلى حاله. حيث يتغير في حركة في يوم أو ليلة في مراحله. فإن هذا يوسف يطبق على الرجال وعلى من سبقه ومن بعده من كبار رجال السياسة. الذين من بعدهم يولد من الأخلاق التي لها في حقيقتها. أما صفات الأخلاق فهي السيرة في دنواهم من حيث هي فكرة طيبة تقوم عليها السيرة أو ينبغي أن تقوم عليها.

وكان تأثير أن غير كثير من الأحزاب التي ينتمي إليها وكان لاغير شيئاً من معتقداتهم فقد أتى في سنة ١٧٨٩ في شأن الملكية الدستورية كما في وفي النورث لاوري محاضراته عن مفاهيم الدول. ومتميز مع الكثرة السياسة القائمة على النورث. وكان في مفاهيمه يوضح الأمور بدون تردد. ويقترح في نفسه ويعرب من رأيه بدون أن يذهب إلى الذهاب في عمالة القادة إبراهيم والحجج. والحارس على القاعة والشوارع حتى هل يغرب من عند الله. من رجال مثله فإن ذلك أكثر كرامة.

وسياسة التفارب بين فرنسا وإنكلترا كانت من القواعد السياسية التي افترها
تفيران منذ نشأته الأولى ، وهو يعتقد أن اتحاد الدولتين في الدفاع عن الآراء الحرة
أقوى أساساً للحد في أوروبا .

وكان ميرابو الذي يودع إليه أسرارها يرى هذه الفكرة بكرة غفيرة ، حتى
أنه كتب إليه من باريس وهو يقول : قيمة سياسية : داس من جهة واسعة تؤلف
بين كل شيء ، وتنتهي من كل شيء . مثل حطائك ، فهي تقسم على المصالح التجارية ، وعلى
الخصومات الحرفية ، الدامية ، وكل إلى فرنسا ، إنكلترا ، أمريكا ، الخربة في العالمين ،
وهذه السياسة هي التي افترت في معسبيد تفيران في أزمة الهيجيت ونشوء
هذه الدولة المتفلة ، وأمر يومئذ حصة عدم التدخل وقضى على عهد التحالف
القدس ، وكان هذا العمل الذي هو آخر عمل له قبل أن يمد نظره وحرمه على السيد .
وفي أثناء سفارته في إنكلترا كان يكتب إلى حكومته : إن إنكلترا هي البلد الذي
يجب على فرنسا أن تثبت معه أحسن العلاقات الدبلوماسية ، وما أصابته من الاستمرات
أرادت سيلاً من أسباب التنافس بينها ، وقد كانت الدول لأرادت اعتقاد بحسن العمل
الذي تستخدمه من العقيدة الإلهية ، وما إن الله يسكن لا تشارك بهد الاعتقاد ، وقد
فعلت الحكومتان مبدأ عدم التدخل في شؤون الآخرين ، كما أنها تعالين حرمهما
على السلم والدفع منه ، وقد لهما لا يذهب مباحث ، وكثيراً أيضاً : تذكرنا حينها
تبعثون غفريات إلى الإنكار اسمك ناطقون شمس هادي . القلب واسع الأناة ،
ولذلك أنه يحسن في محاطته احتمالات الثقة أي تغير المواطن .

وكان يقول تفيران : رجع لي يبحث في مدى حيالة العمل الذي قمت به .
وماذا كنت فيه وماذا فكرت به وماذا ردت إن لمعه . وقد من أكثر من عصر
تحققت فيه أمنية تفيران الفجورة ، ولا شئت أن حياة كبحيانه مرت بها أحداث
عجيبة وتقلبات مذهشة ومناقضات عظيمة من ربيعيات الأمور ووسيمامها ، لا بدع
إذا ما لاث نفوس الذين حيرت بين ظرائفهم ، ولا سمع عندما كانت فرنسا في ذلك
الاضطراب الشامل وأيسر القائل والآله الكتيبة اصحات ، فقد تهاوت كواكب

سدها ونزعت شرقت مجدها وشمرت نها بعد دهاب نابليون قد أصبحت ارملة بعد قيصر ، وما اكثر الذين سددوا طعناتهم المميدة الى داعية السياسة وامير السياسيين مثل شانو ، ريان وفكتور هيكو ، وقد يكون ما كتبه جورج ساند في ايام شهرتها وفجورها آخر مما كتبه غيرها في شأنه ، ومن ذلك بعض ما قالته في مجلة المالمين :

أعرف هذا القلب ممرزة الكرم والنبل ، ولم تحل في قلبه الاخلاص والولاء ، هو رجل لاشبيه له بين الرجل ، يتجاوز حتى طبيعة الانسان . . . وبعد ان وسفته بأجله مخاض في اماء ، استمرت في حديثها وناقضها عن اعماله السياسية قائلة : ما هو العمل النافع الذي قم به هذا السياسي الكبير ؟ وما هي الخدمات التي ادائها ؟ وما هي الحروب الدامية والاسطوانات المسمومة التي حال دونها ؟ وما هي المعاهدات التي جعلت ملوكنا من الفاتح المغرور الى انقي المقاتل نحلوننا على الاقدام نملو شأنه ؟ وماذا نحن نبحث وراء السياسة الزاهية من الخزيات المندبات . هذه هي مخائف الحساب التي يحملها اليك انك الذي توكل اليه امواتنا ودمائنا من غير ان تستشار في امرهم ، ان عجائب تخيفه تضطرب فوق رؤوسنا وتكنها نائمة بعيدة بحيث لا نستطيع انصارنا ان نصل اليها او نذكرهم بها ، ونحن لا نزال عرساً لشهام اللاعنين المحبواين ، اشباح سامقة تضحك هازئة ، وهي تسجل مفادتنا ومصارفنا في مخائفها .

٦ - قليران و نابليون

كان قليران من العمر خمس والثلاثون سنة عندما غلبت الثورة ، قادته بفعاليته الدفينة عظم شأن هذا الحادث ودخل فيه بجراة وبراعة ، وقد ساقته الآراء التي يبديها والاعمال التي يقوم بها الى مصائب وعقاري ، محرم من الدين واخرج من جماعة اهله ، وكشف القناع عند ثلاث الايام عن سريره ، ويزهت او مساف وخلافة ، وحررت المقادير مستقرها في تعيين مصيره ، وكان في تغير شيئاً من طبيعته التي عرف

بها : سيطرة شديدة على نفسه ، تكفي مدهش للحوادث معرفة بالغة في الرجال
لين ومرونة في العمل ، استهتار وعيث بالأخلاق ، تسلط على القلوب وسحر للعقول
ثم استباحة لجميع الوسائل التي تضمن النجاح .

وقد شعر بعظم الخطر عند دفن الأرهباب ، وأحسن بما يهدده بما إذا بقي في
بلادهم ، ففادها إلى أمريكا ، ثم رجع إلى باريس في زمن « المدركتور » ،
فاستعان بتمام دوستال لتولي الأمور الخارجية . وظهرت له غلاء العهد الجديد
وسلطان نجم شارتر ، فأسرع إلى التحول في خدمته ، وألاكتسار من مزاياه ،
والمناخ في خدمته ، وكان أول من ذكر له الأمر ضرورة قتلائها كانت تقوم
على المجانب ، أما الآن فهي تقوم على الخائن ، واشترط في انضمامه الماليلية
ولكنه لم يشترط في عواقبها ولم يتحمل تبعاتها ، وأسس حدة الأمر ضرور ولكن على
محافظة إرادته واستقلاله ، والتعد له حجتين في مخالفته : الأولى الجالس لأحد
له ، والثانية حيانه بدون حياء .

وفي عهد الانفصالية قام بأمر محلي تمكن اليقوة ، ورجل سياسي ، وكان بطار إلى
الحوادث نظرات بعيدة نسبو به إلى زرع منازلات السياسيين ، ويدعو إلى التقصد
والروية واحترام ملك الآخرين وساعاتهم ، وحدث صدأ حطفاً التي كانت مسائدة
في الثورة والادعاء التي كانت نامة ، وقد كتب وهو في خدمة القنصل لأول :
إن التفوق الصحيح الذي يكتسب مع الغائبة والباطن ، هو اكتفاء الرجل بأن يكون
سيداً في بيته لأن السيد به السجف يمدعى السيادة في بيت غيره ، وقد ذكرت
الدول كما أدرك الأفراد ، وإن كان هذا لا أدركه بعد وقت ، إن حرار الثورة
يكونون يستلزم من بعده لا بأس على ذلك الآخرين ، لكي كان يدعو إلى الاتفاق مع
الانكسار فقد كان كذلك يعتقد من النسبة عنصر لابد منه يقوم في أوربة ظلم
ثابت دائم ، والمصلحة نفسي بالسياسة وزارة عمية ، لأن الخصومة المتوالية للنسبة
والانكسار نمرس دراسة فوائدت عدائية وحروب لا ينقطع اشتباكها ، ولكن هل
كان في المصالح كبح صحاح نابليون لتتيمم يكن لأمره حد تلف عده ، فقد كانت

قوة عظيمة تقوده في مظاهراته الخطيرة ، وكان يعرف ذلك من نفسه ويقول : لم
أكن أبداً مسيطرأ على ما أقوم به من الأعمال ، وكنت متقاداً للحوادث
في كل ما آتبه .

وبرغم أحقاد تليران في محاولاته ، فكان يجد في حمل نابليون على الدجر في سياسة
طبقاً لتقاليد الملكية القديمة ، وبشابر في اعتناء كل فرصة مواتية ليدعوه الى
الانابة والقصد ، وقد اختار الساعة الخطيرة عندما كانت فية على اهبة ان تفتح
ابوابها له ليكتب اليه موصياً وهو في سنر - سيورج : لا احد في هذا البعد عن
حالاتك لا نغزة بحمل الى ، وفي الخفيفة لا احد الانزيرة واحدة ، وهي ان
يكون قريباً منك على سبيل الذكرى والاشراك بتقدير الامور ، وانشاف الى
ذلك راجحاً ضايفاً للدر . وكان اساس هذا البرنامج انه لا يحوز القضاء على النعمة
ولا ان يصيبها من الذن اكثر مما يوافق مصالح اوربة نفسها . لانه اد كلفت بهذا
محمية عظيمة واذعنت في ساعات الضرورة ، فهي لا تنتظر الا فرصة الانتقام ، وان
التحقق به يحالف حديد لخائرة فرصة وجيشه لا يكون الد لا هدنة ، ولا يكون
سفلت الدس الامرأ مؤحلاً ، وانا مددنا الى النعمة يدأ سمحاً بها ستكون لنا
اكبر عون في سياستنا الاوربية ، ونفصلها عن اسكانه وروسية ونستعين
بها على دفع اعدائنا كلب ، ونعمل اوربة في حالة حياد ، وبذلك تكون قد سويت
مشكلة الد الذي يكون اكثر دوام وبقاء بقدر ما يؤمل العقل الانساني ويسمح
به ، وكان تليران جريئاً غداة استرايير بقوله : انه من المثير ان تدمر دولة آل
هسبورج ونفسي عسيه . بل انه يجب علينا بدلا من ذلك ان نفوها ونمزوها ،
ونجعل لها مكاناً فيجأ في النقام الفرنسي ، لانه لا بد من النعمة لسلامة الشعوب
وبقاء حضارتها ، لكن نابليون ظل متصلاً عن سماح هذه لدعوة الرشيدة التي تلخص
تجارب عدة احيال سياسية ، اذ لم تكن المعاهدات الجزمة الاهدناً موقفة .

وبعد تلميت لم يبق عند تليران مجال للتوهم ولم يخف عليه مصير الجيوش
الامبرطورية . وقد ايقظت الحوادث المتتامة الخدر في نفسه وبدت تخافه المخاوف

وتراعى له العواقب والمكره التي تخلفها المكثرة بعد وقوعها ، واخذ يتساءل
ماذا يكون اذا مات الامبرطور وما يصنع اذا قتل سدا لا يوجد يستحسن عملاً
من اعمال نابليون ولا مرأ من سياسته ، ولكن مزاجه الثقيدي ولا منطقته او امح
الاجباني لا يتلفا مع اساليب قيصرية عظيمة ، فراح بعد عدته لمرحلة جديدة .

وقد استقبل تليان من وزارة الامور الخارجية بحثاً بمرسه في آب سنة
١٨٠٧ ، فهدأ اليه نابليون فكتب شريف سام ، لانه كان يريد الاحتفاظ به في
قرية لاجل ان رافقه على الامم ، فقبل من كبار رجال الدولة مباشرة الامبرطور
ويحيط به اسفراء ويسجلون كل كلمة تصدر منه . فحدث باصل بالذات الاحدية
ويستفيد نابليون في محاسن ثقافته ، فذكرت عنه الكونت لوستونج اسفيرالوسي :
ان تليان ليس له من الممود ما يستصعب ان يحسن نابليون على الماويل عن حفاطه ،
ولكن مقامه الواسعة وحلاقة الصعوبة تميزه دائماً على ابهة اقباء لما يكلف به
من انهام ، اما مرفيع فقد كان يرى ان سلطنة تليان على الامبرطور مشقة حذاء
عبراته على ما يظهر لاي حال قويا بشارة محبة على يوه ومتابعة سالييه المتوبة .

وعلى كل حال فقد راد في توسيع سياسة التوافق بين نابليون وتليان ومرفي منها
الحرب التي فم بها الامبرطور في اسمانية ، فعارض تليان بذلك وذكر انصار
والشائح ، ولكنه كتب في آخر الامر ان يرضى في قصره مراد لاسرة اساسية
الاسبانية الذين دعوا في الاسر وودعه الامبرطور ان يهي لهم جميع الهدايا وكان
لا يرى بأساً ان يحيطوا ببعض الحسنات وتعفو في محاللات .

وقد تمت نابليون تليان معاودة الفيصر في بحرثة تركية وقايم الشرق
والسر الى افرائ وارنت وهند ، والقيام مرة اخرى بالامر الذي عجز عنه
الاسكندر ونيسورثك ، واحقاق هذين الفاتحين لا يستمر حتماً الخطا غيرهم
ولا سمح اذا كان التدبير الحكيم والاستعداد اكثر ، وقد جرت محادثات بين الفيصر
وبين رسول نابليون ، كشف فيها تليان عن دجبة نفسه وافطى بذات صدره .

وكان يتذكر هذه الحوادث التي بقيت سرا مكنونة ويقول : كل ما كنت اظن اني
بحاجة اليه من الحكمة ولدهاءه ، يمكن بناهني مع القيصر الحذر ، فقد ادركت غايي
من اول كلمة ، وفيه ما اريد من الحق .

في هو الاتفاق الذي كان على اتمه بين القيصر سكندر و تيران ؟ لقد كشفت الاقتناع
عن هذه الاسرار المذكورة اعلى بها مغرنيج الى الامبراطور فرنسوا وقال فيها : ان
هذه الرحلة التي رمي لي حول القيصر على فخاز انكر اننا والاستعانة به علينا
يريد من تيران غيرة اخرى : في اليوم الاول بعد وصوله خاطب القيصر بهذه
الكلمات الثمينة : ماذا يريد صاحب الخالة من قدومك الى هذا المكان ؟ انه
عليك ان تفقد اوروبا وانت لا تستطيع ذلك ، فاقم نابليون ، ان الشعب
الفرنسي شعب متمدد ولكن رثاسه اس كذات ، وقيصر روسية متمدد ولكن
شعبه اس كذات ، وقيصر روسية استطاع ان يكون حليفا للشعب الفرنسي ،
وقد اسامي تيران على نتيجة مقابله عند عودته الى باريس ، وهي تلخص انه
قنع مند معركة استرلنزل ان اللاتين بين روسية وبين النمسة لم تكن ابدا حسنة ،
وانه لا يتوقف الا عليك - كما قلتي - ان تصبح الحائقي مع روسية حسنة كما كانت
في الماضي ، وهذا ما يتخذ اتفاقية اناقية من استقلال اوروبا ، وحين مغرنيج كلامه
بقوله : لقد استجبت في ارميت الذي تعد فيه محافقي في داخل الامبراطورية
الفرنسية نفسها .

وبقي تيران يواصل القيصر وهو في باريس عن طريق سفيره جميع الانباء
التي اقيده ، حتى انه ارسل اليه النسخة الحربية التي ارسل نابليون اتباعا في روسية
واصبح له ان يسرع بمقدار الصالح مع الاران حتى يصبح اكثر قوة ، وقد دنت النهاية ،
وقد عز نابليون في اتساء حربه في اسبانية ان تيران وفوشه قد عقدوا بينهم
حبل الاقامة بدفعاتهم الطويل ، ان تيران سائر في خياناته ومؤامراته ، فلما
كاد يرجع من حربه وتقع عليه عينه في مجلس ملتم ، حتى انفي عليه نظرات
مستعرة ووجه اليه هذه الكلمات التي تضطرم بيران غضبه ووقدات غيظه :

انك اهل جيران ليس لك زاجر ولا وارع من عقيدته او سميره ، لقد قطعت عمرك متخلفاً عن القيام بواجبك ، منهكاً بأعمال عدوت ، ليس لديك ما تقدره ، فلا تمتنع حتي عن بيع ابيك ، والآن عندما جددت نفسك في الامور تسير سيراً سيئاً في اسبانية ، احدث نملين يدون حياء انك كنت غير راس عن عملي في هذه المملكة ، على انك انت الذي جلب الي هذا الفتح وسقني اليه باسرار ، انه يجدر بي ان اجعلك مثلاً وان اكسر كمن يكسر الزجاج ، ولكن احتفاري لك هو اكثر من ان اتكاف هذا العناء .

و يثائر نظيران بما سمعه ، ومربيه من غير ان يحرك صغاته ، ولكن هذا المثل البارع عندما خرج من اثوابه في مقابل اسارير وجهه المتقبضة واحذرهم من قائل : وانما هذا الرجل الذي هو على عظم شأنه يكون في هذا القدر من قلة الادب . وأشار نظيران الى هذه الحادثة التي لم يستطع ان يراها كات وشهوره فقال في مذكراته : ان افئدة انسان نابليون والافئدة القوي يمكن ليؤثر به ، اذا خوف لا يعرف سبيلا الى قلبه ، والحقد الذي يظهره نابليون كان يربح جميع اليه سريره ، وقال كذلك انه لم ينقطع عن نابليون بعد افصائه له . وبقي في امكان الذي يتطلع فيه على سير الامور ، ويساعده في متابعة اعماله الخفية ، مع التظاهر بالقباعس وعدم الاكترت ، حتي لا يتعرض بحال من الاحوال المشبهات نابليون الدائمة .

والا جرت المقادير في اعلمها ودار الفلك دورته ، انقلب النصر المؤزر الى كارثة عظيمة ، وحدثت فتوال على فرنسا انباء الحرب التي تلاشت جوهر حزمها ورجاءها ، وكان نظيران لا يظهر على وجهه دلائل الخشية والقلق ، حتي ان شفوية قد انفرجتا عن هذه الكلمة : هذا بدء النهاية . . . النهاية التي كان يتوقعها منذ عهد بعيد والتي كان من المتأمرين فيها .

٧ نظيران في خدمة فرنسا

مؤتمر فينة والعهد الجديد في السياسة الاوربية

عندما بدأت المفاوضات بين الدول المتحالفة وبين فرنسا انتهت نظيران عهداً

جديدا في سياسته فوق سائر عهوده وبشرف تاريخه ؟ ذكرناه . فقد احدث على عاقبة ان يقوم بعمل حصيل الخطر وهو المفاوضة مع الفايكين ، وما تكن معااهدة باريس التي عقدت في ٣٠ مارس سنة ١٨١٤ الا نسخة ثانية لعقد الهدنة ، فمادت فرنسا الى حدودها القديمة سنة ١٧٩٢ ، وشمرت بحرج كبيراتها الوطنية ، ولكن انقضى ما يستطاع انتفاذه في هذه المنازلة الكبرى ، واعلن نيران ان ما تخاف عنه فرنسا هو في مصلحة الوطن لانه لا يقع صلح بدون ذلك بين فرنسا واوربية ، وكان يقول : لقد اتيت اليك مع الدول الاربع واني مقتبعا لما حدث ، فقد عقد الصلح على قاعدة التكافؤ وسر به جميع العالم ، وماذا افكر في معاهدات ١٨١٤ وما صائب الخيانة التي كسبت اقمارها وروح الانتقام التي كانت عملا فلوب بعض ماوسين الذين كسبت الطالج معهم الامور ، كسبت انقطر مقلتها حكم الاحزاب البغلة واذا اردنا ان نصف مفاوضات ذلك العهد ، فهاذا ان تشمل في خواطرها ما صارت اليه فرنسا بصنع ديابلون وحيلاته ، فقد استنفدت فيها الرجال والاموال ومصادر القوة واعبر عليها من جميع الاتجاه مرة واحدة ، ولم ياجر بها الحيوان وحدها ، بل ان الشعوب كانت تضطرم بنيران الحقد عليها ، وتشمع بحس الانتقام منها ، بعد ان ارهقتها بالفارم وسنوف الاذي التي دفعتها لاثار ، وماذا بقي لديها من وسائل المقاومة ؟ وماذا يصنع مدبرها في مثل تلك الاحوال ونحت سلطات هاتيك الحوادث ؟ لقد كان عليه ان يفاوض في جامعة وروية المتكبرة التي وطنها الفايكون سنايات حيوانه ، بحق له ان يفاوض بالشر وطا اني احزنها منه ، كانت فيها من الاوحطة .

ثم جاء بعد ذلك مؤتمر فيينا ، فعقد نيران ايضا مهمة مفاوضة الفايكين في هذا المؤتمر ، ومعه لويس الثامن عشر جميع السلطات يدافع عن سلطة فرنسا واستقلالها وكبرياتها القومية ، وما تكن مهمة اعظم حجرا من هذه المهمة ، ولا نعمة اقل واشد تأثيرا على صغير من هذه المهمة ، ولكن كذلك ما ير الزاؤون مقاصدا منه ، يقوم مقامه في مؤتمر سياسي ، ويبدل المكان الذي سيده بفوقه .

فكان لغزا عجيبا ان يستطيع ممثل دولة مغلوبة وملك بدون مملكة ، ادراك هذا النجاح كله ، امام هذه المحكمة الدولية العليا التي يسود فيها الخصوم ، وان يقوم غمته الشاقة بخدق ودهاء وسعة صدر ورباطة جأش ، ثم تذكر مدومات السياسة الا قليلا مما تناثله .

وكان تليان قد مهد السبيل لنفسه في باريس ، وعادت اليه دكرات شبيهة التي تدفعه الى التحالف مع انكلترا ، فاقبل برجلها واحكم الخرى بينهم وبينه . ولم يذهب الى فيه الا وهو واثق بان فرنسا لن تكون وحدها في هذا المؤتمر ، ولا عمزل عن اولئك المتعاقدين الذين يظهرون بتحالفهم حتى بعد توقيعهم على معاهدة السلام في باريس ، وكان اول ما قام به من الاعمال ان انكر بحزم عياراد من اقصاء فرنسا ، وما يدعى من التحالف الذي اقترى امده ، والذي اذا كان بالحق فلا فائدة من عبثه الى دينة ، وما قيل له انهم لم يستألفوا كلمة حلفاء الا للاحتصار ، اجاب : ان الاحتصار لا يجوز ان يكون غيبة في سبيل الايضاح ، واستمر على مطالمة سجل المذكرات وقال : اذا كانت هناك دول تدعى نفسها ائيرة على سواها والسلطة المطلقة لها فانه يكفي بشرط معاهدة باريس ولا يعترف لهذا الاجتماع باي سلطة عليا .

وقد فادت هذه الخطوة الى ما يريد تليان منذ اول اشياك ، فاعتبط بهذا النجاح ، ولكنه اخذ بعد ذلك يسير على مهل وحذر ، والاطريق وسر ، وشرك الخصوم ومؤامراتهم منثورة في كل جانب ، ولم يرجح تحت المبادئ العامة والحقوق الشرعية ، ويرد على مناظريه بالبراهين الدامغة والاجوبة المسكتة القاطعة ، حتى اصبح ممثل فرنسا المغلوبة من اكبر اعضاء المؤتمر تأثيرا ونفعا نفودا ، وحتى قال عنه القيصر اسكندر : انه يتكلم كوزير لاوي الزاج عسير ، وطفق كلاهما ينظر شروا صاحبه .

وقيل له مرة وهو يدافع في المؤتمر عن الحق العام الذي اتعده شعابه : ماذا يصنع الحق هنا ؟ فاجاب هو الذي جاء بك ، وقيل له مرة اخرى : انه لا فائدة من

ذكر الحق العام لانه امر لا خلاف فيه ، فقال ان الخلاف يكون اقل اذ احق على ذكره ، وبعد ان انتهى من حطة الدفاع اخذ منها حجة ، وذلك بالدفع عن حقوق الامراء السبعين لان فرنسا لا تطالب نفسها شيئاً ولا تريد ان تعترف بان الفتح وحده يفتح حق السيادة ، والحياكة الذي توضع بلاده حتى لا يزال حاكمها ، يمكن ان يفتح من حقه ، وكانت الناحية الثانية من خطته ان يمسك الى الاذرع بين الحلفاء الذين ظنوا انفسهم قد أصبحوا حادة اوروبية ، وعليهم ان يقرروا مصائر شعوبها بحسب ما تقوى عليه سراً ، ووصموه الى حلفاء انفسهم والتجزئة ، التي اتهم نظام النورث لاوري ، ولاحظ تحقيق هذه القاية اخذ لغير ان يتغرب من خمسة ويونان مثله مع بريطانيا ، حتى استطاع في ٣ كانون الثاني سنة ١٨١٥ ان يقدح تحالفاً سردياً مع حلفاء النمانيين ، واثبت رؤيته بذلك سياسة فرنسا ، وعرف التحالف الذي عقد سنة ١٨١٣ تحالفه نابليون ، وتأسيس بيان لاوري يستلزم عليه

وبعد ما وصف به تغيرات تدور ، ظهر المؤتمر : ابيض النمانيين الانكار ان غاية المؤتمر هو اصلاحكم على ما قررته لهذه الاربع مند اجتماعها ، وما اطلعت على سجون الدكرات ، وعلى اطلال لم يولد الاربع اسماء ، فقامت عليها ، واحتججت على هذه التسمية التي تعمل فرنسا تعزل عن مجموعة الدول الكبرى ، وقالت : ان نحن انزل من ايش في سر ، في حرب ، وكان بعيداً فرنسا الدكرات ، وبكرت القول اننا نريد ، ثم قال : اني اعرف ما نريد ما يقع شيء ، واننا ، ٣ ابر حيث نقرر اجتماع المؤتمر ، ولول المؤتمر الاول ، ليت كان يدعي اجتماعه .

وقد حارب تغيران افتتاح المؤتمر الذي وعد به الحلفاء ، وتأييد لجنة الاستعداد فضلاً المؤتمر الذي يقع له تقريرها ، فحيث الى ما طالب ، وتأييد لجنة من الدول الاربع المتحالفة ، الكثرة والخسة وبروسية وبروسية ، ومن الدول الاخرى التي وقعت معاهدة باريس ، وبروسية وسانية ، النماني ، والسويد ، على ان المؤتمر يجمع اعداء ، ولا تكن هاتان الا حيل برنية التفاوضيين الذين وقفوا المعاهدات

الخامسة بين الدول ، وقد جمعت هذه الملاحظات في كتاب واحد سمي التفتد الزاني
للمؤرخ فينة .

وانتقد تيرس وغيره من الفرنسيين تليان لانه لم يستطيع ان يجعل الحدود
الفرنسية الى شاطلي ، الزين ، وكان الروس قد اقترحوا منح ملك الساكس اوصا
على شاطلي ، الزين بحيث يصبح حليف فرنسا الطيبي ، وتنفذ دراسة من الانفال
بيروية . ولكن تليان لم يكن يستطيع ان يفعل اكثر مما فعل . وان خطة
انكلترة الثانية ان تفهم الى جانب فرنسا تلك الخارة التي لاتعرف شيئا وريا ، وقد
كتب اللورد كاستريخ الى اللورد ولانفيل في سنة ١٨١٥ : انك انكلترة
لا تستطيع ان تعتمد في دفتها على هوندو ، وكان اسحق يات على حق عندما اراد
سنة ١٨٠٥ ان يمنع روسية ردة من الاراضي ، وان يقيدها على الشاطلي والشمالي
من الروس ويجعلها باتصال عسكري مع فرنسا ، وكانت خطة تليان فاعة على
ضرب الحلفاء بمصر ، مدافع عن الملك الشرعي ، وقوم معطام روسية ،
وحالف انكلترة والتمسة . وكتب يدان مقاحرا ومتهورا الى الملك وقال : ان
التحالف قد قضى عليه الى الابد .

وقد افترق اهد الجديد في السياسة : اوروبية عاقدت عظيم وهو انكسار نابليون
الاول الذي لم يدر اي دولة من تأييده ، سواء كان ذلك مما احده من الاسطرابات
في الشؤون الداخلية ام التحويل الذي احده في السياسة الخارجية . والحسنة
اوربة تنحس شيئا جديدا ، هو الرجوع الى اساس قديم : اي التوازن الاوربي .
فما عاد نابليون وحاول اسحق طاع سيطرته قبل ان يوقع به وثامين ، وتترس في
والرؤ ، أعلن التفاوضون ان نابليون يتسارعت اخراج نفسه من التراجع المسية
والاجتماعية واصبح عدوا للمسالمة مكبرا لعمومه ، واتى بنفسه في ايدي التفتة
الامة ، وقامهوا جميعا على سيادة العهد الجديد الذي انشأه حسنا في اوروبا
كما انهم وعدوا ملك فرنسا وكل دولة مهددة بالتأييد والامداد . ولكن هذا العهد
الجديد لم يكن الا رجوعا الى مباني سياسة القرن الثامن عشر القائمة على التفتح

والنوابين وسلطان القوة وتمثيل الحكومات لا تمثيل الشعوب ، والاستخفاف
بآراء سكان البلاد ومناهم .

ورافق إعادة النظام الاوربي اعادة الحكومات القديمة ، على ان آراء الثورة التي
انتشرت في اوروبا جعلت مريفا من الرجال يعملون بتأييد الفكرة الحرة ويفهمون
على الوضع الجديد الذي نشأ في اوروبا رغم ارادة السكان ورغائبهم ، ويستشيرون
بذلك الشعوب الوطني ، وتتألف الاحرار من اقربى الاول ، والوطنيين من
الاقربى الثاني ، وكثيرا ما اتحد الاحرار والوطنيين في حزب واحد هو حزب
الممارسة ، الذي كان بدأت بتعد في نفس ما بدأه السياسيون ، وكانت الحكومات
تسهر تعاجلها لتتضمن تأييد الممارسة ، فكانت احزاب المعارضة في كل مكان
كانت تسهر بنفس الحاجة للتعاون مع حائز من يقول بقوله ، وكانت النعمة اشد
الجميع حرصا على الوضع الجديد ، وهي حصن المقاومة الذي يدافع عنه مترنج ،
وكان جميع الممارسين في نظره ثوريين ، وكان رعى ان ثمة واحد وهي قلب كل
شيء قائم على الشرائع والقوانين ، معنى القول ان يقابلوه ضد ذات التي بالمحافظة
على كل شيء قائم على الشرائع والقوانين .

والى جانب العمل السياسي الذي قام به المؤتمر فقد اتي الترا خلفا عند الاحمال
التمافية بما جرى فيه من انهيار والعبث وافلاق عنان الشهوات ، وقد سجدت يومئذ
نقارير الشرطة في فينة التي نشرت بها بعد فضائح واسرارها من حياة اولئك الرجال
نذل على ما بلغوا من الانهيار والاستهتار ، غير ان هذه الصفائح الشخصية لا يجوز
ان تعتبر صفائح اعيرة ، ولا سبب انت المصادر التي تعتمد عليها الشرطة لا يصح
الاستناد اليها ، فهي باعتراف رجالها لا تحولة مجموعة ، هي انه لم يكن هناك
بحال فاشك ان حياض الاله والامم احدث فقط كبرا من اوقات المؤرخين حتى
قال نيران تحت المشهور في كتاب الى لويس الثامن عشر : ان قبعر رومانية
عاشق ، وملك المتمرده متهتك ، وملك ورعجرح لهم ، وملك روسية مفكر ،
وملك بافارية ثرائر ، وملك النعمة مبرف ، قد انفق حتى الآن ٤٢ مليون من

الفرس كانت الذهبية . وقال البرنس دي ليبي وهو يتكلم بكاهة القرن الثامن عشر :
ان موتي يتم عمليات المؤثر ويجمع اسباب طوفه . وهو فرصة حسنة الاحتفال
بذبح فلدرشاك وامير من امراء الامبراطورية المقدسة . وهو القاتل ايضا بعد
ان شهد ما شهد من الحفلات والاجتماعات والطرب والميت كلمة الشهيرة :
المؤثر لا يمضي ولكنه يقص .

٨ - تليان في اواخر ايامه

عندما احتفل تليان بعيد ميلاده في ٣ شباط سنة ١٨٣٧ وتذكر ايامه الخالية
تحدث عن نفسه بهذا الحديث المشجي قال : هذه ثلاث وعشرون سنة من الماضي . والتي
لا ارجو اذا حاسبت نفسي في هذه السنين التي بطوت هل اكون رصيا حليما وعن
الاعمال التي قمت بها في كثير من محاولات الضائقة والاضطرابات التي لم تحدد قادمه .
وما اكثر انما قييدات الحزنة والكثيرات منها . وما اكثر الغموي التي اصبحت
واوهاب التي بددت . وما اكثر الاوهام الزائلة والآمال الخسائية والتفكيرات
الخاطئة . واخيرا ما هي النتيجة : هذه التي تشأ عن النعم المادي والنفسي . وعن
اليأس من المستقبل والآن من الماضي . ان فريقا من الناس يتمتعون بحياة الحزن
لانفسهم والعجز عن ادراك قدرهم وينعمون بها . اما انا فسوف الطالع او سنة
التفوق جعلتي على حد ذلك . وهذا ما يريد مع الحيد الذي سمته نوابي السنين .

وقد يكون هذا الشعور بالآلام . وهذا الندم المستولي على القلب وعلى العن
هو الذي يفسر ما قلته في آخر كلمة اقاها في حفلة عامة كانها وسية فقبل
شهرين من وفاته ذهب الى مجمع النجوم الاخلاقية والسياسية في مارس سنة ١٨٣٨
الذي كان اعضاءه فيه السنين الكبار منهم احد معاونيه السابقين في وزارة
الخارجية . فوجد المثل الاعلى لرحل السياسة وصفا ينطبق على كل زمان قل فيه :
يجب ان يكون الرجل السياسي حائرا على نوع من الشعور الذي يباه ويتذره .
ويتمتع كل مناقشة من شأنها ان تجعله في مركز حرج . وعليه ان يكون مقتدرا
على الظهور بظهر ارجل السهل انما يجد مع بحرره وبعد منسالة . وان تكون

مصادقاته كشيرة النوع ، غير متكففة ولا منتظرة ، صحة غالبا طابع السذاجة ، وربما كانت هذه الصفات نادرة فليست بكافية اذا لم تنفع من صدق الطوبى ضامنا في بحاجة دائمة اليه . اما الفكرة الوهومة المنتشرة فعلى ان اشير اليها في هذا المكان للقضاء عليها واقول : كلا ان سياسة ليست غير الاحتيال والخديعة ، واما كان الصدق محتما في بعض الاحيان فهو خاصة في الملتقى السياسية لانه هو الذي يجعلها قوية ثابتة دائمة ، وتكون كلمة الصدق نهاية موانا ونفخ عندها .

وكانت ذهنة سامعية عظيمة عندما ورثت السياسة بانها ليست عدم الخيلة والدماسة ، فتذكر واما اسند اليه من اباحة وقعة الذل وانغيان وامره وقله ، وحمله تاليلون على حلق بوربون اسبابية واتمر على ملكه وسيدته ، وان تعجب فمجب من هذه الخرافة اني يقدم مساحبا على الحسن على مكارم الاخلاق وصدق الية في تعاملات الدولية ، وهو الذي لم يذكر عن رجل ما ذكر عنه من المنزلة ، بالفوائد الاخلاقية والدينية ، والذي كان يباع ويشترى ولا يباي مفدر او حيانه ، والذي كان يراى على المال ، وبعد اليه يده حينما كان ، ويؤول نفسه كاي قول لسواه ، ومن ذلك انه دافع عن ميرابو لانه قبض مالا من حشيشة الملك حزاء خدمة اناها بقوله : انه لا يجوز ان يقال رغم هذه القصيدة المالية ان ميرابو باع نفسه من الفصر ، فقد تساؤل الملك وكده ما يصح ان يدعى عباده ، وكان يريد ان يعدم فرسة وابنت معا ، فلما ان تحفظت نفسه تحرية الفكر والعمل والوسيلة ولكن بتقيد من حيث النتيجة ... وحرصه على المال لم يكن يدفع حاجته ولكن لقضاء مآربه من المذات والمفاسد ، والفرق عظيم بين تيرن وبين الخطيب الصغيري الذي ما يرح حتى في اسوأ ايام سلته وتبره تنفذ جوائحه تحذوة من الخير والحاسة الصادقة ، وحس شديد للاخلاق الكريمة ، اما ان اراد تيرن ان يجسد شيمها له بين رجال الثورة وحضائها فهو دثون . ميرابو انطمة انعامه الذي لم يكن يستر اطاعه واهواءه جلبات من الحياء ، وكما كان يؤول اخذ المال فقد كثر مبتذر عن الفضليات والحيانات ، وذلك بفريقه بين الخوف والشعوب ، فهو يرى ان الوطن يبقى ، وان عليه تدبير امره والدمع عن حقوقه ، وهذا الواجب هو غير ما يترتب

عليه في خدمة الملوك ، والخطة التي اختارها لنفسه ان يقدم فرصة كهي وبني حالة كانت ، وقد اختصر اوصافه بقوله : التي وضعت نفسي في يد الحوادث وجعلتها رهينة الافئدة ... ولكن الكلمات التي يسوغها لانغير وجه الحقائق ، فانه لا يستطاع ان نجد ما يسوع يبعه اسرار ملاده الى الروسية والنمسة ، وليس في دعواه في اسباب تنكره اناسيون ما يبرر موقفه .

وبعد ان انتهى تجربان حياته السياسية في تلك الخطة التي تلاها في جمع الملوك الاخلاقية والسياسية بقي عليه ان ينتهي حياة اخرى وان يسوي مشاكله مع الكنيسة ، وقد كان يرحي ذلك ويأمل فيه رغم الخلق الخاضعين من اصدقائه ، ولما حانت الساعة وترمه ان يوقع الصلح الذي يفضله اذ انته وتحتو سببائه ، طامحه فوجد فيه ما يرضيه ، ولكنه لم يثبت ان طموحه يوصفه في حبيبه باون توقيع ، لان كل عقد لم يوقع انما يعود للقائدة على الذي يأخذ على مائة امرا ويعزم عهدا ، وبني ان يفضيه حتى يثبت روجه الثرى ... وكانت هذه الصلحة مع الكنيسة كدائر المصالحات التي عقدها ، ندرع فيها بوسائله المعروفة في الاحد والرد والدفع والمطل والمأخيل والتسوية والخبر والمصير والمخافة والتوارث .

الفصل الرابع مترنيخ في سحره وأساطير سياسته

٨ - سياسة النمسة والنورة الفرنسية

كانت النمسة بنياً مانكا قبل كل شيء ، وقوانين الارث هي التي كانت في آخر الامر تغير القوانين الاساسية ، وهـ يكن في اوروبا دولة مثلاً متحسكة بنظام الاسرة ، مدافعة عن حقوقها ، شغلة على ثابيتها ، والتعريب في امر هذه الدولة ان زيادة عظمتها واتساع ملكها كان يزلل ثباتها ويضعف قواعدها ؛ فهي لا تخرج لتدقس الدول من اطرافها ، او تستعين بالظاهرين مثلاً على انفس املاك الاخرى ، ضية لتعين الاتصال بين اجزاء المملكة والدفع عنها وتصحيح حدودها او البحث عن غروس لامر لها ، واداً اردنا ان نقارن بين تقاليد النمسة السياسية وبين التقاليد التي ورثها هنري رابع ورسليو آل بوربون وحداً عروفاً عطية ومباينات كثيرة ، وان كان فيها اتفاق من حيث محاولة توحيد الدولة عن طريق استنفاد قوى الامر ، فطروب التثاقفة سميّاً وراء القبح والاعزى ، وكانت النمسة في الحروب الاوربية تقدم الرجال وحافئوها يبذلون الاموال كما صنعت فرنسا في حرب السنوات السبع والسكافة في حرب اثور.

وقد ثقلت خطط السياسة في النمسة ، فبعد المدا انارخي بينها وبين فرنسا ، حافئها ماري تيرز واستقامت بها على تحقيق خططها ، ولكن السياسة الفرنسية ادركت خطتها ، وعادت في ايم لويس السادس عشر الى سيرتها الاولى في الدفع عن مصالحها ، واسترجع انكر كز الذي كان لها في اوروبا ، وكانت النمسة بعد ذلك

تخرج من فشل الى فشل ، ونحس في كل ملاقية بد فرنسا واثرها ، وكان يوسف الثاني يلتمس سبيل الخلاص فتحول الى روسية منذ تقلد الحكم ، وانفقت مظاممه مع مطامع كاترين وعفدا محالفة في سنة ١٧٨١ ، وكانت الآراء التي يحملها النمسة وتدعو اليها في هذا التحالف تدر سياستها في ايام الثورة كلها .

والامبراطورية الالمانية هي قوة النمسة العليا التي لا تزال نصب عينيها ، ولذلك قال بروسية بقيت خضعا الذي لا يمكن دفعه ، هذا الاراد ان تسلط سلاسلها في المانية وجدت بروسية حذلا في طريقها ، وانذارا ان تمتد الى تركية كانت بروسية تهددها من ورائها ، ونجاح خططها السياسية يستلزم القضاء على بروسية او على الاقل تخليتها ، ولم تكن ابودة بين هذه الدول الا ان لا يقبله ، حتى ان رجال السياسة في النمسة كانوا يشوقون لروان احدي الدولتين بحيث تصبح احدها تابعة الاخرى حتى يقوم بينهما اتحاد سادى وانفرد مشترك ، يقوم مقام تضارب المصالح التي لا ينفك بعضها بعضا سبيل بعض .

وكان يوسف الثاني يحاول التوسع في مانية ، وبفضل لاسيلا ، على بولندية وعلى استعادة سلزمية ، وبفتح في ايطالية ، ويرى ذلك حقا اكثر محارب سبالا ، وكانت مظاممه كثيرة في بلاد الشرق ، وكان يفتي ان يصلح امر الجمهورية البولونية وان تصبح خاضعا على النمسة ، ويريد ان يقر فيها الامور مضطربة وان تقل ديانة لانقاسم حين الحاجة ، مع تمسك القومسي فيها ، والاحتفاظ بالوالمائل التي تعين على امتلاك بعض ولايتها .

وكان من شأن هذه الخطط القضاء على النمسة عن فرنسا ، ولكن نجاحها يستلزم بقاء فرنسا محابدة لتستعين بها في دفع الدول لآخرى وتأمين جانبها ، وكما كان في فرنسا اعداء لطالفة النمسة كذلك كانت في النمسة اعداء لحالفة روسية ، والخطوة العمياء التي تبعتها فرنسا في النساء حرب السنوات السبع كانت برحى انت نمفى اثر السداوة الاناريجية الموروثه ، وصكانت ماري تروز تعلم انها كانت متعلقة بالتحالف ، ولكنها كانت تخفى وراء هذا

المعطف احتقاراً متزوجاً بفتاة الصبر . وكذلك كان يوسف الثاني واخوه ليوبالد ،
يخفون رسائلهما بالشكوى من فرنسا ومن رتبها وميائها الى الاذى ، ومن خطرات
الفتنة المتناقضة التي لا تحذر الا بها ، وهي لا تستخدم عنوان التحالف والتقرب
والوادة الا للجداج عن قرب ، والاسامة بدون ان تخفى مغبة ، اما النمسة فهي
بضد ذلك صادقة ودية واثقة بخالصة ، على حين ان فرنسا لا تفتأ تذكر بها
وتسوق اضرارها ، ولذلك ربما يصح ان نرى هذه الخاطبة . وكان يقول يوسف
الثاني انه لم يحن الوقت الذي يحسن فيه اظهار الحق على فرنسا ، ولا يجوز ان
يسبى ذلك ، ولا ان يغفل ما يفتضيه . ولكن بقدر ما يحتاج اليها يجب الصبر على
الاملاء ، وانحسار العين عن مكنون امرها .

كذلك كان اعتماد النمسة على فرنسا ، فكان رجالها يهتفون بحط الاعتداء
على الترتيبات التي يصلح ان يجمع تحالفهم في الشرق اذا اتفقوا مع الروس ،
بعد ان عقدت فرنسا شأنها ونزمتها ونشاطها ، وحدث الثورة من ادت في اربابك
امورها . ولذلك فهم كانوا يراقبون كل حركة من حركات الضعف في هذه
الدولة ، ولا يكتفون ان يشاهدوا قيام الفتن فيها ، معتقدين ان روح المرور
والكيدة لا تغلب فيها الا اذا عجزت وساءلتها عن تنفيذ خطتها وتحقيق اطاعتها .
واستمرت سياسة النمسة على هذا التناول مضطربة معقدة في مظهر امرها ، ولكنها
من حيث الاساس مسجحة كل الانسجام مع نفايدها .

ولما كانت الثورة الفرنسية نشأت المملكة من غير ان تقضي عليها ، ولم تهدد
اوربة بالدعوة التي يؤيدها السيد نظرت اليها النمسة بسلامة ، ولكنها عندما
انفلتت الى فوسى ، وانحازت الى الدول المخاورة ، وطارت امهاا حطرت على اوربة
قاتلتها النمسة قتالا لا هوادة فيه ، ولم تكن النمسة تريد بحال من الاحوال ان
تقوم في فرنسا حكومة قوية ، بل ان تبقى محدودة سمية . واهتة ، ادهي تعمل
على احياا العرش وتسمى تجزئة المملكة ، وفي الوقت الذي كانت تظهر فيه مؤيدة
لقضية ملك فرنسا كانت تتهتم باسترداد الولايات التي اضطرت الى التنازل عنها
لفرنسة ، وهي الاراس والورين ، وسد تر في هذه الازمة الكبرى الا فرصة
لتحقيق اطاعتها وتنفيذ خطتها وتوسيع حدودها .

والكن طفر الفرنسيين فسد عليها ما رسمته من الخطط ، قد نجد بدا من الانحطاط
الى سياسة التقاع ، فموضت حسناؤها من يوليوية التي منها حيا ، ومن الهندية
التي لم تبد حراكا ، ومن الامراء الاكليروس في اناقة الذين كان عليها ان تحميمهم
فماضت ما كانت ادعيه من حمة الشرف التي كان اولي لها ان تستيقظ ، وتآمرت
مع الذين فسوا الثورة رأسا على عقب وقضوا على العهد القديم ، وبهذه الحوات
ان الموت بالجمع عت بهذا جميع ، وقعت عيب لاساليب التي كانت تتخذها ولا
تقف عند حددها ، ولما تجزئت عن القالب على فرة حادها بسبل ساهل المذمر
بها ثم بدلت القالب الذي نوحته الثورة حدى امير ، لتجدهم وليس الرماضي عيده ،
وبعد ان غابت في العمارك استطاعت افوة العبر والرونة والمطاولة وانصافه
ان تهي - نفسها لتكون حكما في اورة الحديثة في اعظم ازمة عرفها وحرحت منها
اعظم قوة واعلى قدرا ، لما دون تقدير حصة بها في اول القرن الثاني عشر الذين
كانوا يقولون انه بقصبا دائما حبش وهكر ، ان كانت محمدا محتاج اليه من
حريه فكر ، وكانت النسبة تشكو من قلة الرجال الذين يفكرون والرجال الذين
يسلمون ، او الذين تنطوي سعدهم على حب شديد لخير الوطن ، ولم يكن الرجل
يبدون اي حرص على حسن سير امور الدولة ، ولا في الرتبة والاعمال ، ولا
يشغلون الا بقدر ما يشغلون على حورهم ، وكان اميرس كوفز الذي بلغ ٧٨ عاما
في سنة الثورة ، والذي تقوى الى عصر منقصر بغير في عمارة الدولة الى جانب
الامر بطور ، ولم يكن افضل منه في قبيل ذلك العصر الثاني ، شديد الغرور سعة
واقربته وبعداؤه ، يظهر غلاردي رأي العبد والمقصود برفيع ، ويقتاز
باعتقالات الاموال خوفا ، لاساليب السفهائية ، ويبدى شدة من ارباب الامور
منه دأبى افضل المصحيح ، ويجمع بين عجزه خاشية وانه يستطعن ، ولم يكن
ذلك يعرب في رجال سياسة ، وقد كان في جوهره شاكيا من انا في تقدير
نفسه ، مبرشا لكل الحول السياسية ، مغرورا ، حفيفا ، غرور ، رأي ، مبروك
القوة ، عجزا عن اوزان العهد الجديد ووجه دخلة ، لا يهمل الامر الا تحت
طريق المنطق ، ولا يتكلم الا بالتفسير والاسباب ، وقد أصبحت فيه هذه العادة
مملة على تجاوز السن ، وامدت الثورة عليه لاسابه لسياسة ، وهو ما يعرف الا

فرنسة التي يحكمها نوبس الخامس عشر ، وكان انه امام بولونية ثانية وعمل بما يقتضيه ذلك ، وقد جر هذا الخطأ الى عواقب سيئة ، وما يكن في تصرفه رجلاً متفوقاً قادراً على ان تكون له آراء واضحة وارادة صحيحة وخطة متممة ، فحرم بيت النمسة من النصحاء وما بقي عنده الا امرأته .

ولما مات يوسف الثاني كانت نفسه المضطربة المعلقة سائرة في سبيل الفناء على كل شيء ، وما يكن له اولاد فقام بالأمر جوه ليوبولد ، وكان المعيا حازماً فطيناً دقيقاً قادراً على اصلاح الفاسد ، فادركته المنية وتوارى في رومسه في الزمن الذي اسبغت الحاجة اشد ما تكون اليه ، محملاً ببرئته لانه الفنى الناشئ ، الذي لم تسبق له تجربة ولا محاولة للاعمال ، فمضت سنين على مرسوا الثاني وتوالى عن كثيرة حتى استخلص صفته القاتلة وهي الضيق التي كانت اعظم مزية في الدولة .

وإذا كان هذا الضيق كافيًا لدفع الاحتمال الشديده التي كانت النمسة يفرس منها ، وإذا ساعدها كذلك على تقطير الأيام بساعة والقاروف الملائمة التي اقترع بها مترينج اعطاه الموائد مراعاته ، فقد كانت هذه الدولة تسير مما كفة طائفة الاشياء ، وكانت محرومة المادة التي تكون فيها عناصر البقاء ، غير ان ما جعلها تنفق في اواخر العهد القديم هو الذي انقذه في ازمة الثورة .

٢ مترينج والسياسة الاوربية

في بدا القرن التاسع ملا مترينج مساحة العالم كما ملأها نابليون ، وكان هذان السياسيان العظيمان في وقت متقارب ، اعدا حياناً واصدقاء احبائاً ، ويقال عن كل واحد منهما انه بدر سياسة عصره ، حتى ان بين الرجلين كثيراً من عوامل الاتفاق وعوامل الاختلاف ، وكلامهم كان عرضة ليقض العالمين والافراء ، ولا يكفي لتقدير هذين الرجلين معرفة ما في نواحيهم الخلقية من ضعف ، بل ينبغي ان ينظر الى مجموع ما قما به ، اما نابليون فقد وهب توقع الحوادث المقبلة وكشف اسرارها ، وهي موهبة خطيرة ، فلانسان لا يريد ان يسخر او يتحذر ، وكانت عيناه تنظر ان دائما الى التمد الذي يني عليه خطته ، واما مترينج فقد ظلمت كواكب

سعدته عندما تحول الزمان عن نابليون . هجرت يده في محادثة الامبراطور كل ما اوتيته من دهاء وعبقريه وذكاء تفوق من تفاد سحره وفق نفسه ، وكان في اول امره بتظاهر بالحياد بينه وبين خصومه ليخفي استعداد بلاده للحرب ، حتى اذا وجد ان فرنسا قد فتت قواها التي قناعه والتحق خلفاءه . وقد خدع ناپليون جميع الاوصاف والعبود ، وكان يائساً عن موعد سقوطها قبل الجميع ، وبفضل رأي واضح سياسة قائمة على مبادئ ، مدينة وان كان ينح في التوسل الى غايتها عبر طرق معوجة . وكان مترنيخ يصد ذلك منسجج كل الانسجاء في حلفه والسلمه في مدة سبع واربعين سنة قضائها بين سفارة ووزارة . وقد اتفق اليه ما كانا يهين بعبارة ودية وتسلطها . ولكن لم يكن النابليون مثل مثل مترنيخ في حيلة حتى ينصرف ذهبه الى التواؤم العام الذي امتار فيه مترنيخ على سواء من اقطاب السياسة ، مثل رشليو وكافور وبسمرك ، الذين كان كل واحد منهم حذرة مصاح بلاده والحرس عليها قبل كل شيء .

وقد امتنع مترنيخ عهده في السياسة ولم يبلغ الثلاثين . فحين مددوا بفرنساوا الثاني في درسد سنة ١٨٠٦ وكادت معاهدة بومبيل قد احدثت السيل الى اوروبا . وما كاد الوزير المتوس الشاب يحرص عمار الحركة حتى يرهق على ذلك . خاف وحذر باهر في تقدير الامور واستطلاع خلفاء المستقبل ، فادرك بتكهنه وسبق ظنه ان الامبراطورية الالمانية مهددة بالتحلل قريب وان الدولة العظيمة التي اسسها نرمان ستذهب مثلاً في القاري . وان العظمى ستصف يد اضطرابات عنيفة تسلطه الحدود والسكينة الى احال بعيد . ولا شك ان الذي يفتدي عمله يمثل هذه النظرات الى المستقبل نذال له العقبات وتهدد السبل وتفتح الاموات .

وكان بطمع مترنيخ بعد ان ذهب الى برلين وزيراً مفوضاً ان يسم بروسية الى الاتفاقي المعقود بين روسية والنمسة . ولكن معركة استراليا تبق بحسبالات روسية ، وغیرت معاهدة برسيبورج تاريخ اوروبا ووجهها . فدمرت الامبراطورية الالمانية ورعزت سلطان النمسة ، فاستدعه فرنساوا الثاني واسكابة آخذة منه كل ما أخذ بهد وقوع الكارثة ، وكلفه ان يذهب الى باريس ليقيم فيها بقية خطيرة :

مهمة الوقوف في وجه الغالب المستعبر الذي هو حاكم العالم .

وما كان يصل السفير الجديد الى العاصمة الفرنسية حتى اخذ يستهوي القلوب بظرفه ولباقته وحسن تقاطيعه وجمال سمته ، وكان في أثناء عمله السياسي يحاط بالكل شيء ، ويظهر انقباضا وثقة ووقورا ولا يبرح من مكان من نفسه ومن لسانه ومن حركاته . واذ انكم درياله النطق ، وكان لديه على الدوام حلقا ومتابع فلا يطلب على امره ، واذ جمته التذليلات والتطبيع فانه يظهر بثبات فكها ، مرسل نفسه في سجينها . ومتحدثا بحديث كأنها قطع النجر ، شديد الولوج بالآداب والفنون ، شديد التهاكت على النساء ، اما ترجيل فكانوا معجبين به ، وبعد مناسوه متصفا مدنيا ضرورا .

وكان السفير الذي يتجاوز عمره ثلاثة وثلاثين عاما بقلب حوله نظرات تنفذ الى بواطن الأمور وتصيب كبد الحقائق ، مما لبث ان عرف مقامات الامبراطورية ومواطني الضعف في ذلك السلطان الضخم . وقد وجه دفة ديبلوماسية الى نابليون لتعرف حقيقته وعلمت حجابها ، فمد كؤوس الباهر ليراقب القائد الكبير الذي يسلم في العالم منكم ورفع لوائه ، وبدون ان يتخلف امره ذات انوار الساطع في عطشته ، فقد مر جميع التفاصيل التي تستعير الى القضا عليه ، وتبين هذه الحقيقة ان الانتصارات نابليون هي كانت امير الانظار ، علا الاسماع فيها فاكس والذبح حاشية لا قيام بعدها صدوه ، فمد ريموني وبعده من افق وبعده لواء وبعده استرليتز لم يشه شيئا ، وعلى القائد ان ينهض في القدر خوس . معركة جديدة ، ولذلك فانه عندما كانت تأتيه انباء الانتصارات ، تكن تظهر شعث من ملاحه ، لانه قد استقر على التبرج الذي يسير عليه ، وعين الحطة التي ينبغي ان يسير عليها بلاذة المهانة . فكان يوسى بالصر والانتهاز والحناء رأس هذا قصي الامر ، ويستمد في السر ليوه العظيم الذي يكون فريسا او عريضا ، والذي لا يد ان تنهي فيه ابله نابليون . وقد اكثرت له رأيه بعض تعادلاته مع تيرنر وفوشه ، كي ان الحوادث ما عثمت ان حققت برهانه .

٣ - احباط خطط نابليون

أخذ الميخائيل يفت في غصه الفاتح ، وكان ما صنعته ببارث في كين يون قد كشف القناع فجدة عما رموي اقيام به في سينة ، فكتب مترنيخ الى ملكه يقول : ان الكوارث التي برافها القضاء على عرش اسبانية هي في الحقيقة متجهة نحو تجاوز السياسة المخادعة الدامة الخجوة ، التي ما برج نابليون يتبعها عند بدء عهده ، والتي شهدتها اوروبا شهود الفرح الغائب ... وسمع ذلك فانه لم تنللك المبادي . بقدر ما انتهكت في الكمين الذي نصبه نابليون لرحل باس من آل بوربون حتى يتفرغه من ملجئه المقدس . وبعدده برسام في غاية فسان ، وانتهى السفير الى قوله : انه لا يمكن بعد الآن عقد سم ثابت مع نابليون .

ثم لاح مترنيخ آفاق جديدة ، فكتب بمسند اسم الى فينة : ان نابليون يريد القضاء علينا ، وهو يتحرى ذلك ويتعمد القيام به ، لان مقادنا لا يناسب من حيث المادي ، ومن حيث الساع الملك وما يرجوه من سلطة عنية ، ولكث هل يحارب نابليون النمسة فيل احصاعه اسبانية ؟ كلا فن هذا الخضوع سيكلفه غناء كبيرا ، وهو ما يتوقع ان ييران الثورة ستمشعل حمى في شبه الجزيرة كلها ، ولكن مقاومة اسبانية وشؤونها لا تعيقنا من اقبال في سبين استقلالنا والدمع عن انفسنا . ثما كان من فرنسوا الاول ، هو فرنسوا الثاني قبل جمع العرش سنة ١٨٠٦ ، ومن مستشاريه ، الا ان وقفوا عندما رسم لهم مترنيخ من التائب واعد العدة في السر ، ولكن نابليون لم يلبث ان انصاع له . انباء ذلك ، فوجه ذات يوم السفير النمسة كلت فارصة على مشهد وسمع من الهيئة السياسية كلها وقل له : وانت اهمها السفير : ماذا تريد سيدك الامبراطور ؟ يريد ان ارجع ادر جي الى فينة ؟ فتلقى مترنيخ هذه الخدمة من غير ان يعرج عنه نظيره ، وقد فقص هذه القصة فقال : كلما طان الحديث كان ياخذ شكل مظهر عمة ، وكان نابليون يرفع يوته شيئا فشيئا كي هي عادته عندما يريد ان يفتح لوعاب في قلب عساطيره او التأثير في سامعيه ، ولكني لم احقق موافقي ، وكنت انقص بانهمكم حججه التي يأتي بها ،

الى ان فطاع الحديث حذو ونكص على اعقبه منصرفاً من غير ان يطوف على المجتمعين ،
وقر ثارت هذه حساسة الخافون ، واندثت اعمار البورصة في اليوم الثاني ،
وظن ان الحرب قدمة على الابواب ، ولكن مترنيخ ما زال يعتقد ان ساعة الخطر
لم تكن بعد ، وان نابليون كان يريد رهاب النمسة في الوقت الذي كان يشتد الخطر
على جنوده في اسبانية ويضيق عليه الحناق ، ثم تابست الابهاء بالخلل ، عن مدريد
وغيرها ونرول والنطق وضججائن فيلقين من فيالق فرنسية ، فضاعف مترنيخ
بقطته وسهره ، وحمل على مؤامرة تبران ومحامته في السر ، وغرف منه ما كان
من التفارب بين نابليون وبين اسكندر فيسر روسية ، وايقن ان هذا التفارب
سيؤدي حتماً الى حوادث خطيرة مخيفة ، سيكون في مقدمها محاربة النمسة .

و مدان ماغ نابليون دروة الخد في معركة واعرام ، واسرع حينئذ النمسة في
تفكيره نحو مورمية ، استدعى فرنسوا الاول مترنيخ وولاء وزارة الخارجية ،
وتحذر وهو في السادسة والثلاثين من عمره ، عظم ايمعة وانعاطها خوف ومشفقة ،
لان حياة اياته اصمحت عزيمة لا يخطر ، وقد بلغ القويط حده من حذر آل هابسبورغ ،
وتحفظ نابليون ما اراد من سياقة اوربة واصبح بحالة يستطيع معها اذا اراد ان
جمل مصير النمسة كصير روسية واسبانية ، حير انه في هذه الايام المظلمة بقي
مترنيخ وحده لا استعوى عليه الرئيس ، ولا يخرج يعتقد ان بلاده لم تخسر رهانها ،
وانها لا بد ان تنص من سائرهم ، وسما في شعوره عن عدوى اليابسين والقانطين ،
وكان له بذلك عظم الفخر .

ولم تكن آراء مترنيخ هذه مستمدة من نفس كبيرة ثلثي ان تنحني امام سدود
النفق ، لانه لا يستطيع لان يعتقد ان حربة الانساب التي تناسل القوى
الخارجية سينتهي امرها بالخطر ، ولان مواميل الاحلاقية الخالدة لا بد من ان
تنفذ على المدى لا يكتفون بها ، كما كان يقول في الساعات التي يجرمها تفاوله ،
ولكن يعتمد في تنفيذته الراسخة على الاسباب الاعيانية الراهنة التي يحس بها
حقائق ، يرى بعد نظيره ان صبح نابليون قريب الزوال ، ان بقاياه يوشك
ان يتداعى وينهار ، وقد وصف ما كان يتردد في خاطره بقوله : ان نابليون بانقياده

الى رغبة الامتلاء على اذنية تجاوز حدود الممكنات ، وليس لدي ادنى شك في ذلك ، واني ارى ان نابليون واعماله لا تنجو من اضمحلال معاجي . . . ولكن متى يكون ذلك وكيف يكون فيها امر ان نابليون عندي ، غير ان وجداني قد رسم لي الطريق الذي ينبغي علي اتباعه حتى اشترس سير الحوادث ، والا احرم النمسة حظها من النهوض الذي تستمد من اعطاء قوة : هي طبيعة الاشياء .

ولم يبق بعد ذلك لمترنيخ الا غاية واحدة وهي القضاء على نابليون ، فبذل في سبيل ذلك كل ما اوتي من حزم لا مثاله وصبر لا يقاود به ، وقدرة على انتهاز الفرص لا يفتقر لها معين ، وكان ثم شيء ، لديه ان نسان النمسة من الزوال ، قد يحجم عن توقيع معاهدة ١٨٠٩ التي كانت كارثة عظيمة ، ولكنه كان يريد قبل كل شيء ان يكسب الزمن ويتحين الفرص . وقد امكنته في تلك الزاوية فرصة عجيبة عبر مستطرة مقتصر عند سئوحها ، وذلك ان نابليون طلق جورفين واسبح بطمع ان يزوج ابنته روسية ، فحجب القيص من اهداء شقيقته ، ولكن فرنسا الاولى لم يتأخر في بذل بنته ، وهم يرواح في نمسة ايام ربيع الاسنكار العام الذي انقارته هذه الحادثة ، وبعده التذكري المؤقة التي مازحت تؤدي آل هابسبورغ ونشجي حواظهم من مصرع احدي اميراتها : ماري انطوان ، اذ سيجلس على عرش سيقت منه الى القفلة اميرة اخرى من اميرات هذا البيت المالک ، ولكن مترنيخ لم يجد في هذه المصاهرة المنكرة الا وسيلة ضرورية وموقفة ، ورداً تخملي وراء النمسة لتستجمع قواها وتشتط ساعة احد الثار من العدو الالذ .

ودعا نابليون مترنيخ الى مرافقة ماري لويز في انتقالها الى العاصمة الفرنسية حتى يكون مرشدا لها في خطواتها الاولى ، وحتى يؤكد التفاهين الامبراطوريين ، وقد كتب مترنيخ الى وليه يذكّر له الحسنات التي نشأت عن هذه المصاهرة ، فانها غيرت وضع النمسة الذي كان باعثاً على القنوط ، وجعلها تتمتع بفسط من الراحة ، بعد ان اصابها ما اصابها من التضعف في الداخل وفي الخارج ، لذلك

بتحتها على الحكومة ان تقسم هذه الارضة اوراقية ، وبذلك فصارى حدها في إعادة تطعيم قواها التي سقطت سقوطاً هائلاً في أثناء النكسة الأخيرة وسدها ، وان تمد هذه القوى بكل حذارة يمكن ، فوعدها ، ومن الخطأ الكبير ان يكون تقدير هذا المستقبل بحسب الحنين الأولى التي مرت على امبراطور الفرنسيين ، فان رواجه من ارشيدته كدقة ضمانة للنسبة لا تعادها ضمانة ، ومع ذلك فانه من الخطأ ان يظن ان هذه المساهمة لا تؤثر على خطط نابليون كلها وان تحدث تدلاً في آرائه جميعها ، ففي مطلع نابليون قوى السيطرة على المساء ، وقد يدوم هذا القوى وبحال دونه ، ولكن لا يستطاع استئصال حريته ، ولولا هذه المساهمة لكانت النسبة قد احاطها الامتداد من الآن ، وفي الحق ايضاً ان يقال انه رغم هذه المساهمة ، فمستأمر الامور قدسوا الى سيطرة جميع قواها حتى تقاوم الاستعباد ولا تقب مواقف الهوان .

في أثناء هذه النسبة موقوفة اي قواها مبريئة الى خلف الامبراطورة افريقية ، كان يستفيد من القوة من ايمانته ومدهو صانته ، وقد رثى ان الشعب الفرنسي بكامله فاجره ، ولما بين له مآرجه ، الا براحة والامام ، ووجد ايضاً ان امراء الجيش وعظماء الدولة منوا بمساهمات في لا انهمي ، واستجبت اطراهم فتعصر في التمتع بالحسنات التي ادركوها والبركات التي نالهها ، وقد نهت لثوران الى بوادر الخلاف بين حقيقي تلمعت ، وسيكون عملاً قريب حدهم سدوا الآخر ، فكانت الى الامبراطور ان الحرب سبقت في اشمل سنة ١٩١٢ ، وقد فوجئ ، مفرنج فانكرا ناسيون وعودته ، ونكته ، يدهش لهذه التفاجئة المفجعة ، وسرعان ما انتبه لها ، واحاط بظفارة واحدة في التوقف وفي سحب التوصل ، وارتفعت النسبة التي تقف بها اوروبا من مدعمة فرجة وتصبح حكماً في السرد العام .

ولكن ماذا يمكن تحقيقه ؟ ليست الخطة مبرجة : وهذا ان نابليون لم يفقد قواه بل انه تطلب على ارضه وعلى ابروسيين في معركتين متتابعتين ، موضع مفرنج خطة قائمة على مدانة من الاعمال والاساليب التي تعد بالنسبة تكون وسيطة بين

المتحاربين ، واقيد نابليون بعبارة متناهية في التسليل والاسهام والوعود الخلابه الى مؤتمر براغ ، كانه شرانقد نصب له ، وقد تبرت الامور بخدق وكياسه لا حد لها ، وادبرت بعدها ، وبمقريه فكانت نعيمة سياسته تفوق كل وصف

وقد التقى مغربيخ وجها لوجه مع نابليون في درسدن ، وقد اني يصل اليه مرقي جماعات من كبار القواد والضباط ورجال الخاشية الذين انقلب حورم الاوسمة البراقفة والشارات المذهبة ، وعت عينا كل واحد سجاة من الماء والغلق والمنجب ، فتقدم اليه الجنس نوشائل قائد الجيش الكبير ومحس في اذنه قائلا : لاناس ان اوريه قد كرهه الحرب ، وكذلك فرامة عربي لا تريد الا السرد ، واسنمر مغربيخ في حلواته لا يامس بيت شفة حتى فتحت له الابواب ودخل على نابليون ، وكانت بينهما هذه المقابلة التاريخية الخظيرة التي سقيا مغربيخ بقوله :

كان نابليون واقفا في وسط عرفته ، ودلف الى منظاره بالهدوء ، واني من محبة الامبرطور ، ثم لم يلبث ان انقلب اساربر وجهه ووقف نحائي ، هو يقول : انكم تريدون الحرب وما هي عندكم السبب ، لقد نهكت الجيش العربي وهزمت التروس ، واشت تنظرون بومسكم ، وبعيد في قبعة ، الا ان لرجل لاسيون الى الرسد ، وعظمت المضي لانهم به قد أعدت الامبراطور وسوا ثلاث مرات الى عرشه ، ووعده ان اتقي مائا له ما يقب حرب ، وتزوجت ابنة ، وكنت افون في نفسي اني اركب متن الصلال ، وكن هذا ما هو كان ايمم واني نادى على ماحضت ..

هذه السمة التي دلى بها نابليون جملتي اسمر بقوة موقفي ، وقد اترك في هذه السابة الخاسمة اني امثل اورية بامر هذا ، وماذا قول ايضا ؟ ان نابليون كان يسفر في عبي ، وقد احبسه في الحرب والسفر في بد جاسك ، ومعبر اوريه ومستقبلا ، ومستقبلك ايضا كان دت رهين بآزونه ، وانم في هذا اليوم بوسمكم ان تفقدوا السبر ، اما عدا فقد يموت الوقت ، فقال لي فجأة : وماذا يراد مني ؟ اراد

ان ادلس ثم في بالدار اكلا : هذا لا يكون ابدا ، اني اعرف سبيل الموت ، ولكن لا اتأمر عن شهر من الارض ، لقد ولد معكم على الارض ، فهم يظلمون عشرين مرة ثم يعودون الى عواصمهم ، اما انا فيجئني بالغ ما بالغ :

ومضت المحادثة ثماني ساعات على هذه الطريقة المؤثرة . وكان نابليون يحاول ان يعرف موقف النمسة وحقيقة قواها ، وكان مترنخ يحتاج عا تقاسيه اورية من آلام ، ولا يحجم عن الاستدلال بنقاد قوى الشعب الفرنسي . فتأثر نابليون من هذه التكاليف وقال له : انك لست جديا ولا تعرف ما تقول في خاطر الجندي ، اما انا فقد نشأت في الحروب ، ولانهمي حياة مليون من البشر ، وكان الاسى بالأمم منه مبلغة ، فرد عليه مترنخ قائلا : نادى على الى بين اربعة حدران هذه العصورحات ؟ افتتح الابواب ، وادع كائنات هذه ندوى في احدى فرصة وفي اذناها وحينئذ لانكون القضية التي اذاع منها خسارة .

ثم خيم الظلام ، وكاد المتحدثان لا يعرف احدهما وجه مساحبه . ولكن لا يستطيع احد ان يدخل غاري ويوجد له الصابيح ، فلما عاد الى نابليون هدوء نفسه ومسكن نواثر حاشه : حسب مترنخ ياضف لطجائه وهو يضع يده على الباب وقال له : اعرف ماذا يقع : انك اني تحاربوا : فجاه الثاني يوقر ونملي : قد ولي امرنا بالصاحب الخلالة ، وكنت اشعر بذلك قبل تجيئي الى هذا المكان ، اما الآن فقد ناكذته .

وبعد عشرين يوما بعد مؤتمر براغ ، وكان مندوبو النمسة يتكلمون بلهجة الأمر ويقفون موقف السيد ، وقد رمض نابليون الانذار الذي وجه اليه ، فاعلنت النمسة عايه الحرب وتوات قيادة الجيوش استعدادا .

ومضى مترنخ في حقله لا يفكر الا في غلبة الدولة وحققها ، ولا يمتحن في معرفة آل هابسبورغ التي زوجها من نابليون . ولا يما لايتها من حقوق في العرش ، ورأى من حسن التدبير التي فصل بينها وبينه قواها بالذهاب الى اكس بان ومنها من

الاتفاق بزوجها في جزيرة البه ، وارسل ملك رومنة الى فينة ليفتح فرخ النسر تحت جناح النسر الامود ، وما كان يعرف ما يرسم من نفس الارشيدوكية الامرطورية ، فقد اسبها الى تبرج ، عبر مبال بالتهمة والظنة وتجاوز بذلك ، على ما قال احدهم اوتيه ، حتى خاطط مكيفني واسايبه ، وهو في حقيقة ، يمكن بيالي ما يفعل في سبيل آربه ، ولم يكن يتردد في عنف او قسوة ولا غا يدعو الى خجل او ريبة .

٤ - - اوروبا في عهد اسكندر ومقريخ

الفيصر اسكندر والرئيس والس

كانت السياسة الاوروبية بعد انقضاء عهد نابليون متأثرة بسياسة رحلين : اسكندر الاول فيصر رومنة ومقريخ مستشار النمسة . وكانت تتوقف على التفاهمسا واحتلالهما سياسة الدول المعظمة في اوروبا ، وقد بحث في ذلك العهد بمشكلات اربع : فرائسة في نظامها الداخلي ومقارنها الخارجي ، التمدد في الشؤون الابطانية والاسبانية ، المسألة الشرقية ، المستعمرات الاسبانية . وافقت الدول على عقد مؤتمرات موقوتة لمحاولة على النظام الذي وضع ، والبحث في الامور التي تتم السموت لاوربية وتضمن راحتها ورخائها ودوام السلام فيها ، وما لم يكن قد حدد وقت معين لهذه المؤتمرات ، فقد كان مقريخ يلجأ الى اسانيبه حتى يعزز موافقة الدول المتحالفة على الاجتماع واتخاذ قرارات بالاجماع .

غير ان الاتفاق بين الدول المعظمى لم يكن الا ظاهراً ، فقد كان مخفى ايضا ونعاساً بين اسكندر ومقريخ الذين كانا يرجع انيما ويقرران سياسة اوروبا على هواهما ، وشتان بين الرحلين في الاعلاف والاقاية والسياسة والنهاج ، فقد كان الفيصر كريم امرة ، بين القلب ، شديد التعلق بواجبه كـ رئيس دولة ، منزع بالذرع لاهداهب الاندانية ، وقد ساعد هو والسكترية على قمة نظام دستوري في فرنسا وفي سويسرة ، ومن كذلك نظاماً دستورياً بولونية ، وكان منشأه حراً وهو يميل الى الحكم الدستوري الذي تنافيه سلطنة ملك ، اما مقريخ فقد كان

سياسية من اصحاب الشكوك وقله التحرج ، لا يعني الا بالسياسة القائمة على المصالح ولا تعرف الا لسياسة سبيل الى نفسه ، وهو يرى ان مصلحة سيده في المحافظة على ما هو كائن ، وان اساس السياسة لاورية في المحافظة على الراحة والدعة ، وكان عدوا لجميع الثورات متمسكا باساليب الحكم الارستقراطي باطلين ، وكان دستور في نظره سلاح في يد الثائرين ، وكان جوهر خلاف بين المقصر والسشار قائما على الطريقة التي يؤسس فيها نظام دول اوربة الداخلي ، وكان الاول يؤيد الحكم الدستوري وبامر محظية بوزرائه ولا تشارك له ، على حين ان الثاني كان يدعو الى مبدعات وبهم سياسة المقصر في الامير طوربة الثمنية ويسميا سياسة فتح واستيلاء ، وعلى كل حال فن التناقض بين الرجلين اقد الاحرار في اوربة اللذين كانوا يباوونون الحكم الاستبدادي المطلق .

وفي اثناء مؤتمر اكس لاشامل كان اسكندر قد بدأ في التحول عن سياسته لان الصراع بطن الفتن قد اجتمع ، فليست الفرصة مفرجة وسنفاذ من اتمام القيصير الجديد ومن محاولة مقاومة المناصر المائرة والتماون فمع كل امال بلامس العام والاطام ، وقد غطت بهذا العمل الذي صاب اسكندر وحشيته ، بعد انه كانوا يعتمدون على محاسنهم فكره ارمات ويندثون بقوا الحية كما لا عضية عند انتظار بين الواحات ليول الحديثة من كل فئة ، واسبح مفرج بشط انصار الامن والاطام وحب انصار الفتن والاقلاق وقد قل ان سمعنا انهم من النتائج هو اطمئنانهم الى انهم يحدث تغير بعد الآن وهذا اكبر انصار الصحافة الذين يستجروا الآراء الجديدة ويثقفوا بها .

اما الحكومة البريطانية فقد رفضت ان تأخذ على عاتقها عهدا ملفا ، مما وعندها اقترح انصهر اسكندر عهد العهد الحوي بين الخاقاء للمحافظة على كل الحقوق ، واجب كاستمرع مندوب الكثرة ان المعاهدات لا يمكن ان تقوم الا على اساس الواحات السياسية فمادة التي تديم دولة امام الثانية ، ولا تكن المعاهدات سنة ١٨١٥ ترمي الاغنيان آية حبيسة ، هي موضوع تلك المعاهدات ، وليس بالمستطاع قبول تدخل دول في شؤون اخرى ، لاجل مقصومة تغيير شرعي او

غير شرعي ، ان الاستطلاع ان تكون دولة احادية حكما في امور دولة غيرها مما كان شأنها ، وقد ذهب الخلفاء ، ما في مبدأ وحده على عقبيه مرفقة اليد في اوروبا والمحافظة عليه وعلى تنفيذ الامارات . وقد كان هناك لخالف ضمني ، فانه يخرج منه احبار كل دولة على اليد الاخرى في نظام الثورت بملكت وفي توسيع الحكم والمطلة السياسية ، وحيثما من محال العقب والاضطراب ، وهذا ما يفسر ان هناك قوة عدم الاستطلاع ان نكره جميع الشعوب والمجوع على تنازع نظام عدل في الدحل . ولا ينبغي ان يمد من الاختلاف كالاتجاه الى القوة الجديدة على حكم قائم بدون الاكثريات بالضرورة التي يمكن سواكمها واسانة العمل فيها . فسلكت برهانية بذلك سياسة عدم التدخل ، فاعتبرا في سنة ، وفدت احادية سياسة التدخل وشاركتها في اروسية وبروسية ، وفي التحالف وحيثما يكون شخص ، غير انه بدأ يتدخل في معاهدة فستين فخلت منذ سنة ١٨١٥ . ثورة المستعمرات الاسيانية والمسألة الشرقية .

ولكن تغير الانحيازات تحت تغير السياسة ، وقد انجز وزير الكثرة الاول كاسترغ ، وحل محله كاتع الذي كان وزير الامور الخارجية في سنة ١٨٢٣ ان التحالف كان اتحادا لبحر من ، كبير من اسط فراسة العسكري ، وما يكن في حين من الاحيان اتحادا لحكومات خلف ، وتدير شؤونها الداخلية ، فاما على امور الدول الصغرى ، وانكر كاتع ايضا نظام الامن الاوربي وسياسة التدخل في اسبانية ، وقال بان الكثرة اتج في تأكيد ما يريد الشعوب ان تقرره من الوضع الذي تختاره ، وبما يكتم بوضع مبدأ عدم التدخل ولكنه طالب بحق التدخل السياسي في شؤون دول اخرى ، واستمر على معارضة الخلفاء ومقاومة سياسة مترنيج .

وقد نظمت المستعمرات الاسبانية الثائرة امورها واستادت اوضاعها ، في الوقت الذي كان شاتوبريان وزير خارجية فراسة يقترح مبدأ التدخل في هذه المستعمرات ومؤامرة ملك اسبانية في احصاءها ، وهذا معارضة لسياسة الاولى التي كانت

فرنسة تشاع بها الخطة الانكليزية ، حتى حيثد كانغ حطبة عظيمة وابلغ الدول
دوبولينك صغير فراسة ان كل تدخل لاجبا ، السلطة الاسبانية في امريكا تعتبره
الكتيرة صيب حرب ، اما الولايات المتحدة فقد اعترفت بالاستعمارات الاسبانية
وقررت مبدأ موثرو في سيادة امريكا ومقاومة التدخل في امورها .

ثم كانت المسألة الشرفية واعترف كانغ بحق المغارب ليونان . وقال : ان هذا
الحق لم يكن مبدئاً ، ولكن امرأ وقفا ، وقد تردد القصر اسكندر في معامدة
اليونان ، ولكن حلفه نقولا حارب الارمن في سيباهو . ثم انتقلت قيادة الدول
الاوروبية الى الكتيرة وفرنسة ، واحذت النمسة بفضال امرها في قضايا السياسة
الاوروبية ، وهاوي نظام تريخ عهده ، كما زالت الاحلام اسكندر قبصر الروس ،
وجر الرمان دبول العفاء على خيالاته .

وكانت هذه الاحلام والخيالات شبيهة باحلام الرئيس ولسن وخيالاته في
اعادة تنظيم الجماعة الدولية ، وانشاء عصبة الامم . وحتى الشعوب في تقرير
مصيرها ، وميثاق العصبة ، والمواد الاربعة عشر ، ولكن المبادئ طامسا علت
على امرها وادليت منها الحقائق السياسية والعاملات الدولية .

وقد اتفق القصر والرئيس ولسن في ان كلهما لم يمد نفسه بحاربا في جملة
التجارين ، ولكن حكما بين الفريقين ، حتى ان المفاوضات الالمان سنة
١٩١٥ - ١٩١٩ كانوا يلجأون الى الرئيس ولسن والى مبادئه ، كما ان المفاوضات
الفرنسيين سنة ١٨١٤ كانوا يرجعون في بادى الامر ممونة الامبرطور اسكندر
وحفاه ، وفي هذا التاريخ وذلك كان امر تنظيم اوروبية وانشائها يحتاج الى مثل اعلى
والى عوامل معنوية ، في مؤتمر فينسة كانت يدافع عن حقوق الملوك وفي مؤتمر
فرساي كان يدافع عن حقوق الشعوب ، وفي مؤتمر فينسة كان يراد انشاء نظام
دولي للتعاون وهو تامين السلم والحفاظة عليه وتحريم المخاصمة وتنظيم الملائق
الدولية والنواصات والتجارة ، وفي مؤتمر فرساي وفي عصبة الامم كان العمل
لهذه الغايات اوسع نظاما ، وقد استمر اسكندر الاول في مدة اربع او خمس سنين

بمعل على تحقيق خطته العظيم في الاتفاق بين الدول وفي تحديد السائح . ولكنه بعد ذلك اصابه السأم والضجر وذهب في سبيله .

ومما كانت الفوارق من حيث الأساس ومن حيث المنشأ ومن حيث الزمن بين اسكندر الاول وبين الرئيس والسبب هناك تشابه عظيم في موقفهما في ميولهما وفي خلاقتهما ، وكما نرى القيصري عن برناجه ، قلت المواد الاربعه عشرة التي ادخلت في المعاهدة حوت الى يعقوب امير ايريس نفسه بجهلها ، وقد كانت في مكانه انساني يدعو الى مبادئ غربية ، فلما وصل الى باريس وحاس بنفسه عمار المفاوضات ، انحدروا عن مستواه الرفيع واصبحوا في نشاطهم المهرق بالاسلحة المادية والبراهين القاطعة ، وادراكا قدس باكثر برناجه وتنازل عنه ، فذلك لان همه الاكبر في اتفاق مابقي وهو انشاء عصبة الامم ، ويمكن انفي في تشبيهه الى ابعد من ذلك ، وكلاهما يستمد حكمه من الغاية ، احدهما بنعمة الله والاخر باسم الدستور ، وكلاهما يمتدح بمكان صلاح النوع الانساني وينطوي على نفس نفية وتقدير اعظم المسؤولية ، وكلاهما يرى ان افضل طريقة لمعاداة على السلام توحيد الدول في عصبة واحدة ، وكلاهما استقبل بحماسة لاحدهما ، ولكن ما لبث ان عرضته خلفاؤه وانكرت له بلاده ، وسفهمه - افراناس ، وقد انكرت الولايات المتحدة الرئيس والسبب ولكن اسكندر قد انكر نفسه وحياته بسبب حراة مناهية وحب شديد لاملل والحربة وثقة بالرجال مفرطة .

٥ . الحاكم باصره في التنمية

بعد ان انقضى امر نابليون وعقد الصلح في باريس واجتمع مؤتمر فيينا ، اخذ الامر في التنمية برجع كله الى مترنيخ ، فحقيق اننا نرى تطور الامم والملك وشناوينه ، وقد اتجه انتشار السياسي حطة عامة . تابعها في مدة ثلاث وثلاثين سنة بعد وحقق ، وهذه الخطة تختصر بصيغة سهلة : قمة المهر الخارجي بين الشعوب على اساس توازن الدول واتحاد العروش ، والقمة المهر الداخلي على اساس تعاون القوى المحافظة واتحاد الحكومات المتروعة .

لما من الناحية الخارجية فقد كان النظام حكم من حيث النظر ومجدياً من حيث العمل ، وما من الناحية الداخلية لم يكن هذا النظام الا حياً لا موهوماً ورأياً سفسطائياً قد انتهى بفشل مريع ، ودانته لان حيلة الشعوب لا يمكن دواها على الخضوع والعبث والسكوت ولا استطاع القضاء على الافكار الحرة بوسائل العنف واقوة ، والتبدل هو النظام العام لطبيعة ، والانسانية لا تبقى الا على التحول المستمر ، ولكن مترنح برغم ذلك انه يتوقد بدراسة هذه الحقيفة ، ويمكن بفكر الابريقة واحدة لمعالجة الاحداث وهي احداث الشدائد والقمع العنيف ، وكان يجب ان يرد هذه الكلمة : نبي محررة النظام ، وكان بعد نظر مترنح بكثرة في التلب عيب كبير وهو المرور الذي كان يردد كلما بلغ من الكبر عتياً ، وكانت شدة الاعجاب بنفسه حتى يظن انه معصوم من الخطأ ، بل يظن ان الخطأ بعد من ان يدوم من خطره ، ويتحدث برسالة قدسية ارثت عليه ، على حين كانت السحب تختمح في الآفاق ، والبروق تجمع في السحاب ، وانما صفة تهب هذه المرة ايضاً من فراسة ولكن مترنح الذي ردت حوله لاطاعوا الاهواء والشهوات لا يمدد للمقاومة عندها ، ويحقد ان النهضة الامبراطورية التي تورت حوقلاً ستخرج من الغلاف التي تقع في جميع الامم ، وان يكون يكثر لاشمعية المتعمرة لان شعور الرحمة مستول عليه ، كان مع ذلك ينهاك على المال فسرّف وتلف ، وقد كلف بالادب نفقات عظيمة في اعماله السياسية ، وفصلها عن الامم في تيمه وسجونه .

وبما كان يتردد بلهجة واضحة أراد في فلسفة السياسة ، حدثت ثورة في سنة ١٨٤٨ وقعت في سائر مدن على حكمه ، فعان السجانه قاتلته فمى عمره وهو يخدم المملكة ، ودانته بأنه أصبح مراد الخد من تلقاء نفسه ، لانه لا يحب ان تسفك الدماء في سبيله ، وولى هارباً متكرراً بهمة روحه ، لا يجد من يعطف عليه ولا من يسديه ممونة ، بقضى ظلام ليله وبياض نهاره ، كانه عبد آبق من سوا ما فعلت بداه ، وكان يحى في حرم خفيف ، وقد شامت الاقدار ان لا يجد ماوى يلوذ به الا البلاد التي اصابها وباء الحرية : بلاد كاتنغ وبلبرسين التي كان يتوقع

لها الدمار ، والتي برهت على ان لديها من القوى والبنانيج والروح العامة ما يحميها من التقلبات في دار المحيط الاوربي لها نيج المضطرب ، وكانت الستين التي قضاها بعد عظم حايه واتساع سلطانه وبعد اثره شديدة الايلام له ، وكانوا يلومونه في الاملاذ التي لاد بها على استسلامه لافيسر اسكندر في سياسته الشرقية نقا . ما كان يبدل له من امان ، وكانوا يرون انه لم يلحق الاعداء بمحتمون ضرراً بالنمسة بقدر ما لحق بها مترينخ وحده ، وانه قد النسة الى اسوأ مهتر بسبب اسرافاته وانفاق حزينة بلاده في سبيل تثبيت الحكم المطلق . وقد طالب النوان ان تحقق في الاموال التي نال بها اخذها ، واستمر التجريص عليه حتى بعد حوس فراسوا يوسف على العرش ، وكان الناس يرون انه مسؤول عن الاخلاص التي فمت في شعوب النمسة والافلاق التي شئت فيها . وبعدون حكمه الاستبدادي قد ولدانية والنفرة ، وان بعد الخديوية كانت معظم كل حبة قومية او داريه ، وان سياسة التفريق التي سار عليها نوت احقاد الشعوب على الاممات انفسهم الذين كانوا كذا نمة مضطربين .

غير ان النفرة العامة اخذت تعم وملأها ، وقد شهد سكان وينة من بوادر العهد الاستبدادي الجديد ، ما حط به برون العهد الاستبدادي القديم اقل شدة وعنفاً ، وبعد ان قضى مترينخ الثلاث سنين ونصفا في معاه عاد الى قصره ، ولكن كل شيء في اوريبة كان قد تغير ، ومث سنة ١٨٥٩ ، وهو في السابعة والثمانين من عمره ، ولما انه عانى سبع سنين اخرى شبد سقوط النمسة في سادوا وهبوط نجم آل هابسبورج ، وتلوشت الروسية وتعاظم جبر آل هوهنلرن .

٦ اوصاف مترينخ والآراء فيه

ظهر مستشار النمسة وعلا شأنه في يوم انقلابه والاضطرابات ، فبلغ في قيادته وحزمه غاية بعيدة ، واستنار الاشجاء بحسن رايه وحسن حذسه وقدرته على دفع انكوارت ، ومان فرنسة وجمها ، وكبح صمخ روسية الشدسة المظبوط

بسط سلطتها بنية الاحتفاظ بالتوازن والسلام في اوروبا ، و اذا كان قد اصاب نخسه ما اصاب من النكسوف فقد محسن الرئي فيه وعاد نادحون الى ذكره ، وكثير من رجال السياسة يعرفون بهذه الخن ، حتى انهم يسمرك العظيم ما يدور من ذلك بسبب الاتجاهات الحزبية والاجتهادات السياسية المتغيرة في اليدين وفي الشيل .

وقد تسال انكثرون اذا ما يكن مترنيخ رجلا سياسيا اكثر من ان يكون رجل دولة ، فقد كان من ارجع اهد زمانه في السياسة وادهاهم في اشؤون الدولية ولكن كانت نفهه الصفات التي يشكون منها رجل الدولة ، وهي الجرأة والعزيمة والجاد والقوة وتوقع الامور وعدم الاكتفاء بالنافع الآتية ، بل كل ما هو فكر فريدة وشبان صحيح ، وقد كان مترنيخ نفسه يميز بين رجل الدولة وبين رجل السياسة الذي لا تمنع بعد انظر ومعرفة ما يمكنه المستقبل . وكان يوصف بأنه يصنع الحق باطلا والباطل حقا على هوام ، وانه يبدأ بالكذب على الناس ثم يكذب على نفسه . وكان نابليون يقول عنه ان السيودو مترنيخ سافر في طريقه ليصبح رجل دولة لانه يحس الكذب من الآن ، وكان يقول وهو يقصده : الناس جميعا يكذبون في بعض الاحيان ، ولكن الكذب دائما هو زيادة وافراط ، وكان تليان يشبهه بالسكر دقال مزران ويقول كان السكر دقال يمدح دائما ولا يكذب ابدا ، واما مترنيخ فانه يكذب دائما ولا يمدح ابدا .

وكان مترنيخ يتناقض في اقواله وفي اعماله فيقول عن نفسه : اني ارى خطر اليوم اعظم من خطر القدر ، فيجب ان نفكر بما ختمه ، اما المستقبل فلزمان بكفينا امره ، ويقول ايضا : ان اليوم الذي يمر لا شأن له عندي الا باعتباره وقفة البذل الذي اناضل دائما في سبيله ، ولا اعمل الا له ، اد لا يعني سوى دفع الشرور المقبلة والاقلاق المهددة ، وكان كذلك يظهر احيانا شديد الاعجاب بتمثيل دور السيد المسيطر في الساعة التي هو فيها ، واديا في دور رجل الدولة الذي يتوقع الحوادث ويحسب لكل شيء ، حسابه ويحذر ما يمكن ان تحمته وفتح الايام ، وكما كان يتناقض في اقواله وفي اعماله ، فقد كانت اقواله كثيرا ما تخالف اعماله حتى مزج بعض

المؤرخين بين هذه وتلك ، واران ان يستخرج من النتائج ما يتفق وما يشاهد معاصروه الذين ساد عندهم الرأي انه لم يكن كبيراً الا في المدسية والحيلة والحديمة ، فاذا كان من يدعى انه سياسي بعيد الرأي لا يدعى لقب الشقاق والعقل فانه يجد من رد عليه انه لم يكن يدعى مطلقاً لحيادي الخلفية ولم يكن همه الاحكام الدولة التي وكل اليه تدبيرها لا بحسب الرأي والعقل ، بل بحسب مقتضيات والضرورات ، حتى ان قرينة ولي العهد حكمت عليه حكماً شديداً بقولها انه مسؤول عن جميع المصائب ، لانه شديد الغضب ، قليل التفكير ، حزين النظر الى الامور اذا استمعى فيادها نظارة مائة .

على ان الذين يريدون ان يجدوا له سميات بمنازة وآراءاً بعيدة كرجل دولة لاتدل على صحة نظره شواهد الكثرة التي نزلت به في اواخر ايامه ، وه برعه كل ذلك يعرفون على رأسه مصائب العصر ، بسبب ذلك النضال الذي قاده في حرب نابليون وكان نفسه وروحه حتى تغلب عليه واقتد اوروبية منه ، وقد كثر المعجبون بخطة الباهرة وبراعته السياسية التي قدمت الى انظر في قتال الامبرطور ، ولكن الذين تحمروا اوران وزارة الخارجية في النمسة بعد معي المنين القوية لم يجدوا انه كانت هناك خطة مدبرة محكمة ، فت النمسة كانت كالم ففت في مشكلة او حدثت حادثة تجهد بالخروج منها بقدر ما نستطيع ، وكان مترنيخ الذي استفاد من نجاحه السياسي الاول القائم على فن حزن الانتظار والاعتماد على طبيعة الاشياء ، يظن انه يستفيد من هذه القوة البحرية في جميع المواقف ، وقد بق متمسكاً بهذه الخطة التي هي خطأ كل رجل محافظ ، ولكن يفكر بالحز ، الثاني الذي يعين الحظ وهو العمل والانشاء .

وقد اذيل مترنيخ من نابليون وكان بعده العناصر الهدام ، واليون شاسع بين ما خلفه كل واحد من مكانة في التاريخ ، فقد خلد الامبرطور آثاراً قيمة ليس لفرنسة وحدها ولكن لتمام البشرية ، فوضع خاتمه على الاحياء القليلة وسيطر على حياتها السياسية وآرائها العسكرية ومبادئها الاجتماعية وقواعدها التشريعية ،

وهو منتج من الغضب الانساني ورتبك حقيقتا سياسية كبرى ، ومع ذلك فإنه
 يبقى في ذكريات رجل في لاهوت ، انظرية الخاتمة لعدالة ، ومثال الاقدام
 والعمل ، والحرارة ، وهو كالمس الذي تحده شعور له يخفى في احوال القضاء ،
 ويذكر احتجاجه بين الارض والسماء ، اما مثيره منه ، يستفد شيئا من الانقلاب
 العظيم الذي حدث سنة ١٨٧٩ ودرس شيئا ، وه يخطئ الا الخوف الذي أحدثته
 الثورة في افوس الرب التيجان ، وهذا فظاذه هي هواء ، وذلك بعد ما كانت
 تشير به القلوب الكبرية مثل غيره متى كان نفس على الانتفاخ بدروس الثورة
 وغيرها ، يصبح روح ، ولا يرى ابن لاهوت رسوا روح برمان ولا يغاوموا قوى
 الشعوب ، وعندما ثور الشعوب في حكومتها وحكومت الدولة هي المسؤولية
 والخيول ، ومنه ويرية الشريعة لا تستطيع ان تقب سدا دون تقبل الامكار
 الثورة ، والحكومة الصالحة فقط تستطيع ان تدفع من نفسها وان تصدق

، الخربة التي كان نشاها مثيريخ مثا من المدن المستبدة بعد ان سقطت بعضها
 ترمنس اوت جعل خطاه عندما كان متقدداً في بطانية مستعبدة عرفة ، وان اذابة
 يكون نجاد ولا حقون ، وان ثورة بقة فاضه من عتها وبومها هي حقائق ثابتة
 ككفكره الثورة ، ان لا يرجع مد الى الخيانة ، والشعور القوميا وحب الحرية لا ينفك
 احدهم من الاحار ، والشعب الذي يشعر بكرامته يدفع عن نفسه د التهيكت
 حرمنه بغاوه بجميع قوته ، ومن ذلك التاريخ تقدم ان وطانية انده يمكن فقة على
 القوي لامة ، كان على القوي اعدده المتحمسه ، والشعب الذي لا تكون لديه
 حراة الشعب ككثرة من رجله ومهمهم يتعمون بالده في وفوها بدون حراة

وقد عرف جميع معاصري مثيريخ موطن ضعفه ، وقد قل تمزوا ان العفة
 التي انقصه هي حراة ، والو بد ان قوب حراة التي تظهر في الحد وفي الابتكار ،
 وانه يمكن ان يمس محبا اليه ولا يمايسره لانه كان نحش الاحطار اكثر مما هو
 التيجان الذي قد ينظره ، وكان كانه الثور الانكاري يصفه بأنه شديد التمس
 حمة واكثره كذبا ، وهو رجل لا يعرف لاهوت وغانر بطانية وانفة انه سيخدها

في كل قضية تعالجها وإياه ، أما مترجيح فقد كان يرى ان جسمه كائن لا يقام له وزن
لأنه لا يعمل بحسب ابتدائي الطبيعة ولكن بحسب الاعتبارات الثلاثة ، وكان يعطى
بصره بقوى الأفق على حين أنه عشي على الأرض ، ويبحث في الطبقات التي لا
يألفها البشر ، على حين ينظر إلى الامور ويقدرها بقوى الناس ، فالحيايون
مؤلفو الروايات يتصورون الكائنات ، والناثرون من محي خلقها العملية يتصورون
له ، ذات الامع كالجوف ولكنه سريع الزوال ، ما هو فيه لا يبرر الاعتبار ولكنه
ثابت اليبات .

وقد وصف ولطيف قول هو مبدئي كان من كبر سياسته عصره مترجيح بقوله :
انث الورير اضيفت الذي لا يقاب في خلاف مع نفسه هو الذي يرى في اسوأ
الاحوال عندما يقف عليه زمان ، ونسب له اثر شخصيه ولكنه تلقى كل شيء
كانه شخصي ، ولا يستطيع ان يفهم شيئا في حدوده من " كاد " صادر وابتني
امره الى نهاية نفسه اعار ، وقد استطاع ان يستوفى منه على الامور - سكيندور
وان قوده بعد كل محاسنه ، وما يمكن تدبره في الامور في سياسته رابطية الا
بالأساليب المرفقة ، فما استطاع ان يأتي بعمل حقاير ، في يديه الامر كان على
شيء هيبا عليه ، وكانت موازنة المسئلة طبع عليه ، وكان يظهر المصوغ في الظروف
فراسوا في عوده على ان يجمع جميع له ، ولو كان رجلا من الناس شمت وكان عليه
ان يباع نفسه ، ذهب مبدئي ، وقد سار على مدار فراسو وتقبل سياسته من بعده
وان كان له يرجح بتقد الامانة .

وهذا ما وصفه المؤرخ ابو كوند من اثر الامور انه كان يعارض الاشياء والمراجحة
كما تراعى المعنى حال نور كاد ، وهو اكثير من الناس الذين يتفردون في جماعة
تسيرون ايمه يستطيعون حل المشكلات كما يستطيعون التلزم او الكتابة ، وقد كانت
اغمه بنفسه وبيانه لشخصه وضروره كبريؤه في تجاوز كل حد ، وكان ضعف
اختلافه وجزء من لا بدع بدعيه من شامع الكبرية والجهود العظيمة ، ولا
يدعنه يتم لا بالعلاجات المسكنة من ير مدحه الكد السكمن ، ولم يكن رجل

دولة مثله قليل الرغبة بالإصلاح ، وقاعدة صناعة الحكم وتدير الامور عنده صناعة الدسائس والمكائد ، ولم يكن في معاصريه من لم يلقه على مكروه وخشيه وسوء اخلاقه وقلة الاخلاق وكثرة ثقله ، وقدوات الوثائق والبيانات على ان هذا الوصف ينطبق عليه كل الانطباق .

ولم يكن بطلان ان مقترح بمعنى هذا القدر من رؤية الحقائق وبمعنى هذا القدر عن معاملة الامور ، ولا ان يغيب عنه ما رآه الكثيرون من بسطاء العقول في حينه من انه لا يمكن مقابلة طبائع الاشياء ، وقد اعترف بنفسه ان الزمان يضطرب بالرياح العاصفة ، وأنه من المستحيل مقاومتها بعنف ، وقد قل : لقد وجدت في زمن عجيب ، واعلم حدث في عهد كان يعني ان اسبغ او ان اتأخر عنه ، واني لا أشرع الآن بالهجر عن اتياء امر صالح ، ولو اني جئت من قبل سمعت بخيرات العالم ، او اني جئت من بعد سمعت في الوضع القائم ، وكنتي جئت في هذا الوقت الذي اقضى حياتي فيه بحماية الفواعل التي هي على وشك ان تتداعى وتنتصدع .

ولكن ماذا كانت مقاييس يقضي عمره في حماية البشري الواهنة والاضاع المزلزلة ؟ لم يكن أولى له ان يقوم بالإصلاح في ارض من الناس وفي السنين القليلة ؟ فقد كان يشعر بالاعياء التي يحملها الدولة بسبب كثرة الانفاق في التسامح ، حتى انه يعني بذلك الى اقصى اسكندر ، ولكنه لم يذهب هذا المذهب الا لما رآه في نفسه وعاية رائلة عنده .

وقد قيل ان عمر مقترح اليقظ ، في دميته ، وقيل ان الخرس على المال وتناوله من كل مكان هو العالب عليه ، حتى تماضى عن معاويته الذين اقتدوا به وهموا مثل ما فعل . وقيل كذلك ان امانته قد ساقته الى القدر بمصالح بلاده ، ولكن سواء كان ذلك صحيحا ام لا ، فمن الحق الذي يمتد في شعوب الخمسة ، والمصاعب التي نواصتها ، والادى الذي سببه تسلط الدولة قوماً بالحكم ، والنوازل التي اخذ بعضها برفق بعض الى ان جاءت الساعة التي اشتدت فيها التكتبات والكوارث ، واجتمعت

القوى المختلفة والمشكلات العديدة ، التي كانت تدفع بطريقة صناعية ، واعادت الكرة على اوروبا ، فكانت وبالا عليها وعلى التنمية ، وبذلك هوى النظام الذي طالما سعى له مترنيخ وهاجر بتشييد اركانه .

وكيفما كان الرأي في مترنيخ فن تاريخه بين مادسيه وقدسيه يكاد يخرج عن الحقيقة ، وهو بحاجة الى ان يكتب مرة اخرى ، بعيداً عن النواحي الشخصية التي تفسد الحقائق ، وتشوه الوقائع ، وذلك بالرجوع الى اساور من سيرته والمصحح من اجباره .

الفصل الخامس

كافور

قطب الوحدة الإيطالية

٩ القواعد الأساسية لإنشاء الأمم والشعوب

من أشهر الآراء التي أصبحت تقليداً ومذهباً في تكوين الأمم ما كتبه المبدعون وإن في هذا الشأن . وقد ذكر في بحثه الممتع الدقيق أن السياسة المركزية القائمة على تقسيم الأمم والصراعات والخلافات بحسب الدين قادت إلى نتائج خطيرة وأدت إلى حرب اشرس . والامة في مساهمة الحديث نتيجة تاريخية أساسية من الخواص التي تنحدر نحو عبة واحدة ، حل ما يجب ان يشترك جميع ابناءها في أمور كثيرة وان يتفقوا على مسائل موز كثيرة . ثم تسأل من الأساس الذي يقوم عليه الحق الوطني والعمل الذي يبنى منه فقال بحلاليته :

يعتمد معظمه في الأصل على العرق ، ولكن لا حول والأحاسيس ليس لها الأثر المكافي في تكوين الأمم الحديثة . فلا يوجد عرق قوي ، كما ان الأعمد في السياسة هي القواعد السياسية هو هو . ما اللغة فلها تدعو إلى الاجتماع ولكن لا تضطر إليه . ومن الخط أن يظن أنها عنوان الاجناس والأعراق فلا انسان قبل ان يشكل تلك اللغة أو ينتمي إلى هذا الجنس هو متأثر بثقافة معينة ، وقبل ان يتأثر بثقافة هذه الأمة أو تلك هو متأثر بثقافة الانسانية الجامعة .

واعتقادات ليست كذلك أساساً كافياً لإنشاء أمة في هذا العصر ، فاعتقادات طائفة غير متشابهة . ولكن انسان ما يعتقده هو دكا كانت المعيدة في بعض الاحيان عملاً كبيراً في تكوين بعض الدول فقد خرج هذا العامل الآت من الأسباب التي يعتمد عليها في التمييز بين الشعوب .

أما اتحاد المصالح فلا يترك الزم في توثيق المصالح وأحكام المصالح ، وهو يصنع ما تصنعه المصالح التجارية ، ولكن ناحية المصالح التي لها مقامها وأثرها في تكوين الأمم معدومة هنا ، والوطن جسم وروح يتحدثان في انشائه .

وفي الحق أن الحدود الطبيعية لها شأن كبير في تقسيم الشعوب والفصل بينها ، والجغرافية هي عامل كبير في التاريخ ، والجبال والأنهار تؤثر تأثيرات معارضة في نشوء الأمم وانشائها ، فلا أولى تفرق وإثنية تجمع ، وإذا كانت العرق لا بدشيء ، فإلى الأرض وحدها أن تنشأ ، والإنسان هو قوام هذا الشيء المقدس الذي يسمى شعباً ، ولا تكن المسألة وحدها ، والأمة هي مبدأ علوي وصفه التاريخ في تقابله وخطابه ، وهي أمة روحية لا حاجة محدودة خاضعة لأوضاع الأرض وأشكالها ، ولكن إذا لم يكن العرق ولا اللغة ولا الدين ولا المصالح ولا الجغرافية وفوقها جميعاً تكون الأمة فهي العوامل أدنى في تكوينها .

إن الأمة تتألف من عنصرين هما في الحقيقة ، صرا واحد ، المادي والمستقبل ، أحدهم حورة مشتركة لبركات عظيم من الذكريات ، وثانيها ، واقعة الشاهدس ورغبته في أن يحيا مائماً ، وإرادته في أن يستمر على حاله متوارثوه والاحتفاظ به ، فالعنصر الأول بالذكريات العظيمة ، هو القاعدة الاجتماعية التي تقوم عليها المكرة الوطنية ، والمفاحرة المشتركة السامية ، وهي من الشروط الكبرى لإنشاء شعب وإكويته مما توحى لنفوس من التمثل بها والتبرير على مبادئها ، أما الضحايا المذهبية والآلام المبرحة فلها نسق عزيزة مكرمة ، والآلة المشتركة تجمع أكثر مما يجمع المروء ، والأخلاق في ذكريات الوطن تبع التراكم حوادث الحقد ، لأنها تمتعت على القيام بواجب وهي بدل الجلود .

فالشعب إذن هو عناصر كبير ، من شعور الشخصية التي بدأت من قبل وشعور الاستعداد ليدل منها من بعد ، وهو يعتمد على الثاني ويعرب من الرغبة في استمرار الحياة المشتركة ، وحياة شعب من شعوب هي ستقاء دائم ، كما أن حياة الفرد هي مفارقة ودوامه ، ولكن الشعوب حسب محاللة ، فهي تبدأ

ونتهي ، ورغبتهم اتحدت وتنمى ، ولكن اي شيء في هذه الدنيا لا يتغير ، والشعوب في نهايتها واختلافها تعين على عمل الحضارة المشتركة ، وكل يحمل ماله الى هذه المجموعة العظمى .

وجملة القول ان المرء ليس بأسير لمرقه ولا لقلته ولا لذهبه ولا لخارجي الانهار ولا لاسل الحبال . وكل جماعة كبرى من الناس صحيحة الفكر ، سليمة القلب ، تكون وجداناً معنوية هو الامة ، وبقدر ما يقيم هذا الوجدان المعنوي البرهان على قوته بما يتطلبه من بذل ، وما يقتضيه من خضوع الفرد للجماعة وخضوع العقل للهوى ، بقدر ما يكون له حق البقاء ووجوبه ، واداءت الشكوك في شأن الحدود التي يحجب في داخلها ، فالشعوب الممارسة لخلاف ان تستفي فهمها وان تدلي بها عندها من رأى في تعيينها .

والى جانب الفيلسوف رنان ورأيه فان كثيراً من المؤافين ، وجمهورهم ايطالية ، يريدون ان يجمعوا مبدأ العلاقات بين الدول فتماً على الخصائص . وقد اتبع هذا المذهب وبويع فيه ، على حين ان اصحابه لم يكونوا يريدون الا قيام الاجناس والشعوب الى جانب بعضها بعضاً ، وحق كل جنس ان يؤسس دولة هو حق كل شعب بحريته الشخصية ، وتنظيم الدول على اساس القوميات ضمان للاحق في العلاقات بين الشعوب وبين الدول ، وقبول هذا المبدأ هو اصل الوسائل لتحقيق الخصومات والمنازعات بين الدول وتثبيت قواعد السلم بين الشعوب ، حتى ان بعض رجال السياسة مثل نابليون الثالث ارادوا ان يجمعوا هذه القاعدة اساساً لسياستهم ، كما ان شعور القومية هو الذي دفع اليونان للقيام على الترك ، والبلجيك الى الانفصال عن هولاندة ، وايطالية الى جمع دولها الصغيرة في مملكة واحدة ، والمانية الى تنظيم الامبراطورية واقتضاء على مختلف انواع التجزئة السياسية ، وكان هذا التطبيق للمبدأ القومي احتجاجاً على العقود السياسية التي حكمت مستبدة بتزويق الشعوب ، على انه مما كانت الاسباب التي اتحدت في ايطالية وفي المانية البلوغ الغاية من حيث قربها او بعدها من مبادئ الشرف ، فواقع هو ما شهدته ، ولكن هل يبرهن ذلك على صحة مبدأ الفائلين هذا الرأي ؟

كلا : فقد اخرج المؤلفون الايطاليون القصة عن وضعها الصحيح ، و ارادوا تأليف الدول بحسب القواعد العامة والاساليب الفنية المختصة ، وليس بالمستطاع ان تقوم على هذا المبدأ وحدة الملائق بين الدول ، ولو انه اتخذ اساساً لاضطربت اورية الاضطراب كله ، وتغيرت فيها معالم كل شيء ، واُبدل اتجاه التاريخ في تكوين الشعوب الذي هو وليد الحوادث والصدف والاطماع السياسية ، ولا حاجة لتذكير بان دولاً متنبطة بوصفها مثل بلجيكة وسويسره ، لما كان لها اذا طبق هذا المبدأ حتى في البقاء ، وكان كل اتجاه ينبغي ان يؤدي الى تأليف ثلاث او اربع دول كبيرة بحيث ان النتيجة المنطقية تكون اثناء الجامعة الالمانية والمغربية او اثناء دول صغرى لا تستطيع ان تحبى بنفسها وان يكون لها شأن .

مذهب القائلين بالقومية اذن لا يقوم على قواعد عملية ولا مشاهير ، وهو مبهم وغير مستقر في تطوره ، و اذا اريد تطبيقه في مبادئه بمخالفه فيه يصير الى نتائج متناقضة ، ولكنه مع ذلك لا يزال من اعظم القوى النفسية في التاريخ الحديث ، وهو يرجع في مصادره الى امرين . الاول الفلسفة المنطقية التي انتشرت في القرن السابع عشر والثامن عشر والمأخوذة عن اساس وضع الدولة ومناصر حياتها ومقوماتها الشرعية ، والثاني مبدأ تحرير الشعوب الذي اخذ بالانتشار منذ عصر النهضة وثار نفوس الشعوب واوحى اليها بشعور الكرامة وشعور التراث والبقاء والتصميم ، فهي تاحد بيدها تدبير شؤونها ومعارفها ، وهذان الامران يلتقيان ويؤثر أحدهما بالآخر ، وليس المذهب الذي يشتق منه الا تحرير الانجلاجات الجديدة التي بوصي بها اصحاب الرأى لشعوب المناهضة .

وقد استقر هذا المبدأ في قراره بعد حرب الاستقلال في امريكا وحروب الثورة ، وادى مؤثر بدعواته المشهورة ورفع صوته في سبيل امريكا اللاتينية ، ولكنه لم يقرر في المبدأ الذي وسع خطه مطلقاً لهذه المستعمرات وقتالها في سبيل الحرية ، على ان فكرة رئيس الولايات المتحدة تفرض على الأقل ان التاثيرين على حق في نهضتهم ومطالبهم بالانفصال والاستقلال ، وقد آزر الرأى العام في اوروبا اليونان وأبدى في نهضتهم ، ونحس الناس لهم بروحهم وجسمهم بمد ان اثريت القلوب فكرة تحرير الشعوب المصطبة ، اما نهضة البلجيك فقد كانت

متأثرة بمواقع الدول المجاورة ، بحيث لم يكن هناك مجال للحجسة لها كبداً مسامحاً ومثل عاليه ، وحوادث سنة ١٨٤٨ ، تنصل بذلك المبدأ الذي اتخذه نابليون الثالث لعدم خطائه ، فكان يرى ان السياسة يجب ان تعود الى مستوى ارفع من الاوهام الضعيفة لندرة التي ورثتها عنصور السابقة ، ولا يجوز ان تتوقف عطلة شعب على ضعف الشعوب التي تحيط به ، والتوازن الصحيح في رأيه لا يتم الا بتحقيق اماني الشعوب الاوربية ، وكان نابليون الثالث يتأثر في هذه الآراء بمعتقدات قديمة وتقاليد موروثه ، فبالبيون ببارت ، يكن عربياً منها ، بل كان يتوقع حدوث التبدلات التي حدثت في اوروبا ، وقد وضع حجر الزاوية للقوميات الحديثة بأشياء المملكة الإيطالية وبأزالة مئة وثلاث وخمسين دولة مستقلة في اناحية ، وكان نابليون الثالث يفاحر بأنه حامل لواء القوميات ، ولم يكن في اية مثله اقل منه انتصاراً لهذا المبدأ وتبأله ودفعاً عن قواعده .

و لم يكتب لامارتين وهو وزير الخارجية سنة ١٨٤٨ بتقرير المعركة القومية واعتبارها حقاً ، بل انه وعد بمؤامرة فرسة لكل شعب يريد ان يفسد في مساواة ، وقد اقترب بذلك من اسلافه رجال الثورة وقال : اذا كانت الساسة قد دانت لفرسة بعض الشعوب في اوروبا او في غيرها ، و اذا كانت سويسره حليفنا الأوربية قد اكترهت او هددت ، و اذا كانت الدول المستقلة في إيطاليا قد ادين عليها او اقيمت الثورات التي تحول دون تطورهم ووسعت النفوذ في سايكيا ، او لحى ، الى القوة لحرمانها من الحق في ان تستعاض بمصيرها مع بعض وثبت وضاً إيطالياً وتوسعه ونشأته ، وجمهورية فرنسية حيث تدعى ان لها الحق في حمل السلاح للحد من هذه الأعمال الشرعية واقتال دون مؤامرات الشعوب ورعيها في انشاء قومياتها .

٢ - مبعشرات النهضة في إيطاليا

في اواخر القرن الثامن عشر كانت تتجرب في إيطاليا مبعشرات النهضة ، وكان الايطاليون قد اصابوا بطول الآداب والعنوم وعنون والسياسة ، فتذكروا انهم الساقطة ، وساروا في نهضتهم وبفطنتهم تحدوها لاحتياهم لانشاء وطنهم

وأحياء مدارس من معاهده ، وكانوا يسمعون بالأسماء التي تعيد اليهم ذكرى ذلك الماضي الزاهر ، ومايزحوا يمشرون بحاس بلاذم وأثارها حتى أصبح اسمها مثلاً أخافقين ، ويجب ان يقال ، وفي ذلك مقصود طموح ، انه ، كان بلاذم مقلدة فانهم لم يدعوا مطلقاً حقوقهم لرون وتسمى . وما يكن في القديس الثامن عشر سياسة وطنية في إيطاليا ولكن لغة ووطن وآداب وشعر ، وكانت القضاة والنمض والمقالات تنسجهم الى الاستقلال في سبيل المجد . وتذكرهم بالوطنية الرومانية وعندها القديمة ، وتصل على ان تعيد ذكريات تلك الأيام ، وتعتمد على التاريخ لتكوين وحدان قومي ، فكانت الدولة الإيطالية الممونة المجددة تظهر للراي في الآفاق المبررة التي اكتسبتها الإنسانية .

وكانت إيطاليا بمنزلة الأجزاء ، كان بنوها رون في عراشها فضاء على حياتها الفكرية ، على حين انها تتون في اصول واحدة وبصفتها بأخلاقي وحدة ويحكمون بقوانين مدنية واحدة ، وكذلك كانوا في لغة رومانية وديوان ، وقد انما في جمهوريتهم وفي ايام النهضة لهم مازالوا حاضرين لذكرتها . فكانوا يطبقون منهم يتداعون ليكون لهم نظام ، احدى التقدم والعلوم والقانون ، وان يكون حب الوطن يمي حب خير العالم لشعب ، كما تحس اي صيته سادوها ، ويقولون : انكن جميعاً إيطاليايين اذا لم نرد ان نعزم من ان نكون رجلاً .

وبذكر انه تقدم رجل ذات مرة في ميلان في شركة لا يعرف فيها ، فقبل له هل انت ميلاني ؟ قل : لا ، فقبل له : هل انت اجني ؟ قل : لا ، فم حينئذ الاستفهام واعيد السؤال : فقار : اننا ايطالي . لا يصلي اس حبياً في ايطالية ، كما الى الفرنسي اس عربية في فرنسا ، ولهو لذي في هولنده ، ثم اندفع الرجل في حديثه باحثاً عما يصيب ايطالية في انقسامها ، وكيف يغص على كل حياة فكرية فيها ، فوجد السامعون الرجل يحس الكلام ، وانه مبدع عقل وطني مفكر ، وقبل بعضهم على بعض يتحدثون بنكات لزمان التي تمنع الايطالي ان يكون مواطناً لإيطالي مثله ، لان المصدفة جعلت موثداً لها ومولداً لك هناك .

كان الإيطاليون يقولون ذلك وأوربة تعرفه ، وكانوا يرعون تجرئة بلادهم تحتفظ
لهم هذه الآداب وهذه الفنون بنفوس متحدة ، تبقى حينما يوجد الناس حريصون
على المعرفة ، لهم خيالات موانعة بالجمال ، مل ، فخرية ، ذكرى ماض كبير وشعور
مستقبل قريب ، وكان كل شيء حتى هذا الأفق البعيد والأرض الرائعة يمين على
أن ينشر في العالم تقاياه ، وطن ينتشر معه هذا الاسم الحافل بالضياء ، وكانت عناوين
حضراتها عناوين الحصار الأوربية ، ولا أحمد بمجمل ذلك ، وكانت كازين
الكبرى تقول : إيطالية تسطر وتؤمل ، وحقا أن الإيطاليين كانوا ينتظرون
ويؤمنون ، ويرون أنه سيماد ذكرهم ، يعلم شأنهم ، ولكن بحسب ما ضيهم وبحسب
مستقبلهم لا بحسب ما هم فيه .

أما الأمراء ، فإن يكونوا في إيطالية الأروؤسا متوجة ، لا تنظر اليهم الشعوب
الامن نواحي الإدارة التي يقومون بها حسنة أو قبيحة ، وكان الإيطاليون
يمدون العدة الى الثورة ، التي تستفز ما كان يخافهم من المواطنين ، فتقلب
أوضاعاً وأسراً لم يكن أحد متعلقاً بها ، وجاءت الثورة الفرنسية تعلن الإصلاحات
الحديثة التي كانت الأماني الشاملة لجمهور الأمة ، وتقرر مبدأ استقلال الشعوب
والعمل على تحريرها وجمعها ، فتقرب الرجال بالقوانين وتوحدوا بالوطنية ، ولم
يكن الإيطاليين إلا أن يستقبلوها بالهتاف ، وليس لدى حكومة من حكوماتهم
وسيلة من وسائل الدفاع لمقاومتها ماعدا حكومة بيمون الوطنية ، وكان مصر
إيطالية كصيرسات البلاد المجاورة لفرنسة ، فقبلت رأساً على عقب بنارات الحشوش
الفرنسية وهدم نظامها القديم ، وقسمت ثلاثة أقسام خاضعة لحكومات فرنسية ،
وجأت بعض أسرها الى سردينية او صقلية .

ولم يمنع الاحتلال الفرنسي الإيطاليين الاستقلال القومي ولكنه أحبط اسم
إيطالية ، وأوجدت إيطالية جيباً وعملاً ، ثلث الأتوان يقوم فيه الأصغر مقام
الأزرق الفرنسي ، وتميأت ، إلى أسس فيها من مساواة شرعية وحرية دينية ووحدة
تشريعية وأوضاع إدارية ونظم عسكرية ومدنية ، التوحدة السياسية التي فقدتها ،

ولكن الحلفاء بعد زوال نابليون لم يبقوا شيئاً من نظامه ، فعادت إيطاليا الى نحو ما كانت عليه قبل الثورة ، محزاة الى اربعة عشر جزءاً .

وكان امراء هذه الدول جميعها حكاماً مطلقين ليس بينهم صلة ولا علاقة ، وأهمها ملكة سردينيا ، حتى ان مونتنيخ رفض في مؤتمر فيينا انشاء لجنة للشؤون الإيطالية كاللجنة التي انشئت لالمانية ، قائلاً : ان االمانية تؤلف جسم دولة ، اما إيطاليا فلها لاؤؤاف الادولاء متعددة مستقلة ، تخضع فقط في وضع جغرافي ، ومثلت التجزئة هي الشرط الرسمي لإيطالية ونظامها التقليدي ، وسادت النمسة في اجزاء مختلفة فيها ، وعسكت ببقاء حالتها الراهنة ، حتى انها تعاقبت مع فرنسا في ايام لويس هليب على محافظة ذلك ، فاصبحت عدوات ايطالية المبررة ثلاثاً : التجزئة والاستبداد والحضرة للنمسة ، ولكن هذه الالوضاع المكروهة اثار ت نفعة اجمع ، فالتجزئة تؤدي الوطنيين الذين يشعرون بالانضمام ويريدون وحدة ايطالية ، والاستبداد يهضب الاحرار الذين يطالبون بالدستور وبحقوق الانتخاب والقاء المرافقة ، وحكم النمسة يثير الحفااظ على الاثان ويستفز الشعور لاجراج الاجنبي وطرده .

اما جمهور السكان فغير متقف ، وهو يعزل عن جميع الشؤون العامة ، متمسك بالدين ، خاضع للرؤساء والاساطات المطلقة ، غير مكثرت بالسياسة التي لا تكن تهم الا عدد اءهيا من الرجال كيمض الاشراف المتعلمين ، ورجال الصناعات الحرة ، والتملايد المتفرقين في اوبع وعشرين جامعة ، محروم اكثرها من الحياة الفكرية ، واصبح حب الوطن الايطالي يتجدد على هواه اشعرا ، وافلام الكتاب ، وبدأت تتألف الجميات السرية التي يمد بعضها من الاساطير ، لمقاومة الفرنسيين من قبل والنمسيين من بعد ، ولاعادة الوحدة الإيطالية وتأسيس نظام دستوري ، وكان الثائرون الايطاليون يقلدون خطط "الاجانب" ويستعمرون مناهجهم واساليبهم ، غير ان الثورات المذبذبة لم تؤدي الى المقضى المرجوة ، وبقي الاحرار عرسة نعر اقية والاسطهاد بعد الاخفاقت المتوالية التي نزلت بهم .

٣ - مزيبي وكافور

يقترن ذكر الوحدة الإيطالية باسم رحنين متفاوتين في الشهرة مختلفين في الطريقة متفقين في الغاية ، مزيبي الذي امتاز بأساليب الثورة ومث الدعوة ، وكافور الذي حق النظراء بحسن التدبير ودهاء السياسة ، وابقى الاثنان في تاريخ إيطاليا الحديثة أثراً لا يحصى .

اما مزيبي فقد كان يعمل لإيطاليا ويسمى للجمهورية ، وقد أسس سنة ١٨٣١ إيطاليا الفتاة التي لم يفلح فيها إلا رجالا دون الاربعين ، ثم وسع برنامجه وأسس لوربة الفتاة . وكان في كل سنة يؤسس فرعاً لامة ، نحو مدرسة الفتاة وامانة الفتاة وحرية . وكان لجميع هذه مراكمة ترمي الى تحرير الشعوب من الحكومات الملكية . وكل شعب يعيش في طائفة جمهورية يرتبطها الأخاء ، سواها ، وكان مزيبي في بادئ الامر قد ارسل كتابا الى ملك سردينية يذكره فيه بالدعوة الى جمع متطرفين من ابناء إيطاليا التي امتدت في ذكريات عظيمة من ملاحر عشرين قرناً ، وحصل الميث على الاسماء لصوت إيطاليا كلها ، التي لا تتأخر الا كلمة واحدة لتكون له . وفل : فم على رأس الشعب ، واكتب على علامك ، الاتحاد والحرية والاستقلال . . . وحرر إيطاليا من الجارية . . . فكانت جوابك ان أمر بإلقاء القبض عليه . . . ولكن مزيبي نقل مركز عمله الى البلاد الاحادية وأخذ يجد وبدأب فيها لادراك حقيقته .

وقد كان مزيبي عدو الكنيسة ولكنه مثاله ومعتقد ، وشماره : حرية ، مساواة ، السانية ، آله واحد ، حاكم واحد ، شريعة الله . وكان جويلاً ، وصيحاً ، كريماً ، حرماً ، يعيش عيشة تقشف وتجرد ، ويؤثر في اشباب الذين يلتفون حوله والمريدون الذين يؤمنونه ، فيبعث في قلوبهم نوراً من الانحلاص ، يحرسه لرايه وفصاحة بيانه . وسحر طمعه الوفيرة ، التي قضى احياناً بايذاءه عذبة ، وقضى مزيبي حياته بأية امورات ولكنه لم ينجح في اى محاولة من محاولاته ، بعد ان قضى تعبته اخذ الحيل الذي تلاه بعده حوارى الوحدة الإيطالية ، الداعي لها والمبشر بها .

وكانت ذكرى ميلاده سنة ١٩٠٨ فاحتفلت إيطاليا بغريبي وأقامت الأعياد والوااسر .
واجلت به الحكومة الإيطالية رجل المثل الأعلى للوطن الإيطالي .

واستمرت النهضة الوطنية في إيطاليا تتأزرو هي والنيول الحرة . وكان البابا
وفي التاسع عشر من عبادى الحرة العمومية ، فشغل المملون في زمانه ، واعتصم
ذلك النمسة حتى أن ماريش كان : أن دبابه يميل إلى كرك الحرة هو نمكة للمصر ،
وعمت الحرك المملك والأمرأ حتى رجال الدين ، وانكمت النفوس نحو الإصلاح
الدستوري والتحرر القومي ، وسبج البلاد الممر شئت لألوان ، والمه ر يومئذ
عنوان الوحدة ، وقامت الثورة في الأثناء الثانية لنمسة سنة ١٨٤٨ . كما اشارت
فينة نفسها واصبحت النمسة عاحزة مستصرفة ، وما عمت الثورة أن انقابت إلى
مكافحة الشعب الاحني ، وقامت الحكومات على الار .

وقد نشأ في ذلك الحين كاه ، والذي هو من رجال الدولة المبكرين الدهاة ،
الذين لا يستطيع المدهر أن يعر عليهم دول السيان ، والذي عملوا اعمالاً عظيمة
في تاريخ السياسة واقفوا في ادهان الجماعات تأثيراً كانه المجر ، وكيف يطوى
ذكر رجل مثل كافور : مؤسس الوحدة الإيطالية وصاحب الخطط التي تم تنفيها ،
المعروف بليته وصبره ورياسة حاشته عند الانكسار ، ووفوره وهذونه في ساعات
المصر ، ذلك الرجل الذي كان يضحك إذا في تحرير راعته وجمع كنهها ، وقد
وسمه السيابي الإيطالي الحرك (دولامر دونه) بقوله : لا أعرف رجلاً يظهر ،
شديد المبالاة في الحب ، يدفع بسهولة عربية وراء القرن بسنونه ، ويرغمه إلى
السماء ، ويجمع عليهم رؤود المديح والثناء ، ثم ينقلب عليهم بشدة ، فتراهم يبعث
كلاضفال ، كونه يردد أن يتقم منهم لأنه حديث بقومهم ، وكونه يردد أن
بماقهم لأنه أسرف في تقديرهم بكثر مما يستحقون في ساعة من ساعات حياته .

وقد عرف القرن التاسع عشر رجولين لا يطير هم تبار على تدمير ماسقى من
مؤتمر فينة : كافور وبسمرك ، وما يكن الدأ سر أكثر وبهوع عظيم ، وجرأة
وحذر لا حد لها ، حتى قد هذا الرجلان لما قدم به ، وقد عمل كافور على تحقيق

اغراضه (نيفرا) مندوبة في باريس الذي كان على جانب عظيم من الحكمة السياسية وبراعة الاساليب .

٤ - الحرب والسياسة في تكوين الدولة الإيطالية

كتب كامبوري في آذار سنة ١٨٤٨ يقول : نحن ارجال الذين نفكر تفكيراً صحيحاً حادثاً ، والذين قد اتفقا ان نصير قيادة المفل اكثر من حركة القلب . نحن حرة . نريد ان يبق للشعب والحكومة . ولعل لا الحرب ، والحرب بدون تأخير ، بقرار الملك . الحرب ومهزلة جديري في اوروبا على شرفة قصره . ومع مندوب التأثيرين في ميلا . واما ان شعاع الامون الذي كان لي حذيه وهره بيده ، وانشر بياناً حاداً فيه : كان ليباردية واجدية . وقال : ان حيوس يعمون متحدث اليهم في معارل المستقبل الامون الذي يتطوره الانح من أحبه . . . وظهر الايطاليون بأمرهم مظهر التجد في قتال الاحبي بقيادة دوت سردينية . وكان ابرموون اسواتهم بالشيد القومي : إيطالية ندعو ونضو الى لور واحد .

غير ان الاعراض لم يقتلوا النعمة لا مكرهين ، ولم تكن البابا يريد ان يتقلد رئاسة تحالف ديمقراطي ، وكان همه ان يهني . نحو منق رؤساء الذين من الانان ، حتى قل في خطبة له في نيسان سنة ١٨٤٨ انه كان دائماً يحسن رعاه على الطاعة ومحبة جميع الشعوب في سواه . وكان مصير إيطالية توقف على الحرب . وقد طلب شارل آلر الذي كان حربنا صامتا ، لم يستمر خمسة حنوده ، وكان هيباج الشعب عظيم مدافعتهم ، وشبكت مع الجنود التي بدأت حركتها في مدافعتهم . وقد اعانت الكثرة وفرنسة يومئذ على تقرير الهدنة مع النمسة .

وكان في مهضة إيطالية موصفاً صعب ، الاول : ان الايطاليين لم يكن لديهم قوة عسكرية كافية لاحراج الاجانب ، الثاني : انه كانوا منقسمين على نوع الحكم الذي يريدونه ، فانه الدستوروي ولاستبدادي والملكي والجمهوري ، وقد اصبح ينظر الى الحق بنظر الكره . اما بسبب مشاوم اوسيب نكوسيم ، غير ان الجمهوريين لم يكونوا السعد خطأ ولا نعيم مسمى ، واعتزل شارل آلر عظمه بكتور عمانويل

وكان من أشياع المبادئ الحرة ، ولشأت في ضلالة محلكة مريدنية الدستورية ،
وفتحت بلادها للرجال الاحرار ، وكان كافور الذي هو من قبلاء ييمونت غمير
شعبي لانه بعد ان ايد الثورة سنة ١٨٣٠ حتى اخرج من الجيش ، قاوم في سنة
١٨٤٧ الديمقراطية في بلاده ودافع عن مذهبه في الملكية الحرة ، ولكنه في أثناء
الرحمة أظهر تمسكه بالدستور والخريف في جميع مظاهرها ولاسيما حرية الصحف ،
فانفصل عن المحافظين وتغربت من احزاب الشك ، وحكم عليه البابا لانه افر
الزواج المدني .

ولكن هذه الامور لم تكن اثمت في عقد الجمعيات الوطنية ، التي وجدت
فوقها الدمع الايطاليين الى سياسة مشتركة بقيادة ملك مريدنية ، وكان الجمهوريون
انفسهم لا يرون في ايطالية لا قانونين : ترى العالم وجيش مريدنية ، وكانت جمعية
الاتحاد الوطني مربة شعارها : الوحدة والاستقلال وفكتور عمانوئيل ملك ،
وكانت هذه الجمعية تسمى بالاساليب السلبية والتذكر المؤامرات والافلاخ ، وقد
اختلفت هي ومرعي الرئيس الجمهوري الذي لم يكن يرعب الا في تحالف موافق
مع الملكيين ، وانزل كافور جمعية الاتحاد الوطني ، وقال لشركائها الافرنسي
ذات يوم : اعدوا ما تريدون ، اما فاقوا كركه من العالم مثلهما تذكر بطرس
الحواري السيد المسيح .

ولم يكن كافور يعتقد ان ايطالية قدره وحدها على ان تكون استقلالية ،
فاحد يسمى لقد المحانات بعد ان اصبح وزيراً للخارجية حتى يقطع لمقابلة
التمسة ويعزز قوى البلاد ، وكان معجباً بالانكلية ونظامها العسكرية والادارة
والاقتصادية ، خاضع للانكلية وفرنسة على روسية سنة ١٨٥٥ ، برع سكان جنوى
الذين خافوا ما يصيب تجارتهم من الخسران بسبب محاربة روسية ، ولم يقد هذه
الحروب ايطالية فائدة مباشرة ، ولكن ساعد كافور ان يشترك في مؤتمر
باريس سنة ١٨٥٦ ، وان يقدم مذكورة له ، وهو على وشك ان يحتم اعماله ، بحيث
فيها حالة البلاد الايطالية ، فساعدته اللندونيون الفرنسيون واليهو مطالبته ، ولم

سكن الموقف الجديد الذي وقفته النمسة في حرب البوسنة. لم يكن من رفع حوائجها
عالياً ، وكانت الحفلات الأخيرة تجسد كبير الكون كاهور الذي ايسم له تقري
الزمان ، واصبح من عظم الرجال ، وكان نابليون الثالث قد وجه سؤالاً مشهوراً
قل فيه : ماذا يمكن ان يصنع لاطيالية ؟ فنار كاهور قضية بلاده في وجه اوروبا ،
وانتقد المناقشات التي جرت في مؤتمر باريس ، واكد ان حلة ايطالية والىروط
التي تعيش فيها تعرض الس لاور في لخطر .

وتشدد الضغط للنمسة رغم تحاولاتها لتبريل موقفها ، وكان نجاح النهضة
الاطيالية متوقفاً على رغبة نابليون الثالث الذي قسم في الم شياه ان يحل الوحدة
الاطيالية ، وكان قد ارسل طييه ليدعو كاهور الى اجمع سري يخص بها . فقد
الاتفاق بين افرقيين ، ووعد نابليون بتجديد ساردينية والسديقية الى بحر الادرياتيك ،
ووعدت ساردينية بالتخلي عن سافوا ونيس ، على ان تشارك في ايطالية العليا ،
وان دول في مائرها . وكذات كان نابليون الثالث هو الحليف اقوي الذي
يشده كاهور .

وقد شت بعد ذلك الحرب بين فرنسا وساردينية من جهة وبين النمسة من
جهة اخرى ، فانكسرت هذه الدولة وانحلت فرنسا عن ساردينية ، فنازات عنها
السردينية ، وانقلب بها نيس وسافوا احد مستقناء سكانها ، ولم تكن انكسرة راضية
عن هذه الحرب ، وطلبت الى كاهور ان يبين رغبات بلاده وامانيا ، وذلك لان
انكسرة كانت يومئذ متفاربة في سياستها مع النمسة ، ولان كل ما جرى في ايطالية
لما استوقف اقرار رجال سياستها الذين يفكرون قبل كل شيء وبعد كل شيء
بمصالحهم ، كما قال كاهور في ذكر اسباب كره انكسرة لهذه الحرب .

وقد ارسلت انكسرة سفيرها في باريس الخرد كوالي ابوابها بالانباء بعد
معركة سونفرينو الدامية وقد لمدنة واجمع نابليون الثالث وفرانسوا يوسف
في ميلان فرانكا ، وقد وسمت السفير بترقية طويلة اجمع الامبراطورين وهذا بعض
ما قال فيها : لقد التقى الامبراطوران باعظم مظهر ودي ، وتضافحاً كأن لم يكن

جري بينها شي . ، وعندما حلا أحدهم بمناجبهه ، بدأ فرانسوا جوزيف الكلام وأعلن استعداده أن يتناول الامبرطور افرسي عن البلاد التي احتلتها جنوده حباً بإعادة السلام إلى نصابه ، ولكنه لا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك ، فاجابه الامبرطور نابليون : ان عوقف دراسة والبيانات التي ادلتها بحملها فطالبت بشيء أكثر لأن الحرب قد انشلت لتحرير إيطاليا ، ولا يستطيع أن يبرر عمله عند الفرنسيين اذا ما تضمن السر تحقيق هذه الخاية .

وفي أثناء المصادفة بين الملكين أكد فرانسوا يوسف لنابليون رغبته الصادقة في استقرار أسرته وتثبيتها على عرش فرنسا . قل ان جدالة (نابليون) يسرع طريقاً غربياً لتحقيق غيبته ، وعنده من الحماة التي يركن إليها ، من الأسر الملكية لا تأسس عليها ، ويظهر ان نابليون - على رأي السفيرة - قد تقلب هباءاً الضمعية . حتى انه اتى ببعض القدر قليلاً : انه بذلك يسلك الامبرطور في مساعدته على انتهاء الحرب الإيطالية والنفس . بذلك على روح الثورة التي ولدها هذه الحرب . ثم افترقا الامبرصور ان بنفس الطريقة التي اتفقا بها .

وقد كتب الثوري جوهن روسلي إلى الملكة فيكتوريا بعد مصادفة فيلا فرانكا يقول : لا شك ان موقف الامبراطور نابليون ضد هوي ، وقد نال هذه الميزة لانه احب له المجال ليكون وحده بطار القصية الإيطالية ، ولكن هذا الأمر لا يكون سبباً لاثارة النزاع مع فرنسا . وقد يتسرب الشك نفوس في كون الخطب التي القيت في مجلس اللوردات ، واظهر فيها ضعفنا وقلتنا ، هي منقطة في اتجاهها وفي غارتها مع مصالح الوطن ، واضع سياسة في رأيي واسطفا ونوتفا واشرفها ، هي ان تكون على أهم استمداد في السلاح ، وان تعدل في حق جميع الدول المتنازعة .

واعربت الملكة فيكتوريا عن رأيها بهذه الكلمة : ان كتاب الثوري كوفي يعصح بأجلى بيان عن الخمار الشديد الذي تتركس له ، انه عندما عهد في مر إيطاليا او شاركنا الامبرطور في عمل ، وقد يكون قد اخذ على نفسه عبوداً كثيرة لاشان لما بها ولا عهد ، وقد يكون يرمي الى عتوت لا يستطيع مفرقها ولا تقصير

على إيطالية بن تشيادير ذلك الى توسيع بلاده على حساب اوردية وخسراها .
 وقبل احتلال رومة وانشاء الوحدة الإيطالية . كانت الدساتير السياسية
 تصنع صنعا في تلك التروب . ولم يكن في دمع حصوة السياسة الفرنسية التي
 يقاوموا جبهة نابليون . ولا ان يعارضوا التقاليد السياسية الفرنسية . وكانت
 سرديانية تعمل لوحدة عمليين متنافسين . فهي في المثلن تحجم عن كل تشجيع
 للثورة . وفي السر على التنازلي وتنازله . وكانت سياسة الايطاليين ترمي الى
 جعل نابليون امام امر واقع . فكانوا يدمونه من كل تدخل بسبب المبادئ التي
 فررها والمظاهر التي طهر بها والاعمال التي سمى لها . وقد انتهى الامر بانقاعه
 باستلحاق ايطالية الوسطى . و . انزل له بمقابل ذلك بما اتفق عليه : ليس وساموا .
 وكان غضب غرييلدي عظيم بسبب السياسة الفرنسية على وطنه . فهو بالاعتزال .
 وحينئذ كتبت اليه كافور : « من ام سلفية ؟ ولكن هذا الكتاب قد انكر . واعد
 كافور غرييلدي بالمدد والذخائر . وكان يكتب في الوقت نفسه الى الدول صريحا
 عن أسفه . حتى ان الاميرال برساتو قال : انه تلقى من كافور بطاقة يقول فيها :
 احرمك على ان يغيب بين غرييلدي وبين الطرادات النابوية . واحسب انك قد
 ادركت ما تريد : فاحبه الاميرال : اطلق في ادركت ما تريد . وتوسمك ان رحلي
 اذا اقتضى الامر الى الاعتقال . وازاد غرييلدي الثورة الثورة في رومة واحتلالها .
 فمارس ذلك كافور وقال له انت ستكون في رومة ذات يوم . ونصك محاولة
 هذا الامر الآن طائفت من اخيول . ويبدو ان غرييلدي باعماله في ارجاء ايطالية
 المختلفة ارسل البورد راسل يقول في رقيقته : يصعب ان اعتقد بعد ان تقع هذه
 الاحداث العظيمة التي يشهدها في هذه الاحيان ان الياء ومات حافية بل كانت
 قلوب رعايها .

وقد برهن كافور في نفسه من الاحمال ان اساليه وجوده في اعظم دليل
 على عبقريته ونوعه . وقد قضى لمح قبل ان تحل قضية الهندية ورومة . لحزمت
 ايطالية من مواعيد العظيمة بتابعة جهودها وتحقيق بقية آمالها . وقد ابدى كافور

قبل عثائه رأيه في قضية رومة ، واثان ان الرأي اعلم مصمم على ان تكون عصمة له ، واداءه تسجح الحلول السخية فاما مناس من القوة ، وقد اعتمدت ايطالية في بادى الامر على فرنسا التي كانت برغم الحطة التي سار عليها البابليون تتمسك ببقا ايطالية بحزنة كاثولية ، حتى انه بقيت في رومة حامية فرنسية منذ سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٦٦ . ثم استعانت بعد ذلك بحربية فلحق بها البندقية ، وحقت ميثاقها مؤازرة هاتين الدولتين الواحدة بعد الاخرى ، وكما حمت نخبها مؤازرة الحزبين الجمهوري والملكي الدستوري . وقد استعانت من الاوضاع الخارجية وادركت بمؤازرة غيرها ما كانت وحدها حذرة عن ادراكه بقواها ، وسببت سياسة الانقسام والتخالف مواطن الضعف التي كانت ظاهرة فيها ، غير انها لم تحتل رومة الا سنة ١٨٧٠ ولم تدم وحدها الا بعد حرب ١٩١٤ .

اما موقف الكنيسة اكانوا يكتبه من عمل دعة الواحدة ايطالية ، فقد كان البابا (بي) التاسع يصعب الخوف حول الكنيسة بانه من اعمال المصائب ، وكان يمتنع انقضاء على السلطة الزمنية نوره وان كان قد صدر عن ملكية مطامة ، وقد رفض البابا ان يمتنع بسلطة ايطالية وراوا احتلال رومة في الخصومة والمداومة ، حتى ان الحكومة ايطالية كانت تقبله الصلابة ، واخذت على انها ان تعاقب على وسم البابا وعلى استقلاله وعلى سيادته في نصرة ، وان منع تعويضاً له ، ولكن البابا أعلن انه لا يزال اسيراً من جهة مدوية ونقطع عن كل مفاوضة مع حكومة رومة ، وكان يقول : انه لا يروا انطوائ في المدينة حتى لا تقع عليه على التنازل والبرونستان الذين يطاردون آرائهم من غير حشية .

واستمر الخلاف في زمن ليون الثالث عشر الذي ما ربح بطالب بالسلطة الزمنية وبسكر كل دعوة الانقسام مع ايطالية ، اما (بي) العاشر فقد دخل في نزاع دائم مع فرنسا واظهر حيله لتجنب التلاقي ، ولم يترك عن المطالبة بحق الكرسي المقدس ، ولكنه أصبح اكثر تجارواً في جو الوحدة ايطالية فكان اكثر تقبلاً لها .

وبقي الخلاف بين كرسي البابا والحكومة الإيطالية الى ان عقد اتفاق لانتران سنة ١٩٢٩ الذي اعيد فيه مبدأ حرق من سلطته الزمنية . وقد دفع انما يبادل ١٥٠٠ مليون ليرة نقدًا وممتلكات ، تسوية لمطالب والحقوق .

ولكن هل يقال ان الفصية الرومانية قد انتهت حقيقة ؟ ان مسألة الكرسي المقدس هي ذات وجود لا تشابه مسائل الدول الاخرى . وفي رأي الكونت سفورزا ان الاتفاق الذي تم بين البابا (بي) الثاني عشر وبين موسوليني ثاني من علماء متفرد للحرية ، على حين ان جميع مخدورات الحرية مفصلة على انارل شعب عن حرية وانليمها سواء ، وقد كان مكلف في نفسه لا يحب الذي رفعون عقيرتهم بالشكوى من حرار الحرية . فقول ان سر سلطة رومة كان لها على الاحداث في اراضي واتزان في الاحتمار .

الفصل السادس

بلرستق

وأساليب السياسة البريطانية

١ -- المصالح والسياسة في القرن الثامن عشر

المكافأة من زيرة مناجرة ، وعلى سياستهم فحمة على هذه افاعده ، والامكان
لا يعمون ولا يكره ان لا يستعمرات ، وهو يتجرون اكثر مما يستمكنون ، فعليه
ان يجهنوا عن منافع تجارهم ، ويحريهم هي اداه ثروته فعليه ان يمدوا ويدأبوا
لاحرار سيادة البحار ، وهو يتجرون بصفاة التجنزة التي تعرضها للخدمة ، وصفات
الوطنية وحرابا الشموه الفالحة التي تروهم الشمر والاستثمار ، والمزلة البحرية
التي كانت تمنعهم في هذه الجزيرة اشياء -- كما قال اندوه شبيه -- عما يشكر عنهما
من الامواج ، وعبرها من الموائل التي تخرج فيها ، نعمن سياستهم القوي في ادول
السكر والخبز ، وتعمل بوفرة كذا تولى منهم ، تحاول منافعهم ، وهو يعلمون
الحكومة القائمة بهم ، والمعالجة على خدمة مصالحهم ومناجرتهم ، بطابع العنف
والهجب ، منهم كان يصنع لويس الرابع عشر في الحكومة القائمة لخدمة ابراه
والغاية مصالحهم ، والاقتصاد الحيواني الذي يعمون فواعده هو عنوان الدولة وسر
الملكية ، ولذلك كانت انكثرة تحرس على احتكار مستعمراتها ، وان سعى ، عصب
الحق كاه ينافره مع مستعمرات غيرها ، وتنفذ التهريب الذي تعاقب عليه في
بلادها بمنهى الخرم ، وهي لا تتسامح في هذا الشأن مع سائر الدول ، فتعير الصدهاء
وتزدرسهم ، وتقاتل لا قويا ، وتضع من كبريتهم .

وما كانت انكثرة لتفعل مطلقا ان تشاخرها فرسة سيادة البحار وساطان
المستعمرات وتجارة العالم ، ولهذا فقد كانت تعارض ممارسة لا هوادة فيها في

امتداد شواطئ ، فردسة في أوروبا ، والفتح منافذ لها في الأفيانس ، ولا تساهل في احتلال إفريقيا الغربية ، وتصددهم عن البلاد المنخفضة ، وتدفعهم عن الاتحاد مع بلجيكا أو الأسبانيا على الحدود الثانية من برين ، وفيت هذه العواطف يكن ما فيها من شدة وولوع في سي الثورة ، ولا يمكن الانتقام الذي انته فرسة في أمريكا ليحفظ من حدتها ، بل انه مارج يومئذ من القصد السلامة التي يدرك كثيرا كل التفكير من اصغر رجل القابضة الوسطى الى اكبر منشاري الناج ، ومن حفظ السياسة الثابتة والسياسة الدائمة اضمحلت فرسة والاحتفاظ بها واستقامتها في كل حل وحسبها في القارة الأوروبية . وما كان الانكسار لا يستطيعون ادراك ذلك بأنفسهم . لأنه لما يكن لديهم جيش ، كانوا ينجون بالاحتفاظات ويدلون لها الأموال ، وهذا سر اتفاقهم مع هيئة الذي دام هذا حيا ، فكانت الحصة تناول المال من الكثرة لتقابل فرسة التي تماقها ، وتدفع عن البلاد المنخفضة التي هي لها .

اماروسية عن السياسة المستقلة التي انتهت في أثناء الحرب الأمريكية افسد ما فيها وبين انكسار . وبعد ان طار أفريقيا من مدى من الزمن يتجران منافذها مشتركة ، حد الانكسار يظرون الى اموال التي تحول بين ، واستفراهم في الهند واستمجال امر الروس على شاطئ البحر الأسود ، وغير من حل الاتفاق والصلوات بين الدولتين اللتين كانتا متحالفين في الماضي ، وبعد تعاظم شأن التفكير في آسية قامت تناوى ، روسية ، واشتد الخلاف على معير المدالة الممثلة . لأنها لا تكن ترضى ان تصل دولة تماقها هذه المنافسة الى شواطئ البحر الأبيض . ولم يكن يكثر البريطانيون ببولونية لان تحاربه معها افضل من ان تذكر . وهكذا فان سياستهم ومخافة لهم كانت تؤدي الى هذه النتيجة المضاعفة : توسيع امبرطوريتهم البحرية والتصديق على الامبرطورية الفرنسية .

والانكسار لا توارين الا لتجارة ، والحرب تفضل التجارة وتعرفها . ولا يقانون الا عندما تكون مصالحهم مهددة حقيقة ، وحيداً نحوون غمرات القتال لانهم مضطرون له ، وبها تكون فيه ، ويجمعون اية كل ما عندهم من سير وثبات .

ولاشك ان السبب يرجع الى ما عرفوا به من اثره وانانية ، وتاريخهم حافل بهذه
الفتاكن والفتن التي اوحى الاستعداد بصيغها لهم ، وبذلك الاقدام المعجيب الذي
يملك قوى خصوصهم ، وطورا نجد قد جعلوا اورية وشأنها ، وطورا نجد قد
اخذوا على عتقهم قبايعها ، وبيننا نراهم يمدون اسائل المظلي في اورية ، اذا بهم
يزعمون انهم يدبرون امرها في مقبرة وكبيره وحفيرة وحديثة ، وبذلك يستفرون من
السبب كل السبب الى الحرب كل الحرب .

واذا علموا بعد القتال محو على ثلاثي امره واستفلة تاريخه . واذا علموا
محلو على حسن الاستفادة من النصر ، وفي كلتي الحالتين العالمون بالهبة ويقومون
بوقتها عليهم ، وترويه العظيمة نصيب على عمد دون كبرى ، غير ان القى التي
يضعون به يحماهم يستفنون المبدأ ولا يتحملون الاضرار في شؤونهم المالية ،
وذلك علاوه على رعيهم السائدة في الاحاطة بحريتهم التي تضاهل في الناحية الحرب ،
وقد رجعوا الى انفسهم بعد تصادم في حروب السنوات السبع والكسار في
حروب امريكا ، فاعموا الفكرة في تدبير امورهم ، وانظموا الى اصلاح شؤونهم ،
وعلى هذا النحو يتنازعون الارامات ، يستعيدون من التجارب ، ويقتنون في سبيل
الحريه بعد ان اذكروها ، ولكن قبل ان تالفها احادهم وتحسن مراتبها انفسهم ،
وبدلا يتفنون من تضال الاحزاب حتى يبدؤوا تضال انفسهم ، وقد ملا هذا التضال
القرن الثامن عشر .

وكان على رجال الدولة في اورية ان يتفوقوا ان هذه الارادة ان تكون الاولى في
الانكسار ، فقد سبغ التاريخ بان هذه الحكمة ، برعيه كانت تتجسط به من
الافراط احبار والامم الاحياء ، ما رجحت تغير في الحالة فغير بلعده ومع ذلك
فقد اصابت نمة الدول بها بعد ان تساحت في قسمة بولوبية ، وفي احتلال افريم
من لندن روسية ، وفي تحرير الولايات المتحدة ، فحدثت تنفير في حريتها وقد
انقلت الاشياء كاهلها .

اما الشعب فقد كان يحكم عليه بأنه في منبرته لا بد من سلطان ، وان دستور
هذه الحكى سلطنة ، ورجال الدولة ليس لديهم منابعة لأمور ، ولا نبات في السياسة

والا تحالف يوفق به . حتى ان دوغرين كتب في سنة ١٧٨٣ انه لا توجد سياسة مثقلة كسياسة وزارة سان جيمس ، ولا أكثر منها خضوعا لاساليب الموقفة التي غلبت عليها اليوميته من ان تكون لها سياسة ثابتة في القارة الادريية . وقد بلغ الامر ببعض السياسيين انهم كانوا يشبهون انكثرت ببولونية . الا انها غنية بمفكرة مضممة على نفسها . وهي ليست باقية الا بحكم المصلحة التي جعلتها بمنزلة من سواها . حتى كان يقال ان الاجابة لا يرون في انكثرت الا اساطيل عظيمة ومخازن كبيرة . فتؤثر هذه المظاهر في النفوس . وكان قليل من الرجل يطنون ان شيئاً قليلاً وسوسا كاذبة وحرارة لمدود تذهب الخفة وتبعث الفوضى والاضطراب في هذه الآلة الممقنة . وتكتشف القناع عن صميم لا يعرفه الا اولو المادفة والاصحاب الشان انفسهم . حتى ان كارين الكبرى كانت ترى ان الانكثرت تخونهم اعضاءهم . وكانوا في عصر فردريك ثانيا . مفرقين بيناوتون وبشرون . وعند يوسف الثاني ان دوغرين المظيمة آذنت بالاضمحلال . وقد تدخل في دائرة النفوذ الروسية كبحي في السويدي والفرنسي .

وكذلك كان بينا لها اعلاسة والحكما . وذلك بسبب الساع سافلام او كثره ديولها . ومحاولة ارشادها لتخلص من رفقها كبحي هو شأن مستعمراتها . وما تهددها من خطر الانهاس . ما حل . وما يتفق كاهنها من عبء الضرائب المتأرجح . وكان يرى حصة في برلين ان الساحة الاسكندنافية ليست الا ظاهرة مصطنعة من القوة . وانها على وشك الانحلال . وكانوا يفكرون في فرصة قبيل الثورة بارسال طيوش الى انكثرت والقضاء عليها . ويرى هذه الفكرة المتكررة امرا من الامور البسيطة الممقنة . ومن المداخلات القريبة التي تكون مع غرايتسا مألوقة عند الناس هذه الآراء السطحية المدفوعة التي تحكمها بعض الشعوب على بعض . تجعل حشية الاحكام في حشد الاقوى الساع فيه في الايام الماضية . وتجعل احتمال القضاء عليها من الدولة التي لا تصدق في الايام المقبلة .

وهذه الآراء في انعقادها وتناقضها هي التي كانت تقود رجال الثورة . لحرب ١٧٩٣ والحصار الجري فمات على منافع مقبلة وحفظ مهمة . ومبدا نشأ حلفا

نابليون الذي كان يخيل اليه ان الامر ضرورة ان يطالبه ليس الا وهم باطلا
وظلا رائلا ، وانه يستطيع ان يبرر سياسته ويسير على اعقابها الى الهند . ولكن
تفجع روسية وقفت في سبيله ، وتعلمت ذلك شهر الذي كان بهذه الفرنسيين
بمقاتلة انكلترا منذ سنة ١٧٩٣ وهلك الجيش معه .

اما متسكيو فريكن تجري معاصريه . بل يدعوهم الى التمس الصداقة
البريطانية ، ومعادرة بعضا هذه الدولة ، واحتساب الفل ان يسطراب شؤونها
ونقلب امورها . فقد شئت الاقدار ان تكون السياسة التبعيدية في هذه الدولة قائمة
في الداخل ، عزيرة في الخارج . بحيث اذا تعرضت لها دولة حربية وجعلت ثرونها
او مزارها مهددا بخاطر . تحت المصاع الصغرى للمصاع الكبرى واقبل جميع بدائعهم
من السياسة التنفيذية ، وهذا ما حدث عندما حلت اوروبا في انقراض فرنسا التي
هبت فيها عواصف ثورة لا مثيل لها ، فودعها نظام رجل الحرب في المصور
الحديثة . وكانت توضع مصاع الكبرى للمصاع الصغرى في العائد القديمة . وتعلمت
دعائس القصر ومناجات رجل الحرب مناصي الدولة واشد اعمالها . وكانت
الحكومات التقليدية تعرض سيرة باقية لانزال من اصحابها في كآب بسيطة الظاهر .
وبعد ان رتبنا الجميع ونارو عن التولي مقضية المسألة .
خرجت انكلترا من هذه كثراتها شلوف وكانت وحدها قدوة على جميع الدول
وقاداتها لما حسدها بعد لان هي عباها وراثتها لانها جميعا كانت تستمد منها .
ورفعت على رقبة لنظام وطاعة في الحرب اكثر من روسية ، وعلى متابعة الامور
اكثر من روسية وعلى صبر اكثر من النمسة ، وبذلك من صفات القدرة ما يجاور
كل ما كانت تطامع به هذه الدول الثلاث ، وه يستطيع وزراء فينة وبها سرع
وبرلين يتحالفها جميعا ان يكون لديها من القوة والحرية ما يقارن ما كان لدى
حكومة واي بيت من البضاء والذكاء والاثبات ، على حين ان انكلترا كان يرى
لراؤون شعبها في ياش مظهر قتال . يسبق له مثال في تاريخها ، فبرساتها مخذول
. متذكرا . وملكها كاره للسلطة الضعيفة الزائلة ، والحكم تداوله لا يدي برشوة

والامداد ، والاصطربات السياسية قد اوجدت كل شيء ، حتى الاسيرة ، والاحزاب
قد مزقت الشمس ، والعرض قد اعمقته المطامير ، والمجلس قد كثره الناس
واهانوه ، مما اعظم التناقض واشد التفاوت بين تلك القوة وهذا الضعف :

٢ - وليم يات والثورة

نفذ وليم بيت الحكمة وعمره اربع وعشرون سنة وذلك عام ١٧٨٣ ، فلما
اقتضت اشهر حتى اى باهره ان السانيع على مقدرته وكمايته ، وكان اعظم وزير
عرفته انكارة حتى ذلك الزمن ، وقد دهش رجال السياسة في اوروبا ايم الثورة
الفرنسية ، بهرهم قبحه الكبرية ، فلهذا كان في رجال الدولة الانكليزية مثله ،
فنعصد في اعماله ، مثله في اساليبه ، بعيد عن الظاهر ان يغيرها في النفوس حسب
الاشياء العظيمة ، يحرق الشؤون الاوربية ولا يكثر لامرها ، ولا يعبأ باساليبها
السياسية ، وهو يختلف بذلك عن تلك السلاسل التي لا يعرفون شيئاً عن الادم
ولكن يعرفون كل شيء من بلاد سوانه ، ويدرون شفا من بلاد حلية بما يؤثر
فيها من الشؤون الخارجية ، وكان يحكم في بلاده بقوى جدم من القوة واقوى
جدم من فكرة زابغة ، واستند سياسته في الخارج استنداً لا يتزلزل الى السلطة
الكبرى التي يتخفق بها في الداخل ، وهذه هي ميزته على رجال السياسة من معاصريه ،
وهو كما قال غيرو فيمكن يتجرى في الخارج المسائل الخطيرة ، ولا يبر الخصومات ،
ولا يتدخل في شؤون سوانه ، ولكنه كان يتقبل الاحداث العظمى بدون تردد
عندما يجد انه لا ماس معها ويكره على الاستمرار فيها ، ولم يكن يدمى اى حى
لهذه الامور الاضطرابية ، ولا يمتثل من مكانها طمعاً بتحقيق آمل وادراك رغائب
وتفديد خطط ومنافع ، ولم يكن توسيع الامور اورية بالحرب والسياسة الرغبة
السائدة عنده ، ولكن شؤون البلاد الداخلية ورخاء سكانها ونمو ماعيا وانتشار
المدن الشامخ فيها كان اشغل الشاغل له .. فتمت قبل كل شيء ، صلاح الحكومة
في الداخل ودواء السر في الخارج ، وكان يعتقد ان اصلاح الداخل يؤدي عند

سنوح الفرصة الى عضمة الوطن في الخارج ، وكانت عقريته مصدوعة من المثبات ، وهذا المثبات يستند الى عقيدة لا تتغير في انفسار العقل السليم والرأي الصحيح .

وكان التثريب والادارة من الامور التي تأتي في الدرجة الثانية عنده ، وكانت نفسه تعصر الى غاية هي فوق اشياء القوانين ومفاوضت المعاهدات وتنظيم الاساميل واعبة الجيوش ونحوه العساكر ، الى الامور البعيدة عندهم بقضي اوضاع الجبلين وتبويره ، فقد كانت نفسه جميع قواة تعمل ، ويصبح حينئذ اعظم رئيس عرفته الكثرة ، متمكنا من جميع عناصر الحكم في التقدم البريطاني .

ولما تولى مقاليد الحكم كانت انصب بباله رمة شديدة في سلم عزية ، دين افيل ، خزينة مضمومة ، مربية ملكة ، شعب منقاد ، برلمان صاير ، معارضة قوية اسمي الاستيلاء على الحكم ، بقوده حليبا ماهرا ، ورافيقون من الطبقة الاولى ، واما نظرا الى مناهل الامر وحدها مشابة بوقف مرارة عندما امر الاركة لويس السادس عشر قبل تسع سنين ، غير ان الخلاف في مرارة كانت ناشئة عن التحلل الدولة والحفاظ للملكة ، التي انكثرت بمفكرات لارة شديدة بدون شك ، ولكنها طبيعية وجوية ، ناشئة عن نحو الامة وتكون الدولة ، وكانت في الكثرة ، اوضاع استطاع ان يمزجها بمؤدقة مع رومان جبهة لبرغاث الوطنية ، وكان اتصال في هذا الشأن متمم لمراجع القديم الذي اشاد اخلاق الامة واستجمع عزائمها ، غير ان هذا اتصال كتب بين الحزاب لا بين طبقات ، وكل حزب كان يرمي الى حكم الدولة ، وما يكن هناك حزب يعلم في ان يدعي الدولة فيه ولا ان يفكر في اوضاعها ، وكان يمكن ان يذود بوسائل السرعة والاصحاح الدستورية ، ويمكن مهبها من يضارعه ، مديعار لكل الميطرة في وراثة محبوبا كل الحزب من سلطانه ومن برلانه ومن اتمه ، ولم يهين في الكثرة من تتبع بشل سلطته ، وقد أصبح يحق القوي رحد في اوريه .

وكانت قلوب الانكليز تعظم حقد على مرارة ، وقد ظهر مانعكته من حذرات في اثناء مناقشة المعاهدة التجارية سنة ١٧٨٦ ، على حين ان شروط هذه

المعاهدة كانت ملائمة لوجهة النظر الانكليزية . وكانت في جملتها من الاعمال الزميمة ،
 وقد قرر فيها ان تدفع فرنسا الى تكاترة نفقات حرب امريكا . ولكن المواطنين
 الانكليز لم يكفهم ذلك ، حتى ان فوكس الذي سيدعو عمال قبيل الى الاتفاق مع فرنسا
 ونحث عليه لجلال وروعة كان من المحرمين على سياسة التراجع والخصومة ، وقد
 نادى بانى دونه : ان فرنسا هي العدو انكثرة السياسي ، ولكنه لا يذهب الى
 حد التشاكيد بانها ينبغي ان تبقى كذلك عدواً لابطالهم مع بريطانيا العظمى ، وانها لا
 تستطيع ان تشعر بحاجة لحماهم الى مصادفة هذه المملكة ، فذا كان هذا الامر غير
 محتمل لان ما هو مستحيل ، فحيث يتفكر ان عقلى انى هذا انما كيد ولا يمد
 الحزم ، الاتفاق شيئاً عربياً ومستحيلاً ، فمن الضعف ومن القهولة ان يمد شعب
 عدو لاخر الى الأبد . غير ان هذين الخصمين في تضالهم الخاسر كان كلاهما بعيداً
 عن العدل الذي هو الغاية به في حروب الثورة الفرنسية ، حتى انهم في الحقيقة اذا كانوا
 قد غير لغتها بعد ذلك فهي غير شيلة من الخلاف ، فما زال فوكس عطياً
 ومارال بيت رجل دولة ، وكانت لاشيية في حلقه ، ولكنه مدحى عرساً للشائيم
 التي كانت تجريه وتؤديه اكثر من كل شيء .

وفي اتنا قيام بيت باعند السلطة ، يكن له في مدي الامر النفوذ المكافئ ،
 ، كان في حلة ما يبره ، فبالله فرنسا ، وهو لا يستطيع ان يبال ما يريد الا باحراز
 انصار يتفق به من هذه الدولة ، برضى كبرية الانكابر ومديتية ، مستجبت له
 فرنسا الثورة فهو المديسة ١٧٨٧ وكانت فرنسا تشد يوه ثدازر المواطنين وتعال
 انكراه السلطات على التسليم ، فحانفت انكثرة سنة ١٧٨٨ مع هولندا وبروسية .
 ونحت هذا العمل ببناءه دمي عظيم يحوّل ما يقول الفصل في شؤونات اوروبا
 حتى اوانت ذلك .

وبعضل هذا النجاح استطاع بيت ان يجتاز اشد الخس التي حرت بحكومته ،
 وقد اصيب الملك بجنون ، وظن لاجرار اسدق ، ولي العهد ليرج سيمز عوان السلطة
 من الملك الذي كان حراً في رسته واسوبه ومبادئه وان حكماً مع الهاجعين ، فمرف

بيت بحرية في سدر مباحية ، وثبت محتاجه وفود برلمان في تحديد سلطة مجلس
الوصاية ، وبما أن بيت كان له أصابع في يد ، سنة ١٧٨٩ تم الناس البربر والابتهاج ،
فاستقرت السلطة ، لكن في قررها وجدت في نصاها وتمكنت من قلب الأمة ،
وزاد حب الشعب بيت أكثر من قبل ، وأحدث سيطرة على أوربة هذا الرجل
القوي الكبير على رأس حكومة تتمتع بكتابة عظيمة ، واستمد قولها الخطيرة من
عبراتها خيرة ومشرقة وطليعة وعصاة ها قومية .

وعدائهم الكثرة وانفجرت من أممها في ما فت أمي كان كل شيء ، شعري في
مروسة ، لم يكن يجرى أن يبادوا ، لا إصلاح حاله لا الثورة العامة ، على حين
أن الكثرة كانت تشاء من نصاها وسعر في ضيقها ، سادة صناديق وانفجرت
تأوت متطورة في نصاها ومؤسستها ، وهذا التناقض بين ما كان يجرى إلى
يد أممها ، وقد صبح قانونا لها على وجه التقريب ، ولا تكاد يتقاربان ، وسكرة
سياسية تفيض الفرق بين ، القديم دستور وثقافة ، وقد وجد أممها القديم في
مروسة ملوثة من التناقض وفي الكثرة صفة من الأتباع لم يخطون مهادنهم لمست
سؤدده من أحداث التناقض ، ويبدو أنه في سبيل منهم .

وأنف في الكثرة حزب من ينفجر بين وجه التناقض ذلك الحراك ، ولكن
هذا الحزب كان يطر إليه في الكثرة كما يطر إلى أنه حركه ولا إصلاح بينها ولا
مال ولا نصاها ولا قبلة ولا رئاسة ، وبما يندرج هذا حزب كثيرا في سكراته ،
ويكبه حديق ، أكبر من أممها بين يناصوه من أنه سنفوه ثورة في الكثرة
تأوت الثورة الفرنسية ، التي كانت في كل أممها موضع سجن لا حركه وعظفهم ،
سرايا الأمازيغية ليست مروسة تباد على بعد تصور لامور مبرا ، وعابر أممها بين
الأممها بين أممها بين ، فلا يكون سجن سادي ، وقوة عد ، أما الآخر فإن فهم
يضعون القادة ، حاوون أن يعضوا قلب حركه ، ولا سكرات ، يجرى في جميع
مداركهم لتأريث بين تصور وبين العمل والتعاد فلهمة موافقة توفيق ، لذلك
مقد كان لابد الواحد ويذهب الواحد يمشان في هذه المدوة من البعد ، هاديين
منحسين وفي تلك المدوة محاضرين متشددين .

وكما ان النضال السياسي في القرون الوسطى قد اختلف بين الاشراف والشعب في انكسار مقاومة خصائص الملك واستبداده ، فكذلك كان امر الموام والاشراف في مقاومة الثائرين الذين كانوا يهددون العهد (الشرط) والملكية ، ومقاتلة الانكسار الثورة كانوا يعيدون ذكرى تقاليد هاتاريخية ، فكانت حرب المقاومة حروباً وطنية ، وكانت انكسار خصم الثورة العبيد لانها وحدها تخلصها بمثل عدتها ، ببادي . لوطنية والعواطف الشعبية . وقد كانت ظهرت في اثناء الثورة بذلك يظهر الحيل ، وظهرت الفكرة الاوربية بعد . ظهرت من الموان والعتار ، ولأن الشعب ايرصاني — كما قل مستكبو فيه — هو الشعب الذي عرف اكثر من كل شعب ان يقدر حق قدر هاتذه القواعد الكبرى في العلم ، الدين ، التجارة ، الحرية .

٣ منشأ البرسنت ومميزاته

بعد حروب مدوية استعرت نيرانها بين فرنسا وبين بريطانيا . استقرت السياسة البريطانية على اساسين عليين : الاول : سيادة البحار ، والثاني توازن الدول ، ويشتمل من هذين الاساسين امران آخران : لاكتفاء بحرس برى قليل ، والتمسك بمبدأ التجارة وحرية ، وهو ما تقوم به السياسة البريطانية على ان يكون الاسد البريطاني بحراً يعبر بين اثنين : احدهما شعور اوروبا وحرماها شعور العالم . وبذلك تكون علاقتها مع الجميع دقة وتعاملها متشابهة متينة .

وهذه القواعد السياسية هي التي اوجت لورد كاستلرغ ان يقول : ليس هم في معاهدة مينة ان يعود والوثة مدفوعة بانصر ، ولكن ان يعمل على توجيه اوروبا في طريق السد . وكان كاستلرغ شامفاً في السياسة الداخلية ، ولكنه يتجنب التدخل في شؤون الدول الاخرى ولوماعية ويشارك بذلك رأي مواطنيه ، وكان كانغ حاك كاستلرغ في الامور الخارجية يصرح بان انكسار ليس لديهم اي دافع للتدخل في شؤون الدول المستقلة ، ولذلك فانه اسرع بالاعتراف بالمستعمرات الاسبانية التي منلت استقلالها في امريكا الجنوبية ، وقال في ذلك

كلية تاريخية فإنه دعا إلى البناء عما حدث حتى يفهم التوازن مع العالم القديم . .
لكنه أرسل بعد قليل جنوده إلى البرتغال لمؤازرة الدستوريين ودفع
المدوات الخارجية .

وقد عمل تعاون الدولة الأوربية الكبرى بعد انقضاء حق نابليون، وكان يرى مغربيح
أن هذا الاتحاد لن يشرع من خطأ أو ثمار ، كقطع ولكن رأى أكثر الانكليز أن
انقضاء تعاون الدول الأوربية يرجع إلى حروب من قواعده الأساسية، فبدأت التي انشأت
لأجلها إذ أصبح وسيلة للرجوع العقيمة . كما كان قد كان من بعد وروا الخارجية
البريطانية ثراً وأطعمه حطراً ، وكانت له مساعي حتى في تحرير اليونان ، وهو
عناطف في السياسة الداخلية جز في السياسة الخارجية ، حتى أنه ليعتبر واسع
تقاليد السياسة التي اتبعت من بعده .

وبعد أن بدأ بهرستين عمله الطويل في وزارة الخارجية البريطانية كان قد
طوى أمر التحالف المقدس والتعاون الأوربي وما سبق من الألف كبرى ، وقد
نفوس الانكسار بين روسية والنمسة على التحرير اليونان ، . فتمجست روح
الرجعي التي صادت بعد الحروب الطويلة ، والحد زمن بسائر المبادئ الجديدة :
القومية والديمقراطية . وما يكن بهرستين من صحاب الخيالات ، . لأمين أصحاب
المعاطف ولأمين دعاة الأعراس في الإصلاح والتفكير والتبدل في الشؤون الداخلية ،
ولكنه كانت محافظاً في أول أمره . ثم نفض إلى الآخر ويستطير الانكليزي
المتوسط رأيه في كبر العالم والاستطهاد ، ويدير الأمور بحسب تقاليد كانغ .

وقد حدثت الآراء فيه ، فمن قائل أنه كان من الصكر وروا الخارجية
البريطانية ، ومن قائل أنه كان محرمًا جعل أوربة تعيش في جوع عصف ، وعلى
كل حال في أثناء العشرين سنة التي قضاها بهرستين في الحكم والسياسة كان يتأرجح
سياسة الآخر أو رحلان : أحدهم روسل وهو زعيم الحزب الرجعي ومن أصحاب
الآراء والمبادئ ، . كثير التورع ، سمع الملائقة ، وتأثير بهرستين الذي نحن في صدد
ذكره والذي كان مشبهًا بالفكر الأرستقراطية وسب السط ، ولكنه مع ذلك

كان رقيق العشرة ، فكما الاخلاق ، لطيف التكلفة ، يحسن ارضاء النواب ،
 ويتجنب اليأس ، سياسة الحيلة التي تشكلت في الحرب ، فيتميل الرأي العام
 يجعل انكسار في موقف السيطر ، ويحاطب شعور الوطنية عند الانكسار ، ويتميل
 ما يسميه الرئيس روزفلت الآن بسياسة المعاملة الخفيفة التي يصعق لها الجمهور الماهل .
 وكان اعظم فور له في حياته السياسية لمدينة ، خطبة قلها على اثر اعتداء
 حري في اليونان على يهودي متجسس بحسبة البريطانية ، وفيها هذه الجملة الشهيرة :
 كان ايرلندي يصيح عني في يوم لرومة بحرية من كل امانة ، وكذلك ايرلندي حري
 وجد بشمران بين بريطانيا اليقظة انعامه ، وان ساعدتها الخويل بحرية من كل
 اعتداء . وفي ذلك اليوم من خفايا بعد هذا التحريض فقد نفقت المملكة منه
 استشاره احياء في السياسة ، والاسم موافقه على عمل نابليون الثالث في فرنسا من
 غير مشاورة الوزراء ، فخرج من وزارة الخارجية ونصحه عاد بعد قليل
 برئاسة الوزارة .

• اذا كان اسم كاسترخ مفرو . بمعاهدة فينة ، واسم كانغ مقرون ، وتجور
 اليونان ، واسم بمرس بدكر قبل كل شيء . منشاء بلجيكية . وقد كانت الثورة
 البلجيكية واسم بمرس من كزية في سنة واحدة . مساعد على ادراك بلجيكية
 حياها واستقلالها وعلى اير . معاهدات سنة ١٨٣٩ ، وكان يتفقد بحق بلجيكية
 السكاثونكية فتم تزيده من التحلص من حكم ملك هولانده البرونستائي ، والتجور
 من القيد الذي وضعته في عبقها معاهدة فينة من غير ارادة شعبها ولا موافقه .
 وكان يندى التجور نفس هذا النمط من معاهدة فينة الى حرب اوروبية .

وكانت المعصاة الشرقية . حرار الانكسار والتبر هو اسمهم . اد رقيق خلاف
 بين بريطانيا وبين تركية بعد تحرير اليونان . فاقدم بمرس على شد اير
 اثمانيين في قتال بحر على ، وكثرت بشريدورسة ولم يس قلبا لاجديوي ، ولا تخاوف
 بعض زملائه من عواقب هذه السياسة . وكذلك اظهر بمرس ميله مساعدة الاحرار
 في جميع انحاء الاوربية ، حتى ان خلافا حدث يومئذ بين الملكة فيكتوريا وبين

ورائها ، فكان الوزراء يرون ان الملكة التي تعمل بمقتضى الدستور ليس لها الا ان تطلع وتعد . وكان الملك جورج الثالث آخر ملك في انكلترا رافق سياستها الخارجية ، وعلى هذه الطريقة فقد شجعت انكلترا وبرسها زكية على مقاومة روسية والنمسة وحماية الملاحين اليها .

وفي العهد الذي مضى بين سقوط نابليون وبين سنة ١٩١٤ لم تدخل انكلترا في نزاع دولي الا مرة واحدة وهي في حرب القرم ، ويرى الانكليز ان هذه الحرب كانت سيئة الطالع . واداك كانت الغاية التي رُمي اليها من مقاومة الروس حسنة . فان السياسة البريطانية لم تبد من الجراءة في استثمار هذه الحرب والانتصار بها . بما كان يفيد العالم ويعود عليه بالرحمة .

وامم مقام به بهرستان في أثناء وزارته الاخيرة (١٨٥٩ - ١٨٦٥) حين كان وزير الخارجية جوهن روسل رئيسه القديم . مؤامرة ايطالية في تحقيق اتحادها بدون ان نحوس بلادهم حمرات الخروب ، وذلك انه بعد ان استطاع عز بلدي ان يخرج من سقلية جيش نابي روضت انكلترا ان توافق روسية على منعه ومقاومته وكانت الامة الاسكندنافية تهافت على التنازل بعد ان قصير المدي الذي كان يرى غير ذلك ، وقد اعرب اللورد روسل في برقية معلق فيها باسم الوزارة عن اتجاه البلاد فقال : الايطاليون انفسهم افسدوا حكامي ، معالجهم الخاصة ، والشعب القاطن في جنوبي ايطالية له الحق ان يقطع سنته رؤسائه السابقين . وقال في ختام هذه البرقية بعد ان ذكر انه لا يستطيع ان يرى سبباً كافياً لاجابة النمسة وروسية وروسية الى ما يبتغونه من استئجار الحمل فكثور عما يؤولون : ان حكومة صاحبة الخلافة تتوجه ببصارها الى الخطة التي التي استعملتها النمسة ضد ابيد اليه يوسس بينه على قواعد الحربية . ونفت ان كان استقلاله في وسط سلف اوروبية والعالمية الطيبة ، وكانت هذه البرقية مترجمة عن مادي الحرفة ، كما كانت خطبة بهرستان في التشبه بالرومان عنوان الدعوة للقوة واسيطرة .

غير ان سياسة الرجل القدامى يكتب لها نفس النجاح في حرب انفصال
الامريكية بل عدت بوقوع حرب بين الولايات المتحدة وبين الكتارة ، ولم يكتب
لها النجاح ايضا في الثورة اليونانية ولا في قضية شلنبرغ هوشاين ، وكانت
الكتارة عند موت بهرست في حلف مع فرنسا وبروسيا وروسيا والولايات
المتحدة .

ومرات سياسة بهرست هي محيرات السياسة الخارجية الانكليزية وهي السياسة
النافذة - كما قال درراني - على شؤون البريطانيين في الخارج ، وهذه السياسة
تمثل في واقعها من رجال السياسة عناققة من شباه روبرتس وعلاؤس بفوم
مدعهم على بسط السيادة الانكليزية عن طريق الانتاج والاستثمار ، ويجدر هؤلاء
في سياستهم توسيع الامبرطورية خشية من اثره الشاكي والاشتبك مع الشعوب
الاجري ، اما طائفة الثانية ورجالها امثال بهرست ودرراني وسلمبوري
(وان كان الاول أصبح في عداد الاجرار) فان سياستهم تقرر ان الانكليزي لا
يأمن به في بلاد غيره ، ولكنه داخل في بلاده ، وهم يسمون سياسة لا تورع فيها
ولا حذر ، ويؤيدونها بالانتاج حين الحاجة ، وهم يخافون الشعوب الضعيفة بلهجة
فسية خفيفة ، اني آثارها حتى في عناقية الشعوب القوية ، وفي كل مكان تهدد
به مصلحة من مصالحهم ، وهم يدافعون عنها كأن هناك عهدا او دافعا او حفا
مؤكدا معقد ، وهم يعاملهم يستعملون الشعوب ، يترغون ذلك ويمدونه مدحرة
لهم ، ويصدقون ان شعبهم هو الشعب المختار ، والسيد المشرق ، وحامي انصفا ،
ويأولون التواضع مع الذين هم دونهم ، كما أنهم لا يفرطون في الاشتباك والتمارد مع
اشباعهم ، والعزلة الباهرة من جملة عدائهم وطباقتهم ، والشعب الانكليزي لا
يتسامح مع الخفيف ولا يكتفى بالناجح ، ولكنه يطالب بالتصريح الطاهر والياح وبأمر
ولا يبالى بالمقدمات التي تعرض سبيله .

وحقوق الدول عند الانكليز وسطة حميدة مصالحهم ، وهم يترغون قواهم ويريدون
الاتسار بها ، ويمكن ما يذكر في مؤاخنة رجالهم حادثة إطلاق القذائل المشهورة

على كوبياع ، ومعاملته لليونان في قضية احتلالها البريطانيون ، وفي الانتخابات التي جرت سنة ١٨٥٧ اعاد الشعب البريطاني الى المجلس النيابي من ايد بميرسون في حلقته وتذكر الذين عارضوه ، وقد سقط بميرسون في هذا المجلس الذي كان مرآته لانه طلب معاقبة الذين تأمروا على نابليون الثالث ، ولم يكن ذلك لانه اراد تغيير الوضع في حماية الاذنين ولكن لانه في هذا العمل خضوعاً لما طلبته دولة اجنبية من انكسرة في تغيير نظامها المتفق والاحثين المتأمرين ، وهذا انكار لنفسه ومبادئه التي رفعت شأنه في بلاده ، فانقلب عليه المجلس الذي هتف باسمه واجتمع تحت لوائه ، والشعب البريطاني يدعو الى امتسكه بالنقل اماهيا ويحضرها بما يقدر ما يستوجب ذات اساليب سياسته ، وما يقتضيه مصالحه وعيونه ، وعلى هذه الشروط يفهم فطاس المبادئ ، ويحضر كل دولة عضواً في الامم الانسانية مكلفة بواجبات الشرف والعدل والوفاء نحو الآخرين ، وادقمت مدات منه يعترف لها بحسن التصنيع واحياءاً بالتجرد والكرم والفرسية ، ولكن لا يفي اثر للعطف والشورى والصدق والوفاء ، والامانة والانسانية ، حتى اصبحت قواعد الدولة ومفاسدها مهددة .

ولا يستكروا في انكسرة تغيير رجال الدولة مداهمهم وآراءهم واحزابهم اذ لم يفجروا ما بانفسهم من سعات ومن احييتهم الى الشعب الانكليزي وحملته يسير وراءهم ، وفي مقدمة هذه الصعاب مناقشة الخصوم والنصر في الشدائد والتجملد في الحوادث والشكبات ، وكثيراً ما تجارب ورين من سياستهم حفاظ الفنون والزيادة في اعباء المسؤوليات التي يتجهونها ، ولكنهم عندما اتى اليهم مفاهيم الاحكام لا يبالون اذا كانت اعمالهم تخالف رغباتهم الساقطة وآرائهم المعلقة ، كذلك كان شأنهم في مصر والشكبات والزيادة والهدم ، وما استفدوا من رموز الى الاعمال الصيفية في السودان واتمى بالائمة على اختلاف الوجدانين : وجدان الوطن الأم والوجدان الآخر لهذه البلاد النفسية التي لا تحيط بها المماركة ، لا يمكن في جواب بلغور الوزير الاول شي من البحث عن الشفقة والانسانية ولا يكفي بأن قل : لقد قم كمشترعاً

بوحية اية صهيونية ، والتي قد بشي . لا يتفق . وصالح البلاد . وقد تكون هناك
اعمال لا تقبل بقبول حسن . وكان لثمنين الكبير قد عمر في بعض الامور . وقال
عنه مدحونه لو كان سجاج حايقة لم يصح الناس على مفارقنا نيجان الفخر ولا يجوز
التبعد ان حايقة من القتل ما اذا ما ان تقف في موضع الصرامة . وقد اعجب
الشعب كله بهذه الكليات الفجورة وهنت لها .

وتوحدت حرب اليهود الى الافكار اربعة سياسية فيحة . فكان رغبة المحافظين
التور ساسيوري وبعيد الاحرار وليم هاركو يتفقان في تقاعد عن رعايتهم . وهذا
الشيء بين اربعة الاحرار والمحافظة من مائة سياسة الافكار ومائة رعايتهم .
فقال الاول الذي قال ان راي العام في هذه البلاد تنكر بالارادة العامة تفهمه
من الآراء التي سبق لها ان صادت بمعه . دمج بين عدة مبادئ الحق والحق ان ما
ستعديده . ان تقابل جميع اعمد وان يدعى التراجع عند كل سوية فورية او هذا قد
يحمل في حياته احضار اشياء . فيخرج من الدنيا جميع الامم . لا سوية . وليس هذا
ما يجوز اعماله . والسمعة التي لها في دولة الحاضرة ليست في حال من الاحوال
تألفه بملو يقطع عليه . ولكن هناك خطر شديد هو ان يحمل انفسا جونا هو
فوق طاقتنا . ومن القاء قويا رجلا وشعنا . وفي ذلك ما لا يستطيع ان شعدها .
وان حاولنا ان هذا يقاد الى الضرر . وكثيرا ما وضعت مثل هذه الخرافة في دولة
سياسة تحت ما تحت من الناس .

اما رعب الاحرار فقد ورد في تور ساسيوري في شؤون السياسة
بومر . وقال : هذه عبرة لغيرنا . ان تتأهبا . وقد قبل انما به يعطي ان
ستفيد عبرا كثيرة من هذه الخرافة في الامور العسكرية والبحرية . ولكن
هناك عبرة اعظم . حال تفيد امن البلاد وساميتها . وهي ان لا يحمل على اليأس
والقوطة من الذين يريد ان يكونوا اسد قوا . ساسيوري . وحيد . ولا يلى معاملة
الذين يعملون تحت نفوذنا وتأثيرنا ونفس فيهم . ان نسومهم برفق وحذر وعناية
للنفس . كما يليق بحكمة امبرطورية تشعر بمعضلتها وقوتها .

٤ - النزاع بين انكلترا وفرنسا

استقلال البجيت والسلة المصرية

كانت سياسة الدول نحو سنة ١٨٣٠ لم يس فيها ميدان على التفارب ، وكانت كل دولة منهم الاخرى بذات سببته نحوها ، وما كان احد يعرف ما يمكنه في مصر من السياسة عند كل دولة وما يجري في حواضره وما يقدر من الانقسام بين اقوالهم واعمالهم ، وقد اشتكت السياسة الانكليزية مرارا عديدة في مشكلات شتى ، التي في مقدمتها استقلال البجيت والسلة المصرية .

اما استقلال البجيت فقد كان مهدد بخطر اعمد الممانع بين انكلترا وفرنسا ، وذلك منذ انقضت معاهدة على هوادة ومناات باستقلالها ، وقد نشأ الخلاف من ترتيب امير فرانسوا ليمالت في تلك الممانع التي بدت هاربا في فرنسا كي يمتد اليه انيون فرانسوا الشيل ، عمدت انكلترا ذلك تحديفا ، حتى انت الوزارة الانكليزية صممت على الحرب مع اذاته ذلك ، وفي اول كتاب ارسله بهاريس سنة ١٨٣٩ الى السفير عرقييل قال له : لا بأس من ان ابعث في اول فرسب مناسبة اما حراسون كن الحرس على توميلد اتفاق خمسة مع فرنسا ، وان نجوى وايها في الحرس حل وهايل ، ولكن على شرط ان تفتح عما عليك من احمى بلاد في اوروبا ، ولا تعمل على ان تخرج من حديد سرب اعداء او فتوح .

وقد سجد ما عرفت ندرة اسوية امور البجيت ، وبين فاهية حدود فرنسا ، كي ان حصارها التي قررت من لدون اعمامة اتوافق عليها ، حتى ان فرنسا رفضت الاتفاق لاجلها فكرة البجيتيين ، لمدر كانت اعتمادهم سيكوتون مع فرنسا ، وروحا ، وانها ستضع يدها على الحصون مكتظة بالذخائر والتي كانت قد اشنت لغزونها ، وناع الامر بوزير الخارجية امر سيرة بهاريس الى ان يقرر كتابا في الدفاع عن وجهة نظر البجيت ، واما ان فرنسا لاتوافق على الشروط ، كما كان متفقة مع مصلحة الفريقين ، وقد ادان هذا الكتاب قبل ان يبعث الى الوزير ، مكتب

بمعرضي الى سفيره غرنفيل ليحتج على ذلك ويطلب من الوزير الفرنسي تبصراً لما كتبه . وقال : انه اذا ارادت حكومته ان تنكر اعمال محتالها يجب عليها ان تقبى بذلك جميع اولى المائتة الذين يجري التعاقد بها . ولأن بلغم الأمر عن طريق اناس آخرين . واصاف بمعرضي ان الحكومة البريطانية كان يوسعها ان تنهى عمل المؤتمر ، لولا انها تتوقع ان تصلها بيانات مرسية عما قريب ، وكانت سياستيني وزير الخارجية الفرنسية حريصاً على التمسك ولكنه شعر بالانهانة التي وجوب اليه فقال ان رسن الممثل الفرنسي يمكن مادتونا بنشر الكتاب ولا بأن يطلع عليه غير نواب بروكسل ، وملاوة على ذلك قلت مؤتمراً اندوة لانتجار صلاحيتها بوسط بين الفريقين ، وانس له ان على عليه اوامره ، وليس باستعانة فراسة ان تكون عضواً في تعامد مقدس جديد يستبد بالحكم في الملائق بين الامم .

ولما عر اللورد غرنفيل بان انتحاب الدولة دي تور وذلك للبلجيكا اصبحت امراً مقضياً ، وان وفداً قدم باريس ليحمل اليه رسمياً الى ابيه هات درسا لومين فليب كتب الى حكومته قائلا : لم ير ايديا تغييراً في طائفة النفسية والخلفية وفي اللغة مارأت هذا اليوم من سياستيني وزير الخارجية الفرنسية ، وفي الساعة الخامسة كان شديد الحاسة يريد الحرب وركب لها كل مركب . وفي الساعة الخامسة وثمانية جاء الى بلغمي محاري من انتحاب الدولة دي تور ويطلعني بصوت عتاء في الهدوء والمودة ان الملك قد اجب بالرفض . ثم قل وقد بدت عليه علام الخد : ان لنا بك ثقة غير محدودة ، ولا تريد ان نكتسبك وثائق اعطوى دواء كراماً . وسنعمل دائماً بكل مراعاة . وكان بعد ذلك انت انتهم سياستيني بمعرضي انه يدرس الدسائس في البلجيكا وانه يقول شيئاً الى وزير بريطانية المعطى في بروكسل ويقول نده الى بليران ، وكان لمعرضي ان يخفض كل من صاحبه وفرنس به اللدائر .

فلما ابلغ غرنفيل رسالة سياستيني الى بمعرضي ، ارسل كتاباً عن طريق وزارة الخارجية الفرنسية الى السفير اللورد غرنفيل يقول فيه : قد يكون من اللازم افهام سياستيني انه يجدر به ان يعبر السيادة على نفسه ، واداً لم ينجح في ذلك

فان عليه ان يمسك عصيه على من شاء والسكن ليس على الكثرة . وليس من عادتنا ان
نهم باننا قد اصبحتا محادعين . فربحوا ان تبين له ان تبين ان لم يحسن ادراكه ما
قلت له . و يظهر انه قد بالغ فيما نقله . . . فقد سألني ان ادعو السفير الانكليزي ان
ينقطع عن مؤامرة الحرس دوني . و حجتة هي روسية بان يعمل بما قالت له دائما
ان يعمل . و هو ان لا يتحيز لاحد . و لكي لم اقل لغيري ان او على الاقل لم ارد ان
اقول له ان السفير الانكليزي سيمهد الرشيع القرابي . فكتب شريفيل حونا
بقول فيه : ارجو ان تكون المنة البليغة النافعة التي وعظت بها سبستاناني قد
سلحته ان يتمكن من نفسه . وهذه الطريقة التي اتبعها كثيرا ما يلجأ اليها لاطلاع
حكومة على امر قد لا يكون من الغاملة التي تلقه مباشرة . و لكن عدا في
كتاب يعرفها استفتح ونقرا . وقد طلب بهرستان عزل برسن الممثل الفرنسي
الذي اعتبره الباجيكين انه عررهم . فاستقال بعد ان خرج موافقه . وكان في
آخر الامر ان تحت ابوالد دوساكس كه بورغ ملكا . وروح بن لويس طيب
ارضا لفرنسة . و هو الغالب من نفسه بدست طبع الدول المضاربة : انه بين
الطريقة والسندان .

هذا ما كان من استقلال الباجيك . اما ما كان من اسئلة الشريعة فن وزارة
الخارجية البريطانية كانت تقار بريبة في معامع دراسة في مصر وفي سورية .
و كانت مقامرات بنابر لابرل مرودة في خواطر . وجاءت مع سائر هذه كثير
من الفرنسيين حلوة في سبيل الانجاه الصحيح . وانه لو ترك يونانيك اعمال
اعمالا عطية في سبيل هذه الغاية . وقد ارادت دراسة ان تؤسس بين محمد علي
وبين السلطان . . . وكانت سلسلة البلاد العثمانية يومئذ من الميادى المقررة . فان
انكثرة مع انها كانت معارضة لسلطة دراسة على مصر . فقد كانت معها على دون
في صدر روسية ومنها من التدخل . . .

و عند ما اشتدت الازمة بين دراسة وانكثرة سبب استعمال حطار محمد علي .
كانت كاتا الدولتان تقيم التعقيات الواحدة في سبيل الاخرى . فكتب القائم باعمال

السفارة الانكليزية في فرنسا الى بارسونز : انه يوحي في فرنسا ما هو الجاني وما هو
 مبهمة في آن واحد ، اما الجاني فهو الامر الذي لا يرد ، واما المبهمة فهو الامر الذي
 يستطاع ، وكذلك كتب غيرو الى بيرس عن موقف الحكومة البريطانية بقول :
 ان للحكومة البريطانية مصالحتين في مسألة الشرقية : احدهما اقتصاد روسية عن
 القسطنطينية ، والثانية خشية النفوذ الفرنسي في مصر ، وبشأن الحوادث الشرقية
 فن روسية لا تبنى التنازل عن مديانها في ان تقوم وحدها بحماية السلطان ،
 وتبذل مواردها لانكثرة حتى تصفب شامهر ، على ان بريطانيا العظمى لا تعمل ان
 تمسكها بسياستها قد يصير كسب القاه مع فرنسا ، ولاجل الاعتفاظ بهذا القاه
 فقد تميل الى بعض التراجع والتنازل ، ولكي لا يتقد انه ليس في ذاتها ان تدع
 هذه الفرصة تمر بدون ان تعيب انكثرة مستطاع في الشرق .

وفداهم مندوبو فرنسا ربح القسطنطينية من انكثرة ربحي الى مقاصد
 مكيفية في حمل السلطان على تجارة محمد علي ، والقول بان احداث انكثرة مصر
 افضل من بقاءها بيد علي العاصي ، لان مانع انكثرة يدعا حياه كعظم به ،
 وكان مندوبو فرنسا معززون في انه حرة ايضا على احباط السياسة البريطانية ، ولم
 تكن تحول السفارة الانكليزية في باريس هذه الكثرة والانساس ، كما ان بارسونز
 كان يتقد بتقدير الاتفاق مع فرنسا والارنى مداوحة عن القاطع الترابي ، ولو ان
 بريطانيا ركبت السلطان وشأنه لاصبحت الامبراطورية العثمانية متقسمة الى
 دوائن : احدها قاعة لسياسة الفرنسية والثانية لسياسة روسية ، اما انكثرة
 فهذا لا يصبح تمزق فحسب ، بل ان مقامه في المهد يمرض بالخطر ، وكان يرى
 بارسونز انه يتخلى عن الوزارة بدلاً من الموافقة على ذلك ، وقد تردد زهاء اربعة
 بداهة دي يده ثم مفادوا الى حطته ، وآل الامر الى اتفاق انكثرة وروسية
 والاحسة وروسية مع تركية ومقاومة فرنسا وحدها ثنائي مدير بارسونز وكبيره .
 وظلت السياسة تدبر صامتة في طريقها ، بدون ان تكثرت مواضع فرنسا ،
 فشد هيساج الفرنسي على انكثرة ، وكتب حينئذ بيرس الى غيرو ان انكثرة

لا تغور خطر العمل الذي حدثت على اعمال الفيل به ، و تشكك التي وقعت بها ،
 فيجب انعام وزير حوزيتها هذه خفيفة ، و يجب ان تعامل بهرستان كما يعاملك ،
 و ان توجه اليه لاستلة تعريته ، و ان امر ان كانت الكثرة تريد القارة القلاقل في
 سورية ، و مادام عمل ادارته بشاه مصر و مصر و السلطان ، و جعله في لاغرف ان
 بانه كان مشهور في حلقه ، و لكن غايته ان تعني بالانتقام حتى لا يكون عدم
 الخواب عليها سبب قبح الملاقاة ، و كانت لوس تطلب يقول بما المقاتلة باعمال
القارة الانكسارية ، ان الكثرة يريد ان تعطي ، و لكن هذه الاجلة ستكون خطرا
 على الملك ، غير ان بهرستان كان حريصا لا يؤخذ بهديد و و عيب ، و لا يدع
 الرأي الذي يراه ، و انس في مناعة عمر ان يخرج منه قبل اسبغ ، و بها كان برشا
 في الافاق ، و قد سكت فراسة حجة معنا في عزلة من غيرها و انصرفت من شأن
 ملكها و من هيئة سلطانها ، حتى كتب بهرستان الى سفره في برس يقول : اذا
 كانت اللغة التي تعاقب فيها مشكلة على التهديد و الوبيد او كاتب مخوفة بأحد
والخيلة ، فارجو ان تكتب مذلة التي تعاقب مراه بالحرارة ، ثبوت عبد تصاريف
الكل ، و حذر ان تبين بأحد طريقة ودية سيرة ، به اذا دلتا في سنة
 الى الزال متجدد ، بها ، اذا حدث حرب مستحضر سفنها و مستمر ها
 و تجارها قبل مراه حرب ، و ان جيشه في حز لا يبقى بعد الآن من وانت
 فافها ، و اما محمد على فسيه بهي امره بال القوى في ليبيا .

و بعد ان بلغت الكثرة مأزنت و اخرجت محمد بني من سورية ، كانت تشر
فراسة من ملكها الى اسفر رجل في شبهها ، بها فد هيت هانة كبرى ، و انت
الكثرة تريد ان تجعلها دولة من الغلبة كاسية ، و كانت عظمت فراسة بأحد حده .
 كما هي في الساعة التي تعقب فيها ، و قد كتبت ملك مكتوب كتاب يدل على رجاحة
عقل الى يوسف و محمد لا يتجاه تشر من خاف فانت فيه ، ان فراسة هي التي وضعت
 نفسها في هذا موقف الجرح ، و قد كتب لا انت سنة حصة مفردة ، و كانت
تزد بالاستعداد هائلة لوسائل مع مواقفها على يبدأ ، و على كل قاي لا هانة التي

حربت كرامتها ؟ وماذا توقع من أنها بالحرب ؟ فقد شاور الأمر على ما اظن ما كانت تريد الحكومة الفرنسية ، والآن يجب على فرنسا أن تصاح كل شيء ، وإن تهدي ، القلق والاضطراب ، وهو غير يسير ، ومع أن فرنسا تقع عليها ثمة الخطأ كله ، فيجب تهدئتها ، وبأنى أن تأخذ مكانها بين الدول الخمس ، وليس في ذلك أدنى صعوبة .

وكان يرى بترغيز أنه في حالة اشتداد الأزمة لاتبى فائدة للسياسة ، وإن كانت تبذل من وسائل التفهوا والعفوا في مجتمع إنسانهم ، غير أن الحق واليقين والادراك كان الشعب والاسم الرجل الذي يقومون بأعمال الدولة لاستباحون حطاطهم من المواطنين انه دية ، فإن براعة رجال السياسة لا تكفي مطلقا في الوصول الى مساوئ حقوقي .

أما بترغيز فقد كان يحذر أن يعود الاثنان افراسة الى محاولة بسط سلطانها على أوروبا ، حتى لا يحرب عليها على سواها حدة ، فتضطر الكثرة الى مقاتلتها بعد قليل ، بسبب تعرضها للأموال التي تضمنها بترغيز والمدونين ومصادمهم ، والتي لا يستطيع أحد الفرنسيين أن يتجنى عنها من غير أن يهدس ثمره ، وقد اختلفت عن رأيه في موقف فرنسا بكتاب أرسله الى الملكة وقل فيه : يمكن خلائك أن تعلمين ، قل في فرنسا جمهور آمن الناس يعيشون رغدا بحيرات ارضيه ويمتلك في ممتلكاتهم ، وهم يرغبون عن القتال اذا لم تكن هناك دواع له ، بل هم ينجحون الى الثورة ليحولوا دونه ، واد لم يكن هو الا الانحاس في المقام الاول الآن فسيطر موانعهم في امر السد وامر الحرب التي لا سبب يسوعها عند ما ينافس في امرها .

و قد تنصير سياسة لويس فليب ورجال حكومته على المشاكل التي انارها في قضية بلجيكا والسئلة الشرفية من تجاوزت ذلك الى التدخل بشؤون اسبانية حتى قضت على دولة آل اورلئان ، وقد قل فورماني السفير الانكليزي في ذلك العهد : ان ملات فرنسا اذائق العصاب من عقلمها على سرته وعلى فرنسا وعلى أوروبا ، وقد كان بتقدور حكومة دستورية مثقلة ، قائمة على اساس التنازل عن جميع

الحطاط التي تفتح أبواب القسامع الأسيرة المكنة في الجوارح ، لتأمين على تشييد أسس ثابتة من النظام والخير في دولة ، ولكن الخيلة والأمانة تهدمن كل ما يمينه الاخلاص والحكمة .

وقد كانت الكثرة هي الدولة المجدية في مدرسة التي تشترك في حفلات زواج الدولة دومناتسيه بالاميرة لاسيبانية ، وانكسها كانت ملجأ الاميرة المكنة بعد انكسها ، وكذا كان صبر الرجل الذي قدم في ثورة سنة ١٨٤٨ الذي لم يجدوا غيرها من الحدود به ويعتصمون بجماعه ، على ان فيه من ربيع صوته بكمه الكثرة التي تقطع بانكبات فرنسا ، وفيه من حرس على جزوها في غفر دارها ، وم يكن هذا الحادثان مبردين في ترويج الكثرة وفي معانيتها لاعدائها ، ولا سيما بعد ان ندال منهم لوتغر جدد .

وكانت اسطراب علائق الدولتين ، يؤثر احبنا في العلاقات بين الصغراء البريطانيين ووزراء الخارجية في براس ، ومن ذلك ان السفير بوردني كان يده وبين الوزراء غيره حقا ، ودعا مرة في حفلة فقال لغيره ان السفير الذي امره بذلك ، فقال لا بل انه دعاه حقا ، وسمعت هذه الحادثة حتى كتب بوردني الى السفير يذكره بأنه كان يجب ان يقول ، وان دعاه حقا ، فادعاه طبقاً لتقاليد القصة ، وان عليه بعد الآن ان يدعو الوزراء الى حفلاته اجابوا بالدعوى لم يحجبوها .

وبما شاع ان السفير قد استقال وكانت الشائمة غير صحيحة ، كتب اليه بهرستن ايضا ان عليه ان يذود عن مقامه وان لا يتنحي عنه ولا يفر منه ، لان غيرة خصمه لا يستبعد ان يقول انه هو الذي احرقه ، واد ان ارد امه قوه الدفع عنه بأنه ذهب مغاضباً او ذهب ليظهر غضب حكومته ، ولم يعمل غيره شيئاً ، ولم يفتذر بما بدر منه بعد ان اثار القضية في المجلس وحيث يكون رجوعه ممعياً الى مقر عمله ... على ان الخطأ الذي ارتكبه بوردني في هذه القضية لا يناسب ما كان عليه من دكا ، وادب وعقير ، وهو الذي يصنف الشعب الفرنسي بهذه الكلمة : لا يستطيع ان امسك نفسه من الاعتقاد بفرور الشعب الفرنسي المفرط ، كما اعتقد بشدة ابائه ،

فجمهور في دراسة لا يبرح كاتب أن يصف له حقيقة امره . ولكن يريد أن يكثر من مدحه ومداهنته ، وجميع الذين يفتريون منه يجب عليهم أن يحضروا إليه تكملة وتحيينهم ، وأنورج والعيسوف كلاهما لا بد له أن يقول كلمة أو جملة يعطى فيها الشجب العليم ، وأنوع يجب أن يعطى له عقود الدنيا ، وأنروني يجب أن يشهد بدكر خائسته ، وأنفد حتى يقدم على تقريرا شككهم لا يجوز له أن يغيب عن خاطره ذكر راسي ، ونحن في الدنيا وعزائب ، لا يبلغ ذلك ولا تعد شيئا مثله بعيدا عن الخبرة .

٥ - السياسة الانكليزية و نابليون الثالث

دنا نابليون بعده في دراسة بعد أن تفقد الرئاسة بأحداث انقلاب سنية ١٨٥١ ، وقد سبب هذا الانقلاب أزمة سياسية في الكثرة ، وذلك أن السفير الانكليزي نورماني ذهب الى فرنسا خارجية ينسأ لحداثة التي امر مساحبة الحالة لذلك بل لا يبدل شيئا في سياسته نحو فرنسا ، وتدر من التاجر ، فحجب السفير الفرنسي في الدارة التي من يعرف من موقفه على الانقلاب الذي حدث . ليس هناك أي تاجر ، وقد السفير به لا يعرف من ذلك ، ولكنه عرف انه كان شكل الحكومة في دراسة فهو يريد كل اهتمامه ليكون الصلات بينها وبين الكثرة على حسن حال . ويظهر ان يعرف ان كان انفسه انه لو انضرب نابليون حريته لكان حريته بعداء عليه ، وقد كتب الى السفير نورماني كتابا ذكر في وقافته انه في تلك الارضات وفي الشؤون العامة أصبح امر حقوقه على الرجال الذي يشقنا بعضه مع بعض في العمل بدولة ، ولذلك ارى انه لا مدح في من القول ان بريطانيا تسب لي دفتا ، ثم نعت عن حوادث باريس ومن وجب السفير بحيث لا يطمح انه ما كان يحكم كخديده . ولا يتجانب عن غير من اسفير ، احتار بهجده رات التي قد تشاء . وان كان لا يطمح بل يطمح موافقة بلاده على الاعمال التي جرت كاعلا في الخمس عشرة ، او ان يظهر رينا كشيء آخر . والكتاب على هذا النحو من جانب الترجمة ، ولكن ان يعرف ان اراد في كنهه ان يخصر السفير .

وقد تمت الملكة اخذت حكمت الى التورن حول رومر ابدي متعاصبا
من تصرف بهرستين اذا كان حقا فاس من بهرستين بانه تقبل ما حدث بقبول حسن
على حين ان الامر الذي اتفق عليه هو اجتناب اي تغيير في السياسة المتبعة نحو
فرنسة ، وذكر ان انه فاضح ما استدل به التورن به من انه يخط من شأن
الملكة والحكومة في العامة بأمره .

وحول بهرستين الخاضع من الموقف الخرج يحمل السفير نورمانى على ان
الكذب ان يستقبل فرست اليه كتابا فيه : لقد مضى بي السوء ولم يردني
منك اصحيح ، استدل اليك في تقرير صغير فرنسة ، فقامت على ان استخرج من
دست حجة مورو فيه . على ان وظيفتي خاطئة لا تسمح لي بالابدي في الاطالة
على اعمالك لا اذ كانت توار في موافقي نفسه ، وفي هذه الحدود هي ارى مع
اي ما يتردى من الاحرام لك ، انه عند الحكامون اصعب كواك وزر خارجة
في قضية دقيقة كقضية ، وعدم الامرون ان يكون في موقف معارض ، في
ان اجتناب كل تدخل في شؤون فرنسة الداخلية ، حد اقصى في حجة سيرة حرجة
واكون قد امرت لاجلهم واصبحت موضع الزينة ان اقتصرت في عملي على
التفكير الاوامر التي اتفقا من حائلة الملكة عن طريقكم ، وعلم بهرستين قاطبا ،
في الكلفة القيام بأي من دفع تعاليمه الى الخارج عن ان حجة الرئيس باليون
يجب ان يحكم عليها الشعب الفرنسي وري رفته فيها ، وعندني ان هذه الخطة انما
رمي الى تثبيت الوضع الاحادي فيها . وما سمع التورن روى على هذا الرأي
كتب الى بهرستين بجواب انه معارض ان يترك حائلة الملكة ان تعين حافضا له في
وزارة الخارجية .

وكان البناج اليك عطا بهرستين نتيجة التي كانت توقعها ولكن ليس بمثل هذه
السرعة ، وذلك بسبب تحمت بهرستين بالسياسة الميعة ، وخططة الميعة ، وطرائقه
انقاعة على عدم الاكتران بالمواعد والتفايد ، وقد اتبع اوزير الاول في كثرة
السفير الفرنسي ان سياسة كثرة التفاوض كبر لا يوافق على ما كان منه ، هي

مؤسسة على احترام الوضع في فرنسا ، واحتساب التمريض له سواء كان جمهوريا ام ملكيا ... على ان لا يكون جمهوريا اشتراكيا ، وكتب اللورد غريفيل الذي قام بعمل وزارة الخارجية بعد عرستان الى السفير الانكليزي قائلا بان كتبه عظيمة الفائدة ولكنها تشابه الكتب التي يجدوها في خزائن قديمة ، وهي تبحث في امور لا علاقة لها بمصر الذي عاصر فيه موني استفدان سياستنا ينبغي ان تكون حسنة مع الرئيس طالما يقض بده على قيادة البلاد ، ولكن بدون اي موافقة على عماله لاحيرة .

وحدث الملاقى بعد ذلك تجدد شيئا فشيئا بين الملكة فيكتوريا والامبرطور نابليون الثالث ، فمرت اعوار الاغترام ثم تطور التقدير ثم أصبحت قائمة على اساس ائودة ، وكانت حرب المرم التي شرت فيها جنود الفرنسيين السبب الاكبر في ذلك ، فجرى بينهم المرم ، وكان نابليون يدعو القوي اذا اراد استئمانها . فندى اثنين من حربه لانه كان فكتوريا كان عليه كتبها ، حتى انها كانت تشعر بالاسف لعدم ما اب اتى تف في وحده ، ورست ان تبدل انكثرة حدها لين في طريق العدوات ، و كان من حقة شعبه وشدة تقابه بل دولة السلام عماله وقد حدد الملك يوبلد رأي الملك في ان تكون الملاقى على اعقاب عدها وبين الامبرطور . اما الشعب الفرنسي فانه لم يكن يحب الشعب الانكليزي وان كان تخفض حنايه لملكه ويعامدها بترقة والمعاملة ، وليس تبادل الطعام القبيحة هو الذي كان يهوا الكثرة ، ولكن همسا ان تكون سلاحها البحري متفوقا على السلاح الفرنسي .

اما بعريستان فيمكن شاحار ملكة راسها في نابليون وكان يقول : انه لاحظ امبرطور الفرنسيين وانهم خلافه وسيرته ... فهو يعتقد ان العداء كان شديدا في قلبه لانكثرة مانه يقد رعيته في اسقامها ومما افتراوا الانتقام منها اذا استطاع الى ذلك سبيلا بسبب الاهانات البحرية والمكرية التي الحقها بفرنسا في بدء هذا العمر ، واداره منجزه فاحسن حيزر عسكري ، ولانرج تبدل حدها في المرم ونشاز على

تنظيم فروعها البحرية يومئذ في وقت ما يريد من الأمانة ومساهمة كنف القناع وتزويل الخجبات
ويكون بيننا وبينها عالما لا يخفى.

وفقد وقت حازه كانت تقضي على حسن النفاق ، وذلك محاولة نور - بيني ان
يقفل الامر بطور ، فهاج الشعب الفرنسي واستنكر ذلك ، واحدا من رجال الرسيمون
يوجدون اليوم الى انكثرة لانها تفسح المجال لادس يعتمدون القتل وتؤويهم ، حتى
ان الضباط الفرنسيين كانوا يشرون سكاويهم في الجريد ارسية ، طائفتين
الفاوة على انكثرة (على القتل وقطعي الطريق) ، وكان من المحتمل ان تذهب
الافور الى مدى بعيد ، وسواء لم لان السفير الانكلي في اللورد كيلي عمدا
على ازالة آثار هذه الحملة البذرة يهدو ، وسكينة ، وذلك وهو يقوم بهمة طلب
الترسية ، انه يمكن مكلفا بقميصه بلاع رسمي ، ولكن ادله بانماطه الخاصة التي
تلقاها من وراثة الخارجية ان يتبرج لاحتوائه افرسية واى حكمه منه بصورة
الجم والكثير لسا املها ، حدثت سيرة رسمية .

وكان هذا السفير مقبدا في مداعبته ثم كما من نفسه وقد حثرت له حديثه عيفة
مع تاملين الثالث ذات على ان الفاحات لانفسه عليه امره ولا يفتب فيها على رايه .
فقد دنا الامر بطور من السفير في حلة ووجه اليه الكلام بالحق فقباهو بتقديمه فظاهر
الخصومة التي يماون عليها البرلمان والصحافة الانكليزية . فامر ببله السفير عن سمعه
محاولا احتساب المناقشة والكتبى من قلله : ان الغضب شديدا ايضا في هذه المناقشة
من الجانب : فقال له الامر بطور بحاجة حادة : هل هناك مجال للمرجع بعد التهم التي
توجه اليه . والى الشعب الفرنسي وهل هناك الاراد لخدمه اجالات الطائفة . وذكر
انه بدل كل مني طاقه لمحافظة على الاتفاق الحسنة مع انكلترة . ولكن كل ذلك
ذهب شيئا فشيئا فوقف السكره قد حبل الامر لا يطاق ثم قال : سداهم انكلترة من امر
الساو او انما لا تكتفي ببياناته التي صرح بها للسفير من انه لا يريد ضم الساو الى فرنسا
بدون ان يتال . وافقة الدول المنظمة وقال له السفير : يا سيدي صاحب الجلالة ان اقاطعه
ان هذا القول لا يسبق سماعه منك كونه دثر لي ان تغار هذا انك كدحك حكومة صاحبة

الخطالة لم يحدث أن كان استيفاض في البرلمان كان ينقطع منذ زمن بعيد ، فالحكومة والبلاد كانتا تنتظران ما تقرره لدول العصبي في ذات ، وحجبه لأميرطور ولكن أقول ان في ساستهم الدول العصبي ، وحجبه السفير نعم به صاحب الخطالة ، ولكن لم أضيف الى ذات ان كانت ستحدث ما تقرره .

وكان الأميرطور له طلب السمع ويترك في الخديث زه لانه حتى انه التفت الى سفير روسية الذي كان في حياته وفن : ان حصة فكثرة لأميرطوره ، وقد حاولت بحسبي ان أصف حتى عتائق الطيرة معها ، ولكن لم يعد ذلك في وسعي بعد الآن ، لانكثرة وسفوفها ، ومداها من النتائج لو اني عندما استأجرت بريطانيا جزيرة برتغالية شوقها ، شرقية وسلاطنة ، بدت نفس لا تراصات اني بهما لأن في خافي سافوا الذي عليه حجة مرسة وسالعه .

فل السفير السري في خطري ان كثره في أثناء هذه المناقشة ، وفكرت ان وهي الليلة بعد عن امهر التي تحت ان قوة به ، ولكي رأيت ان الموقف استمر حواجا لم يرد له لاسي وقد سمعت خافقة وعد اني الأميرطور مرة اخرى ، انشأ نفس النهج ، وفحصت - مدار جوائزه ، وفنته في اسوع نفسي ان اوجه نظره الى الطريقة التي - يسبق لها مثال في مجازاته - هي استفاد سياسة انكثرة من سفير روسية ... وكنت بعد ذلك في رئيس بارزة البريطانية يصف الموقف وبذكرانه كان نعم المفرو وحده كان على حق في - فطمة لأميرطور ، فاللهجة والمركة كانتا غير مرصيتين ، ولما في - من - كان من المحتمل التكرار مرة ثانية ، ثم ذكر عتار الأميرطور ، وسم لأميرطور قنابل من زوجها ، وقد ابلغ الرئيس الخات الى الملكا مكتورة . وذكر الموقف لأميرطور يشابه بعض مواقف نابليون الاول ، واستأجرها - كتابة - في السفير بنو دمة على خطئه ونحو كلامه .

وقد تولى - سفارة الانكثرة في باريس في اواخر ايام الامبراطورية الثانية للورد ليونس ، وكان محررا نفسه بعمل السياسي ، حسب له كل حياته ، ومع ذلك لم يكن من رجال السياسة الاعظم اشباه تيمون وترفيع ، الا انه كان مجردا

من الاساليب المصطنعة والمجادلات العقيمة ومناورة المداخلة . ولا يمكن له ان يراى في منجز الخطبة او المجمع والمخالف والمنتهيت . ولكن دعائه الكبير يقع من العظمة قدراً انه كانت يسيطر على جميع الشؤون الوطنية وعرضها في قلب اثار اعجاب رؤسائه في وزارة الخارجية ، وكانت غيوبه المعمرى في وجهه المعجم تحيل كل اني انها تحيط بكل شيء . من صغر حجمها في المسح الى اقل ناحية في زينة امراته .

وبعد ان انقلب باعياً من عهده سنة ١٨٦٧ كان مطير الامبرطور به عظيم . ولكن الزحف الى ارقب لدقائق الامور وحفاها لم يربح في نفوذ الامبرطور قد تضائل في اوروبا ، وقد نه ان يقرب الى انه يجب ان وجه اكثر اهتمامه الى الامبرطور ولكن الى الامبرطورية الملكية المتسوحة التي كان تستقبل شيئاً شديداً الى تدبير السياسة حتى الخارجية منها . حتى ان تاسيون لو كانت بين حرمه سنة ١٨٦٣ رفا ابقى في التاثيرات كما كبراً ودكر اخفاة مورم . لكنه بعد هذا التاريخ كان في شيء على ما يطير بصير من شيء الى اسوء . بولونية وحرب المشرق وحرب ارمينية وروسية برهنت على ان دعواه في معرفة السياسة لاورية كانت كما اعتنا ومطام والمحاولة الحربية في مكسيكك انتهت بكارثة وعشاة ، وبعد الاهانات لاريمه في السياسة الخارجية اسبغت الى اربعة احمية في الخارج : ومع حساب نابليون الثالث من اعادة الملكية والنفوذ ، فيقضي ان يطر كذلك بل ان ينظر قبل كل شيء . الى اغلب الرجال وحج التغير عديم . فقد حكمت امة حترعاً ومن امان بقاء الشيء الواحد هذا لا امد الصواب وهو يريدون شيئاً جديداً .

وقد كان لامبرطور به من ارمين الذي توسع الذي صار اليه . ومن عظماء المرق بين رونق اوله وتضائل آخره . وفي هذه حصو جيد تحسب حاله ونظره مركزه وهو ان يمين على تأسيس اوضاع حرة في فرنسا . وان يتحد مع ايطالية لمقاومة انيابا . ولا يمكن قدراً على صنع هذا . انه . وكان يعرض بشكاه عن الصمدانة . ولكنه لا ينفذ عن اثاره الحرب ببدء بروسية حشرة هائلة وانتهت حرب السبعين كان الفرنسيون على اقصى درجات حماسة والهيبة . وكانوا يظنون انهم

كثير من البروسيين مستعدون واهبة ، وإن سبب الحرب موافق لهم ، إذ ليس من شأنه أن يثير جميع الألسنة ، وعلى كل حال فإنه قريباً وبسبباً ينبغي تصفية هذا الحساب ودفع هذا الخطر . فكانت العاقبة زوال الامبراطورية .

وقد كشف اللورد نيوناس بعد نشوب المعارك : أنه من المعجزات ان تبقى بهذا القدر استعداء الفرنسيين بعد مرور ستة أشهر على هذه الحرب السبعة الطامع ، ونحن بحاجة قصوى في كثير من البراعة والحذر وصرط العناية بشعور الفرنسيين الرقيقين حتى لا يذهب سياء التحسن الذي حدث في علائق الشعبين وفي تطور عواطفهما . ولذات فانه فاشكت السفارة البروسية من أعمال الحرية الفرنسية في أثناء الحرب ، وندبست الى الحكومة البريطانية ان تكلف سفيرها بالاحتجاج وكتب نيوناس : اؤمل وانقى يساورني شك لا تتوون كبريائيين ان تتقبلوا جميع الشكاوي البروسية . وان تكلموني بان تكون مفعلة عنها ، وارحوا ان لا تسوا ان السفارة الاميركية هي المكلفة تمثيل مصالح البروسية في فرنسا ، وانذا كنتم تريدون ان تكروهوني على هذا النوع من العمل فتقدم بطلبات بروسية الى فرنسا ، فتلك تجعلوني عرضة الى استنكرات استحقها ، وتزلزل من مشاي ومقامي الى ادرجة انني لا استطيع القيام بشي ، يذكر في حالة الضرورة ، والمواكب انني انشيت اليها ليس من شأنها ان تكون موضوع احتجاجات سياسية . بل نعم ان تناقش بين مندوبين من قبل فرنسا والحس .

وبعد انكار الخبير المرنبي ومخادعة حكومة باريس ذهب هذا السفير الى نور وكان هو ومن موحاهم سفارة يقومون رحلة الى قصر أمبواز ، وقبض عليهم كجواسيس ، وبقي سر خادعة مكثوما الاثني عشا ، وكان السفير قد امر بهذا الكمين ، ولم يخرج من هذا العمل عن طوره ووايه . وقال لموظفيه : يجب ان لا تخرج كلمة من بين شفاهكم عن هذه الخادعة ، ولا ان اذكروها ابداً ، واعلموا ان هذا امر خطير به . وما يطلق سراحهم الا بواسطة رئيس المدينة . وكان السجين ومن معه يتمنون : ان يكون مسئول بهم ما يكون من اثر وصول النجاة

الى اندرة، وما يمكن ان يعقبه اذا انداك ونشرت الصحف هذه اعتاوين : اهانة دولة ، سفير بريطانية يقتل ككجاسوس ، ويطاف به في المدينة كخائن ، اجتماع الوزارة ، الزمة .

٦ شكوك فرنسا بالسياسة الانكليزية

من الرابع والشفلى الى الثمانون وانجفت

كتب السفير ليونس سنة ١٨٧٨ : ان انكلترا محبوبة الآن في فرنسا ، وكانت وزارة البرنس دي فال غفلاً كبيراً ، وليس في قوة الفرنسيين لتفانوا او يفتالوا معناه ، وعمر يوزروننا بما نؤكد من قدسية معاهدات ومن سيادة حقالة اراحدة في البحر المتوسط الى الزمن ، الذي تصبغ فيه ، رسة اكثر قوة ، ولكن ، نحن نرى على هذا القول حتى كتب مرة اخرى انه من المثلث احده ، حلة الاله الشريد من انكلترا الذي يع فراسة ، وانه لم يكن بعد الوقت لمعرفة ما يكون عليه تمام ارضي العالم ، ولكنه ، في هذا الزمن نحن غيبه ان لا نقف هذا لانه يغتفر انبياء في ملائقنا مع هذه البلاد .

وكذلك كانت تنقلب الخلاف بين الدولتين منذ انكسار فرنسا في حرب السبعين الى اثنا كبر في حرب ١٩١٤ ، وكان اشهر المودت عظماء على انفارت او التبعاء في سياستها وملائمتها ، اما لانه الذي اشار اليه السفير فقد انارة خاصة الاتفاق الانكليزي التركي بعد حرب ارمينيا والعثمانيين ، وهو ما يقتصر على فريق من الشعب ، بل على جميع طبقاته من رؤسائه الى عذته ، مما لمحايطون فقد كانت مدحهم تتجده وسيلة مقاومة للجمهورية ، وكانوا يشكون من مساوئ فرنسا واتخاذها تحليفها القديمة بولما انصار بولن الجمهوريون الذين يقودهم عمينا فكانوا ينهون وزارة الخارجية بانها لا تعنى الصبر من الانحاء لانكلترا ، واستمر هذا الوضع سبعين سنة ، حتى ان اللورد روبرتي عندما تولى وزارة الخارجية سنة ١٨٨٦ كتب الى السفير ان علائقنا مع فرنسا هي التي نسبت لنا كبراً من الغناء ، وهي اعلا بنا بما لا يستطيع منحه وحيداً ورفع صوتنا بشكوى منا ، وكذلك كتب

المؤرخ سالد مورى في تلك الأيام : إن الفرنسيين شعب غريب الأملوار ، وقد كان
 يظن أن فرنسا في ذمها الحاضر ليست بحاجة في حدود جديدة ، وربما من الأعداء
 انجليزيين سيكفروا ، ويحير لها تريد أن فقد دبر ، و الآن وقد دحدا وانها
 في مفارقات سلمية قد ما الأمر ، بعد ما وعدت ان لا تعمل قبل شهر ، ومن الصعب
 ان تتسع من على حرب روسية ثانية جديدة حتى انقضي من هذه الاسايب القومية
 التي لا تقطع ، و شعيرات المائتي على هذا ، متوال بين البلدين ، و تتجسج مطلقاً
 برغم الجهود الصادقة التي بذلها يونس ، و لكنه يمكن السفير الموفق لوجه بورية
 الثانية ، وقد كان يشتد انه صعب لاجل ب وفهمه سائيم و يمدى عن الطرائق
 المتوقعة ، و كانت مساعي السفارة في باريس بعيدة الأثر في انقور المائتي بين فرنسا
 و انكلترا في تلك الأيام .

وقد حث يونس في السفارة ليم ، و كانت منافسه في كثير من طبائعه ،
 ولكنه يصاهاه في برعة سياسته .

ونولى دوقون السفارة سنة ١٨٩٦ ، و مرتد أنه ، المصحب الفرنسية بولاية
 له ، انه وقات بهيد ، يفسد الظهور و يشترى رجل و سجد المصحب و يرد به
 من المال الكثير لاصاد المائتي بين فرنسا وروسية و انقيل الاتفاك ، و بعد
 انه قد ارفقت الحاجة اربع سوانه ، محتاج على ، و خطب في باريس في اجتماع شرفة
 التجارة الانكليزية خطبة جمع بين هذه السياسى و فكاهة لاسعرب ، تعرض بها
 لانهم التي كان عرضها ، يبرر نفسه ، و اكرأ لها نشة من اجل و البساطة اكثر
 ما هي ناشته من حيث ، و كان لهذه الخطبة اثر كبير .

ثم اتى خطبة اخرى تعرض فيها للسياسة الدولية و تحت فيها عن الملائق بين
 فرنسا و بريطانيا و حكاك مصالحهم في شعيرات و تعارضها احياناً ، و قال :
 مشان هذه المصالح التي تأتي بين حين و آخر ، مشان هذه الاعتبارات المحلية اذا
 نظرنا إلى البحري العظيم الذي يفود شعبين محجورين و يدع احدهم نحو صاحبه .

والذي هو من هذا اطل من القاريح بحمدلان لواء الحضارة ورفعانه عالياً لان هي الا
كاثموجات الي بنسجها الروح على وجه نهر كبير ، يستمر في طريقه بمظلة وحال ،
ولما حدث مفادته فرنسا اني كذبت حطبة نفيسة ذكر بها التاوريلات
المنطوقة اني قوبال بها في يد - ميمته - على حين انه يفقد - صدمه العميق الذي كان
بدعوه الى اتمام واجبه بالحلل وسلا - كان يعتقد انه لا يوجد مثله من يقدر ان
التي يتصف بها المذهب الفرنسي - ثم بحث عن الاحمال للبولسية وما فيها من
محاسن ومحدورات ، وذكر ان تطور الحضارة حمل البهجة اني يقوم بها روحل السياسي
كالموج الذي يجرى لا كالمجرة المظلمة التي تجري به مستقرة ، وانتقل الى حالة
اوربية السياسية في اواخر القرن التاسع عشر فوسف كيف انما اشبه بمسكر
بمع بالابن من رجال المدرجين كغالي ، الجهار ، بالسف ، والحديد ، حتى ان العالم
بالدرة أصبح مجموعة اعصاب تتأثر بأي شيء يقع في اي مكان ، وبكفي ان بضعة
رجل في العالم يقولون قولاً حتى تغير الارض من عليها ، وفي السياسي ان مهم
بداومة هذه الاحظار ، وهو ، كان من صعب السياسة فقد يرهف على انها افضل
طريقة للروح تلك القايمة ، وبهذه الطريقة انما ودعت وكانت الدارين
فرنسة وبين انما اني نشأت فيها والتي يرتبط بها هذا هوها مع ماخ الاولى وما قامها ،
وعندما اتيت بمعدودتهن الى السفارة البريطانية في باريس في تلك هذه
السفارة ، هاداً وثيراً ، ولكنه قبل ان يوقف برجولة وحذر ورجاء ، وحاطب الرئيس
الامريكي بهذا عبارات : ان الملكة سيدتي المعظمة ، انفضت ومنحتني شرف غليلاً
كفهر لدى حكومة الجمهورية ، فاشرف بان مع بين يدك رسالتك الملكية اني
اتحدث بها في هذه البهجة ، وبعد ان وحه كالتقاء على رئيس فلان ان حكومة
مديركم به مشافرة حكومة الجمهورية ما ربه بصرف وحل من تبيت الاطلاق لحسنه
القائمة بين البلدين منذ عهد بعيد ، وبعد ان وقف هيئة استاذت كلامه وقال : ان
مصادحا الحقيقية تطالب انما هذا الانفاش تؤدي الذي يمنع القريه من منافع
السلام والاحلال ، ، حينها في الوقت نفسه على القيام بالهمة التمديدية التي حملها انهما
الافراد المتشابهة .

واشدت بعد ذلك الأزمة المصرية، وكانت هذه المشكلة - كما قال ادورد غراي - سبباً دائماً لاثارة حق الفرنسيين وضجر البريطانيين، حتى كان يتوقع رجال السياسة انه لابد من استعارة الحرب بين الفريقين، فعدم تأجيلها خير وأولى، وقد اعلمت الحكومة البريطانية ومثد انها لا تأذن لاحد غيرها ان يحتل اي مكان في وادي النيل، وانه تعد كل نوع فرنسي عملاً عدائياً، واثبتت حادثة مرشان في حديث بين الوزير النمساوي والسفير الهنري فانكر الوزير في بندي الامران تعترف فرنسا لانكثرة منطقة نفوذ في اعلي النيل، وليس برشاش، مهمة - سوى ما انتدبه اليه حاكمها ونفو الفرنسي الذي هو مرحمة، وهو يقوم بمهمة عمومية في بلد لا يطالب به احد، فقال له السفير حينئذ بهداحة: ان الموقف خطير في اعلي النيل، وليس لنا اي رغبة بثابة اي نوع، ولكن بعد التحذير الذي اعلناه منذ عهد ميدفاته لا يجوز ان يستغرب امتصاص انكثرة وعصبيتها، وبعد ان اطالع ساسبوري على هذا الحديث كتب الى السفير قائلاً: سواء اكانت مصر يون ثم الدرايش صاحب الاروس اني وخدمتها مرشان فلها ما تكن ابدأ بدون مالت، وهذه التجربة المؤثرة من مئة سنه في ايس لها اقل اثر سياسي ولا يمكن ان يكون لها اي مغزى، وادراكات السياسيين حادثة - عاطفية فلها ما تكن كذلك كافة الصحفيين ولا انة الظاهر، واصبحت الحرب في فوسين، حتى ان الاورد آلدوين ورير المالية قل: به تركيز ان تدفع في الحرب بعد مائة ثمانين سنة، ولكن يوجد من اثر ما هو اعظم من الحرب، وانتهت الأزمة باخلاء فاشودة.

وفي آخر السنة استمرس السفير ونسب في خاطره الحوادث التي مرت، وهو بالغا خطبة بمرمرها عمافي نفسه، وجب ان استأذن وزارة الخارجية ان لا تأذن له، فتمزم على القاء خطبة كخطبة سلفه الاورد دو فرين تدوى لها ارجاء العالم، وقد بدأ خطبته في البحث عن السياسة الجديدة، ووصفها بامتياز منح لارضاء المتحمسين في آخر هذا العصر، وارضاء الصحافة الحريئة، التي تقر لها السياسة بكثير من الفضل، وخاصة لارضاء امريكا التي تريد انعصا على المذهب القديم قضاء أكبر ما، ثم

استشهد بقول تاور دكلارندين : ان السياسة الانكليزية تقوم على اساس من الصدق
يجمع بين الاخلاص وبين الامانة . وبعد ان ذكر نمط السياسة البريطانية بهذه
البياني . قال انه سيخرج من تعاليد السياسة القديمة التي كانت تلك الافواه وتنتع
الكلام الا بالامور الناعمة ، وذكر ان اساليب السياسة الجديدة تجرينا على ان
نذكر ما يبرز في خواطرنا مع التمسك بواجبات الكهن والجملة واشهر الطيب .

وبعد ذلك في فمسية مشهورة وشارلي ان التعليق بعض الصحف البريطانية
لايسر الفرنسيين . ولكن سواء كان هذا التعليق في محله ام في غير محله . فانه يدل
باجلي بيان على ان مصدر من مصادرنا في اساطير المذيقه لا يرب عن
رأي حرب وحده . فبريطانية المضي بحقه في هذا الشأن . وليس هناك محل
لاي شاك . وليس من مهمة السفير . ثلاثة ولا سبعة يخطى في عاصمة البلاد التي هم
متمدد فيها ان يحاول تحرير سياسة حكومته . ولكن الاستطباع في هذه المرحله
الاستثنائية ان امتنع عن القول انه لا يمكن مساعد اعداء الخد غير هذه المرحله .
ولم يكن يجوز لأحد ان يقع في نفسه ريب في ذلك . فلهذا يقولون والمناشرون
والمارلون . قد يكونون تاروا شركا كبيرا من حيث ما يريدون . بل ان بعض الخطباء
السياسيين لهم نصيبهم من الامر . وحيث انه قد تداعت في الساعه الحاضرة
آراء الذين ماوا اننا نقبل ما يراد لهم على قبوله . واننا نزال عمال لاتدعج
السياسة بالتنازل عنه . وحاشوا على ذلك فان المنهج بنا . صرفة بل هي غير حكيمه
وبنا غير حذرة . ولا شاك ان انكلترة قدود بشدة عن مصالحها . ولا تدع احد
يحتدي على حقها . وكما هي بعيدة عن جميع مخاوف التي تغامر الدول الأوروبية . وهي
كذلك بعيدة عن كل حيلة عدائية تمت التلق في نفوس الذين يريدون ان ملوها
بشرع الدول . وعلى ان تفعل فرائضه عن الخلق بان في انكلترة خطا غير مرمية
تدبر لحسا . وان هناك حقا غامبا . وانني لا اعتقد كذلك ان الشعب الفرنسي
يشعر بالحق على الانكليز . ونحن نطلب ان تتفق فرنسا معنا وتلتقي وايضا في
جميع واحد . حتى نسوي جميع المسائل المعلقة بمعدل وانصاف . وبودون اي رعية في
احرار اي اقتصاد سياسي واجراء اي عقد لا يفيد الا فريفا واحدا .

ثم وجه بعد ذلك السفير كلمة نصح في رجل السياسة والصحافة في فرنسا ،
 وناشدوا ان يستكروا سياسة وخز الأبرار وان يكفوا عنهم في الاستطوع ان تفيد الا
 فائدة رائته ، لورارة قصيرة الأجل ، ولكن تغير في العدو الثانية من الناس
 غضب شعب قوي في نفسه وفي أخلاقه ، يقتضي به الأمر ان يرى في ذلك ملاءمة ،
 فسلطه ملحق ان يقولوا في سبيل الرغبة التي تحاول ان تعترض سبيل المساعي
 البريطانية ، وان لا يستمروا في تحدى بريطانيا فيخرجوها عن حطة التسامح
 والاعتدال في استنار انصارها الأخيرة ، ويحولها نصفي حطة رضى عنها فريق
 لا يستوان به من الشعب البريطاني ، وهي ليست على ما ظن الغاية التي رمي اليها
 رأي العام الفرنسي .

وقد سبق الانكار الخاضعون بحماسة الى هذه الخطبة المعتدلة ، ولكن
 الفرنسيين استقبلوها بمسودة ، فكثرت الصحف ، بعضها اذا كانت هي
 اعلان حرب ، ورى ، نصبا ان فرنسا مهانة وان عليها ان ترد على انكثرة ردافسها
 لانها ، ويذكر بعضها انه لو تكلم سكرتير سفارة مثل هذا الكلام لكان موضع
 غضب رؤسائه ولومهم الشديد ، ولا فائدة من شعاع الى رأس السفير شيئاً حتى
 يرتكب في آخر حياته السياسية قتل هذا الخطب ، ويتركه كلاماً يهدف مفاهاً في
 يدس أي عيب في سلاله راحة وحكمة وحسن سياسة واسالة رأى ، وكانوا
 دونه مجاعة وكن موقفه صليماً ، وفيل الى دسكاسة ان عاينه ان يسأل وراة
 الخارجية البريطانية ، اذا كان هذا السفير يقن نفسه انه ليس مكلفاً بتعديل
 وراة الخارجية الامكارية فحسب بل كذلك بادرة السياسة الخارجية في فرنسا .

وكان الرأي في انكثرة ان هذا الخروج عن اعراس الموقف من افضل الامايب
 السياسية ، فكثرت حريصة التمس من من انشأها السكاد في الاوقات الحاضرة
 ان تجاهل ميل السياسة الفرنسية منذ عهد نابليون الى مقاومة ما يريد ان يفعله ،
 وليس ذلك لاجل ان تصون مصالحها ولكن حباً لحلف الادبية بتأثيرها اواوصف
 خطبة السفير بأنها محاولة لامتلا سياستها على وراة خارجية انسانية فهو اعلاي الباب

شكل صراحة في اظهار الشعور العادى لذي هو وخدمته دون ما يسيبه سوء الظاهر من المكبات. ومع ذلك فقد علق اللورد - بسبوري انه غير راض من هذا الانفجار، واقتضى في بعد ان ذكرت السفارة الانكليزية بياناً ورد فيه ان السفيرة رد مطلقاً المعرض لشؤون فرنسا وانه شديد الاعجاب بالفرنسيين ولا يريد ابداً ان يسيء اليهم، وهذا السفير هو نفسه الذي نحن بعد ذلك على عقد الاتفاق الذي كان يشاء - يحتاجه كثير من سياسة الانكليز، وقرنته مهمته في باريس قبل ان اصعدت الملائق بين فرنسا وكتارة على عبة من الاحكام.

ورغم الاتفاق المؤدي لذي سيج رغبة سياسة اللوثين، فهازل يتحدث الفرنسيون ولاسيما رجال سياستهم عما اذا كان يوسف ن يعتمدوا على مؤازرة بريطانيا في حالة هجوم باقي. فقد استمره لامرطور في انشا مؤازرة الخيرة انهم اذا وقعت الواقعة لا يستطيعون الاعمد على تأييد كتارة، حتى ان فريقاً من رجال السياسة البريطانية يكونوا يكتفون به غير مقيدس بهي عقد تجدد مؤازره السياسية، ولذلك حالاً الفرنسيون على راسهم في السياسة الانكليزية، وبلغ الامر برجال منهم ان بطوا ان هناك اتفاق بين الكتارة واثنية، ولاسيما بعد محاولات اللورد هالدين وزيرته لاثنية.

وقد اظهر اللورد جراي في مذكراته ما كان في نفسه من الشك في سبب الخفة والسولة اللذين كان يظن بهما الفرنسيون ان العريضة بين لايشاطروهم في اعراسهم ومرايمهم، على انهم لم يهتدوا الا مؤازرة سياسية، والصرحة التي ذكرها فيها السبب الذي دعا الى انهم لا يسوغون لانفسهم هذا لأن الوعد بمؤازرة العسكرية، كان يجب ان يمدد الفرنسيون بها، على انها معدومة ما وعدوا به من التأييد السياسي، وكيف تمكن ان تقوم اصول مثينة في عدم ارمال البعوضة والشكوك والشبهات... واما شوهدت الامور عن كثب وشوهدت لاحطار التي قد تقع، وتبين انيل الى الزينة والى الشبهات المتبادلة، طير انه كانت من المعجزات بقاء الاتفاق المؤدي على ما مر به.

وكانت حكومة انكلترة مضطرة ان تزن جميع اعمالها واقوالها وان تحتجب كل ماقد عس الاتفاق ونسب اليه . وكان رجال سياستها لا يكتفون اسفهم عندما يجدون بين الفرنسيين ارافين ومؤثرين من يعتقد بسوء نية انكلترة ، ولكن الرغبة الموهنة عند الفرنسيين في سياسة البريطانية حملت فريقا من عمل الثانية يحسنون استنرها عندما كانوا يمدحون على تارة الخلاف بين فرنسا وانكلترة ، وقد وجد الفرنسيون ما يرضيهم في الخطبة التي اقراها المستر لويد جورج بعد خذلة الخادير ، وكان آخر رجل تخطى هذه الثانية ان يخطب هذه الخطبة التي ائت فيها اثرا بمبدأ ، وقد قام فيها : رى انه لا شىء يمدح احدث الاضطرابات في حالة الدبلوماسية التي تريد التيات الخاصة بحسينها ، وانما تعرض ليعطى مسائل التي تعقد به الشؤون الوطنية ، وان كان هناك موقف اضطراري ، وكان غير مستطاع ان يوطد الترددون ان تخطى انكلترة عن مركزها المظهر السهر الذي حيرته هذه حيال من انما والبطولة ، وان تساهل في الامور التي تهتم مصالحها الحيوية كما لا تمد في مجس الشموه ، فاني اعلن بكل ايمان ان اسر بهذه نتيجة سيكون لها الانعكاس في بلادنا ان نتجمله .

وبعد انكبت الحرب ووردت انكلترة في دسولها من الحلال الجاهل ، اخذ الفرنسيون ينادون بفدر بريطانيا ، ولكن ما كانت تدعى الحرب حتى اخذوا لطافها ونمطها بدمع عاتق السوء ، فوالا كانت الشكوك التي كانت تساور الفرنسيين بالسياسة البريطانية ، ولكن اذا كانت فرنسا هناك بالسياسة الانكلتزية ، فانكلترة كذلك كانت تشك بالسياسة الفرنسية ، وقد قلل التورد غراي : ان جميع الشموه وجميع الحكومات تتأثر بسهولة وتشك بغيرها بسهولة ، وفرنسا ليست مستثناء من هذه القاعدة ، ولكنها سرعة الغضب سريعة التوبة ، وقد تكونت هذه الصفة عند الفرنسيين اكثر من سواهم ، ولكن الذي يوحى اليهم بالثقة وهذا ما يميز ادراكهم ، فاني يولونه انها بدون حذر ولا تردد .

الفصل السابع

بسمرك

رجل الدولت العظيم

١ - المانية قبل الوحدة

القوى السكمانية والشمور الوضي

كانت الامبرطورية الرومانية الجرمانية المقدسة في القرن الثامن عشر تعد من وجهة شرعية الاتحاد دول على رأسه عظيم منتخبت (امبراتور) وبجم (ديت) بدون سلطة حقيقية ، وكان فيها نحو ٣٠٠ سيد بين ملك وامير ورئيس ديني في حكم مضطرب متفكك ، وفي وسط هذا الانقسام الذي كان يسود المانية كانت تشتعل النفوس على عاطفة مهجة عامة رمت الى تحديد ماض غير معروف ، وتحقيق آمل وطنية في مستقبل غير محدود ، وشمور قومي كامن يحيل الى افله وروك كالجيران المانية عرقين بهذه القوى السكمانية وبحشون جملها ، وما ينفي في ذلك لزمن من يحيل ان المانية تريد ان تتحد ، وان الانسان قد ملوا اعداءه ابدية ودمائهم الى غدوهم ، الذي يريد ان يستعيد وطنه ، وان سياسة التجزئة التي نشأها العدو في بلاده يتداعى بنيانها ولا تقوم لها قائمة ، وكان القرن الثامن عشر بنوء باعلاء الحروب الشديدة التي حرت فيه ، وشهد الفرنسيون ذلك الهيكل الاتاني العظيم ، انشأ من شموه عديدة واثم مختلفة ، بشر الويتا ورفع الاسلام ويخطي حدوده ، فيضمه بالقوة بعد ان اخافهم بالكثرة .

وقد احتفظ الامان باحلافهم القطرية في ظل سيادات مختلفة ، فلم يكوّنوا اقوياء في خارج بلادهم ولكن اقوياء في داخلها ، وكانت الشعب دائما يجد ويدب

وبماصل وبحارب ، وكان مستوى عليه من رغبة المعظم والمغفرة ، هذه أعداداً حسنة
لخدمة العسكرية ، وكان نوعه من حروب من هذه الحرب ، فيدولون في سبيلها
كل شيء ، حتى حريمه ، ولا يترددون في إخراج أنفسهم لقتال دون غيرهم تحت كل
لون ، وفي جميع بيادق ، ولكن هذا الشعب كان يذكر أباؤهم بمغفرة بعضاءهم
كانوا هم سبب من لا يمل بسفكون معاه في سبيل الإنسانية لافي سبيل غيرها ،
وبالولون المحرور والمحرر ، وتحرروا القويحة الكبرى ، وفتولون وبسبون ،
وتخفون بحوربه ، وتلاؤن أمام جميع سلطاتهم ، أما نظام الخشب الذي في
طه ، والتصرف القليل الذي مبرح بشع الأمم الألماني ، هذه يمكن لأثر البروتق
القدم ومدى للموت المبد ، وكان الدين شون ذلك ، وهي ورسمه ، وكانت
من الكفورت التي يجمع فيها هذا الدين نوعاً من آثار العتيقة الشرقية ، إلا أنها قدمت ،
تجدد هيب المذكورات عند تنوع الامور الحارة ، وتعرض لها بين حين وآخر
سيالات تلك الأيام السابقة .

وكانت الإنسانية في القرن الثامن عشر ، قد جعلت كلمة الوطن ووطنية تظفر
في امزجيات السياسية وفي المبادئ والمبادئ ، في هذا الزمان ، وبحسب
المعاطفة والكثرة واستقر عليها ، ما لم يكن كانوا هم من في الحزب الإنسانية فقد كانوا
يتظاهرون بحماية شعوبها ، ولقد خرج عن استقامته ، وكانت الوطنية تسبب خدمة
تخدم الفرنسيين وعدائهم ، ولا يزال لهم ، وقد ساء لهم ، وكانت ماري تير تقول
عندما كانت تستأجر الألمان على الفرنسيين المشركين في بوهيميا : في متى نضع الاحياء
باطاً بأقدامه الوطن الألماني المرير ، ما نضع المرحمة بحرب الوطن من الخد الذي
نوال عليه الاحياء ، وكان مردريك ، ما حاربته وصلى لها في صادق ، وما جعلت دراسة
كان ينتمى المدرس نفسه محتجاً بمصلحة الإنسانية ونفها ، ويقول لفرنسيين أنهم في
اليوم الذي يتجاوزون الذين يحدون أكثر الألمان متحدثين ضدكم ، وهذا كما يقول
ه نورين ، أنه في اليوم الذي يتجاوز فيه الألمان برين لا يجوز لرحل حرب في فرنسا
أن يذوق طعم الرحمة .

ومع تقدم الزمان كانت هذه الميول تتجدد في ألمانيا وكان الأمر يستعمرها ، ولكن لم يتجح أمير نطخ فردريك ، فبعد حرب السنوات السبع التي ضحت فيها فرنسا حقاً بمآثرها ومآثرها حتى ترد سارية في ماري تور ، تصالح الاميران الالمانيان وتعاونوا على فرنسا وارادوا اذلالها بعد ان غلباها ، وشافنا في ادكاء الحاسة الوطنية ، وكانت الالمانية بأسرها مضمية الى هذا التدمير .

وكان عجيباً هذا الحظ الذي قدر لبيت روسية . فن رئيس الدولة الاقل الالمانية ، والامير الغرب عنها يدوقه والحقه وريثه واقاربده ، هو الذي اعان كل انسان على احياء الحرية القومية واحدة شعور الاستقلال في الالمانية ، وكان لروسية عدد كبير من قضاة قوتها وولادة مورها ليحدث عن احد قضاة واصار ، وكان لشأن الملك ايمباسوف ونموذ في اوروبا ومباذمه عنه اولو المقول يومئذ ، سبب في زيادة تعبيرها واعلان مكثها ، وكان غوته يقول : ان الانتقاد الذي وجهه في شبابه الى الرجل الفرد ، رجل الذي كان يعوق جميع معاصريه ، حمله بفكره بانه كان جازاً في الحكم ، وقد قيل ان فردريك بعد حرب السنوات السبع قد أصبح المرحوم في اوروبا وفي العالم ، وقد سارت هذه الشهرة في كل مكان وتجاوزت البحار وبلغت امرها في القلوب والشفقة نفوس ، وهداه لاساس لعامة روسية منذ الامان وحملها حداثتها ومآثرها وسنوات مكرمانهم ، وعلى الرغم من الاختلاف الكبير بين روسية وماركس الالمانية ، وقد سبغت افكاره الالمانية والحزب البروميني شيئاً واحداً ، وقد كانت الالمانية مختففة عنده كانت بحركته يصنع جبرها الذين يرون ، ليس فيها ، أصبحت مكرمة ، برومونيست خبير على عاقلها ، وسيد لطيفون الالمان يذكرون التحذير ، تدعون الى الاتحاد بومشي حتى آثارهم يؤفون ، تدعون بومونيست ان يصنع في بلادهم ما يصنع في فرنسا من التوحيد ، ويطالبون بان رد لها ما خدمها ، وكان ، معاً ، الذي يرجع اليهم لانتشار مبارية لاصحة حكمهم ، هو دانييل ، وهوون لالمان ان السلطان التركي والناح الفرنسي هما العدو الموروث ، وعرضوا ذلك في نفوس الشباب حتى أصبح

مثلاً من الأمثال ، وكان ملك النمسة يعمد على تمكين هذا الزعم الذي نصبه
رائه ، وكانت بروسية - ستريد من كل ذلك ، حتى أصبحت - كما قال ميرابو سنة
١٧٨٩ - القاطب الذي تدور عليه في أوربة وحى الحرب والنم ، والشغل الشاغل
للباحثين المتمكنين في سياساتها ، فكان جميع الذين يدعون انصارهم الى احراز
الحدود والافتوح دون انه تحسين التعاطف معها ، والكتاب الخريصون على الاصلاح
يشيرون بذكر هذه الحكمة ، ويقترحون - تشبه هذه الاداة الكبرى لجملة التي
تولى في تكوينها الصناع الخادفون منذ حيال - وقد حذر ميرابو كتابه عن بروسية
بهذه الكلمة : ان هذه بروسية رحمت صناعة الحكمة الى عهد الطفولة ، ومع
ذلك فقد كان هذا السقوط بصورها قريباً فكتشف امره وتبين انسه بقوله :
لا يوجد دولة تؤمن بصيرلات سريع كهد الدولة ، انها قد اشدت بطريقة لا تطيق
ان تجعل اي صفات ولا ي حكم سليم ، وهو مالا يد منه على طول الزمن ،
وهذا التمارس هو اساس حكم جميع المعاصرين ، وعليه بقوه المدح والنقد ،
والتاريخ في تلك النورة الفرنسية عبر ذلك .

وليس من الممكن تصور صفات دولة تختلف عن صفات النمسة كهد الدولة ،
فقد كانت النمسة تعمل تعهدا على ان تيف دولة غير متجانسة ، وحكومة لا تهم الا
باسياسة ، ما بروسية فقد كانت اقوى السياسية والاجتماعية تعمل فيها على تكوين
شعب متحد في دولة متجانسة ، ولكنها بطبع كل شيء ، حولها ، طامها ، وكان يات
هو غير ذلك كبيت هيبورج حرامطوط وحده صطربا ، كنه اقل شكافي مبادئه والبس
افساما في رعائه ، وكان يتابع بالسلوك اوس وحزم اشد خطا بمعدة معينة ، وكانت
بروسية لتجمع وتتميز بقدر متعادل النمسة وتفككت ، وقد وجدت منذ البدء ،
الشيء الذي مفدته النمسة وهو المعبر الثرم تكوين الدولة ، وكانت بيت
هو غير ذلك على القاييد والنسبة وحقوق في تخيرة في دولة حوهر هامدي ورفساؤها
من التيل ، الذين تشمل انفسهم على ثقافة اشرف الكرمي والشعب المنظم
تحت السلاح ، وقد ظهر واضطر الاذنين التاريخيين المخلصين بلادهم والقائدين

الشعب الذي لا مثال له في أوروبا من حيث الانقياد والطاعة للحكام .

واستمر تاريخ لا مان كابتدا ، ليس له حدود ، وكل حوار يحسن الاستفادة منه لتوسيع ، ولكن بغير الاحتفاظ بكل ما يؤخذ ، ولذلك ساند فيه المعاصر العسكري ، وبما أنهم حريصون واشداً من الخطر بتقلب أعضائهم ، والسهولة الفسيحة التي كانوا فيها مبرحت تدفعهم إلى انقارات ، وتعود له طريق الفتوح ، وبما كانت بولونية تشغل بالدهم شطرين في يكن له يد من الاستيلاء عليها ، فهم قانعون بالضرورة وقد حافظوا على ذلك بالذوق ، المزاج ، وكانت الحرب كقول ميرابو صناعة روسية إيطالية ، وقد وصف هذه الصناعة بهذه الطريقة في بناء مؤخرينة فقال : إن طائفة هذه الصناعة تعمل من أجلها نوعاً من الاستمرار ، فكل حجة حسنة ، وكل وسيلة سائفة ، ولا يهمل أحد ولا يندم ، والحق شديد ما يوافق معالجتها وهي بحسن تصرف الجميع ، ونسمو على غيرها بشفقة عظيمة ، واجدوها ، وأكثرها رونقاً وبهاءً ، ولا يوجد أسرة ملكية استطاعت كائناً ما كان أن تتنازل بحسن التدبير واستثمار الخواص محاراة الزمن ، وقد نشأ ملك روسية في أيام السلافيين وكبروا في عهد الإصلاح ، ولكن لم يكنوا يملكون في قدامس نوسبائل ، ولهم لم يكنوا مخلصين عن اهتمام الأرض ، وسميت في هذا الشأن التي هم ، ونسبوا أجنحتها موفهم ، وبأن المساومة بهم مفتوح لا يعمل به ، الدولة على كل شيء ، إلا أن كل شيء يأتي عن طريق الدولة ، حتى أن الكنيسة علمها أن تفرح بالدولة وأن تخضع لها ، وكانت المصالح غير الدينية والمصالح الدينية مختلفة كل الاحتياط قبل الإصلاح وبهذه .

وكانت فرنسا ترى اتحاد الامراء في المانية بوق من سياستها ، مادام الأمر فيها بما في أن يكون قائماً على أساس معاهدة دستورية ، ولكن إذا اردت فرنسا أن تحتل أرضاً المانية فإن هذا الاتحاد يتحول إلى تحالف حصار لقاتلهم ، وقد تطور سياسة هوة لا الامراء تطوراً غريباً لكن تدرج فرنسا كنهه ، وقد أصاب سياستها خيبة أمل شديدة فبعد دعائهم شكرهم بعد أن عولت على حريتهم وتمالكهم ، وامتدحت سياسة الامر ، لا مان موضع نهكاً قريب من الفرنسيين ، الذين يرونها قائمة على مخادعة

جميع الناس وعلى الملك عبود. وقد سار الأمر الأمان في القرن التاسع عشر على سنة روسية في حيز خفيف ذاهب إلى الحاجة به وبهذه أن طأطأوا رؤوسهم غرسه وهي قوية ، فقامو عليه عند وجدوا قوما متصائلة ، وكانوا حلفاء عندما يريدون التمتع ، واستأذنت المحافظة على ما حرروه ، وكانوا يحذرون في حجة الوطنية مدعياً أن يقومون به من القدر .

أما الوطنية التي رافقت أسبانيا في ثمانية نحو سنة ١٨١٣ ، لم تكن تلك الوطنية المضطربة في تابع وشري وتسامر ، فقدتوا فساد ، ولكنها عاطفة أكثر دساسة وأكثر قوة ، وطية مخرجة ، ساذجة ، خيفة ، أكثر من العواطف المغيرة ، وهذه الكلمة أي لم تكن في الماضي ذات شأن ، وكان مدحها الخشوع والامتنان أصبحت عامة رقيقة مرهقة ، ورجحت في دماغها الحق ، وبسبب تعرف عن صميم شعب كبير ، هذا الشعب الذي ، أعوس محرم مركك ، وهو عنصر قوي ، يمكن بكثرة له في أعين الغد ، سمعت بدخله إلى تغير لأحوال السياسة الفرنسية في أوربة .

مع ذلك فإن فرنسا ، بدت ، هي التي تكاد تكون من حرصته عالم ، وقد قوس له أن يكون في تلك المدة عظمته ، وبذلك لا يشاء الخلق ، وقد زالت الأمان طور ، والى تلك في تلك التي مشهورة في التاريخ ، ووعى نابليون على الحكومات الصغرى ، وجمع وقرى ، وابتدأ حركته ثانية أكثر دساسة واعطاء قوة ، ولكن حركات محزنة في مجرى ، وهو في ذلك شئ مبالغ فيه ، فمن التقدم ، التجدد ، وتجديد من عمار عظمته ، وبذلك طرح القاصيون منها حركات آثارهم . وقد دود أمر ، التاريخ مع الغالب سنة ١٨١٥ ، وبذلك لا اتحاد آخر من مرة أخرى ، ولكن ما دون تعبد و صبح ، وكان إلى جانب الحصة وروسية تقوم انكسار (لأن ملكه ، ملك عامه في أول الحصة) (ملأه) (ملكه - مخرج) والآخر (سنة ١٨١٥) ، وقد ساروا القوم في التاج ، لا تجوز مرة أخرى ، وقد نشأت الأحزاب في سياسة ، وفيه ، يستأذنت ، وفصار الحقوق الثابتة التي ينكرون حق الأمراء ، وينكرون الدساتير ، والحزب الدستوري

و كانت نماذج الفرنسيين فكرة احتلال شاطلي ، الرين الآخر ، فلم يجدوا الا انان
لفرنسة ، وتعلق به شديد هوطني ، وهو الرين الالمانى الذى أصبح شديد الحرب بعد
ثلاثين سنة في حرب السبعين ، ثم صبح الشيد : الثانية فوق الجريح ، وانتهرت
فكرة الجامعة والوحدة بين الامراء فصبحوا بكرمون القائلين بها ويحبون عند
منوح كل فرقة الوطن المنتمين . وشأت ثورة سنة ١٨٤٨ عن انتشار الآراء
الوطنية في آن واحد مع الآراء الديمقراطية والديمقراطية .

ولم تنجح محاولة تأسيس دولة متحدة عن طريق مجلس او مؤتمرات ، فبحكم ذلك
روسية نحو تحقيق ذلك بالاتفاق مع الاعراء الذين حببت اليهم جميعاً هذه الفكرة ،
واخذوا عدتهم لها حتى تم إنشاء الدولة الألمانية الموحدة .

اما السياسة الفرنسية فقد تركزت على خطها في الاعتماد على مرفق الممالك
الاراسية ، حتى ان اوعيت كقولها الكاتب الفرنسي اشيرى في اذرائه المسائل
الدولية : كانت يستعد هذه الآراء التي ما برحت تستمر في فرنسا قبل حرب السبعين
بعد حرب ١٨٩٤ ، واستشهد بجميع التاريخ على انما لا يفسد قلب وفرنس ، فاليون
الثالث وخطأ آراء بعض المشايخ في هذه الايام ، وذكر كريمة ان الثانية كانت تستمر
فيها دعوة المدا ، فرنسا سبب خطتها السياسية في معارسة وحدتها واقعة المعقبات
في سبيلها . وقد كان ذلك قبل قيام سمرة بمحلة عدم . وقال : لا مجال للاختلاف
فالشعوب الألمانية تشدد لم يجدوا رغبة لا وهن اني كانت سالدة في فرنسا عن امتزاج
الانسان اقتصادياً في عهد نابليون الثالث وفي أيام الجمهورية الثانية ، ولم تكن
الدول الألمانية تريد ما حقه فرنسا وسبب كتاب على هيئة تقرير في صاحب فرنسا
احدها ، وكانت مودة معها مشتملة على فكرة الاتحاد والتمويل ، حتى ان ملكها
لويس دم بفرنسية كان شد الجميع جمهورية فرنسا ، بيد ان هذا يدب . وبطرس فيما
يشده . وقد روى عن مرميخ قوله : ان سياسة بيس انما هي مزرعة يمكن دراكها
في سبب دامت خمسة وعشرين عاماً ، وهي اربعة جميع آراء الثانية اني كانت في
الاتحاد الجرماني من حيث الوسائل التي يرمي اتخاذها لحماية الوطن . شتوت والدفع عنه .

٢ -- بواذر المستشار الحديدي

بسمارك وعليه يوم الأول وتذبلون الثالث

كان بسمارك يعتقد في نفسه أنه ولد حاكم بأمره، لا يرويه عن ذات ولاؤه لملك ولا مخافة الله، ولا حب الوطن، ولا الشعور بتسوية في نحو الجماعة، وهو يحس أنه وحده، ويرى أنه عظيم، ويشعر بأنه مناصب بكل ماله من سحر وعزّة، وأنه تأثر لا ينفك بتعطّل تبدّلا وتغييرا، يبحث عن الفاضلات ويحتقر الشيء المستقر، وعنه اليقظة ونفسه المعصية لا يلقى أدلة لا موز ولكن قلبها يتعوبان، وهو يريد أن يعمل كما يفهم وكما يراه، ولا يرضى بأن تكون يد فوق يده.

بعد حياة قلقة معطلة، وبعد أن رفض بسمارك أن يدخل في خدمة الدولة لأنها لم تكن ذات دستور، نهالت عند سبوح الغرباء لدخول البرلمان لأول الذي اجتمع في روسيا لتقرر دستورها سنة ١٨٤٨، وقد ثنّت في هذا البرلمان جميع الولايات من الرق إلى عمل، وكان التعاون لأول وحدة أوروبية، ولكن العقول البيرة التي كانت في هذه الجماعة لم تكن معها المكرة الجديدة، ولكن كانت نهجا المكرة الألمانية، وعلى من كانت تعمل معه شئت من المصيرية، وبلغ في بصره نظرة إلى الشعب، كان موحداً بالأراخنة كما هو موحداً بأغورية، أما الممالك فقد كان على ما قال ورث عن يده مكرمة واحدة الألمانية التي يدعو لها جمهور الشعب الألماني، نحي حينئذ لثأرون المرش، لكن لديهم المكرة الروسية، وكانت الأكرية في الجنس محاطة.

وقد أدرك بسمارك أنه في غربة، لأن رأيه في ثلاث جملة بعيدا عن الخاطفين ورأيه في الآخرين بقضية جنه، وكانت أول كلمة قلت أنه يقاوم حزب اليمين دغما عن الحكومة، ويقاوم حزب الشمال دغما عن حزب اليمين، ففضى هذا الشراخ عليه أن يشجع وحيتين مختلفتين ويسير خطتين متباينتين، وقد كتب حينئذ في أذنه: هذا المجلس: أنه من العجيب أن يرى هذه الجرأة التي يفرض عليها

المطباء البرهان اذا نظرنا بينها وبين كفايتهم ، وكيف يمدمون على ان يحملوا حملاً كهذا الخلع العظيم على لاذعن السعيرين وعجزهم وتقص مرادهم ، ان الامر يستغري اكثر مما كنت اظن ، فكان يريد ان يعرض الامر كله وان كان يشترط احتقار الرجل الى هذه الساعة ، وكان هذا الاحتقار يظهر في كونه اني مهزأ بها ، او في من المادرات التي يمرض لها ، وبم يكن شبيه لما فيه من قوة حية وحرارة وشجاعة ؛ وكان كثير المنجب بنفسه بحيث لا يستطيع ان يكون موظفاً يوماً ما في الاستقلال بحيث لا يستطيع ان يكون حارساً ، وبقي رئيساً لبعض الخرائين ، وكثيراً الجماعة بسبل التقلب عنهم ، واثبت روح سميرة صادقة لا تجد ما يضر فيها الخاصة ، اما الآن فقد وجد اسير الذي يرتقيه ليندلس ذات اليدين وذات الشمل ، ولكن لا في سبيل الدفاع عن فكرة ، ولا لانوار حطة سياسية او اقتصادية ، بل رضاء نفس تحفز حروب ، واستعد فنان الرجل والجماعات ، والمثل الشعب عنده هو محور السياسة .

وفي اول خطبة له في المجلس تار شعب اصطفاه فصلاً عن أعدائه ، وهي عدة المفردات حين نقاء ، الجاهل ، وذلك على اثر خطبة افلاها حد النبل ، المحاضرين ، وذكر انه في سنة ١٨٩٣ ما يكن الحقد على المحتجين هم المامل الوحيد في اقارب الروس ، لان شعباً حركت كهذا الشعب لا يعرف فقد وحلي ، ومن الشعب نفسه نفسه ليجر رقبته ، ويملك فيه ان انق في نظره سلك موقف حيثما سمعوا عيوناً ان الشعب الشعب سنة ١٨٩٣ لا يجوز ان يمرى اي غير شموه باحار الذي حققه ، من ان كان الاحد حكي في الله ، وفي اولى انه من سوا حداثتي التي نفسه لجر من ان قال ان الالهة ، التي كانه حتى ينسب لله في سره ، وحتى الشعب بعد حتى كل خطبة من نواصب الشرف لله ، وان يحاول استنوار ماله الذي من نفسه ويصرف منه عائد سيرة .

وقد عين سمورث لثلاث بدو شفي في سكرتوريته ، وكان الشعب على شديده سبب ما يأكل نفسه من الخاصة وحب المصداق ، وما يشهد في المعونات السياسية من

اساليب الحفاوة والمعاملة في نظر الى اصحابها سبوا كما كان يظن في رده في المجلس .
وعقدانية على الاستغناء من محبة حتى اجتمع من الناس يدي اصابه . ولكنه كما
استدفعه ان يسمو . ثم بينه سفير اكل له عار د وهو ابن سنة وثلاثين سنة . ثم
يسبق له الظاهر رحابة يراهي السالك السياسي . وكان تعينه منافسة المعاداة المتوقعة .
وكذلك فقد احدث نحو سمرقند في سنة اربع مائة وسبع مائة اية ثمان مائة اربعة مائة .
كتب بعد سنة الى اهله يقول : اني الان كشاع الخمس . فطلبني اقصر وعشي
الى العطار . ويصلي اصفار اسد . ثمينة او جميل العصب . ولست بحاجة الى بلد
الحيد حتى تدعي ان هذه اظاهر الخليفة قد تكون رالة في القدر . ان اشهد في
حفلة من حفلات العصر . ووجهها غارف على اكثر من الوجوه التي قبلت على الان .

و لما وشك ان ياتي قلب حبيبنا المقيم كان القوم اموالاً اسفار رجل في اورشليم وكان
يرمي الى الاحمال القبطية وافتتاحها وانه ارجل شريفة و هو كان يلبس ثياباً
يلطى غصبا لان القوم ياتي محاطين به في الكفة بحاصه بان يحيي مو كان يريد ان يصاب
ان يثرأ فمعه فبجده مقرر وورقه مديونة في حصار في ثيابها شديدة الصلابة
وكان سنة ١٨٥٥ و خرجت في قلب قوم من اوانتي و التفتل فمعهود بين الكفرة
و فرقة وركية و كانت اربعة مسممة على الاتحاد و الحذف لا يمانا كان
يغار بين الحشية في سبع رؤوس في الحقائق و كانت القصبة كذلك هو و روية
و انبوهها في القلوب في عو بها و و استمدى حارب الى ربي يوتي ربه
ويكونا حكي بين الحشية في هذا شأن و يثقل ربه صريحا و هو انفس
كانت ارجل في الحرب الا ان لم يصر بها في لا تفرح الا في سبعة و روية
الاتحاد بين ثياب و مسموم فمعه يحيي حصار و كان في حصار في حصار
حشية من فرقة و روية في الكفرة و كانوا في قور و سور احد امراء لهذا المدي
بنة الكفرة و يقال معها .

[illegible]

رأيي بسمرك مستمداً من عقيدته ، وكان شغله في السياسة شغل كبار الرجال . وهو
 لم يكن يريد ان تكون بروسية سائرة على آثار النمسة التي يفضيها ، وبصفة بالخذاع
 والرياء ، وفتح الشديير ، وهو يعتقد ان الارمات هي - الحوافز ، وروسية تفتقر
 الفرس لتتمو وتكبر وتدير الأمور تدبيراً يلائم مصالحها ومنافعها بدون ان تحاذر
 شيئاً ولا ان تكترث بشيء . وعلى كل حال فالمجدة التي ترسلها بروسية ينبغي ان
 تعود عليها بما يزيد في عظمتها . وان تخلى النمسة بمقابلها عن دعوى السيادة في
 المافية ، فصيح بسمرك في حرب اقيم رحل السياسة الاوروبية ، ولكن الملك مع
 ذلك ، يكن يعرف ماذا يصنع ، فقد اتفق عسكري مع النمسة برمي
 الى جانب دفاعية وهجومية ، ولكنه ، يات ان تحي عن دعة هذه السياسة ، اما
 بسمرك فقد زادت مضافة الخلف بينه وبين القصر ، وتباعده في سياسته عن الملك ،
 وسافر بعد ذلك الى فرنسا فالتقى بالامبرطور نابليون الثالث والامبرطورة اوجيبي
 اللذين احببانه .

وقد اوصى اليه الامبرطور بحديث عريب عن نيته السياسية ، ورعائته في عو
 بروسية والساح ملكها ، قال تلزع من حيرتها واحتل هوشتاين وشلزويغ وهانوفر .
 وتصبح دولة بحرية من الدرجة الثانية ، حتى تستطيع مقاومة انكسار عمومة
 فرنسا ، والامبرطور يريد ان يعتمد عقابيل ذلك على هجوم بروسية ، اذا تقدمت
 الأمور بين فرنسا والنمسة بسبب الانسلايين ، وسأله عما يكون رأيي الملك في
 ذلك ، فاجابه بسمرك : اناس يريدون الحديث ، لانه اول دليل الثقة ، وثانياً لانه
 السياسي الوحيد الذي لا يبيع سره ، ولا يطلع عليه احداً في بروسية ، حتى ولا الملك
 لانه لا يوافق على ذلك ، وكل حديث في هذا الشأن ربما يؤدي الى اذعة للسراشي .
 الى العلاقات الحسنة بين فرنسا والامرية ، فسالته نابليون : است هذه باحة ولكن
 حيانة ، فاجابه بسمرك : انها كذلك تجعلك في موقف حرج ، فقول هذه الكلمة
 وسجل عليه وعده .

وما اكثر ما في هذا الحديث من دهاء وبراعة ، وهو يدل على طول باع بسمرك

في السياسة الأوروبية ، فإنه يقول كما يقول سواه ليس لدي تعاطف في ذلك وسأكتب إلى مرجعي ، ولكنه وجد من سعة رأيه وحضور ذهنه ، ومن الحرارة وتحملي المسؤولية ، ما يفسد خطط العدو الذي يريد أن يتدخل في شؤون ألمانيا ، ولم تلعب في ناظره روافد الاطماع ، فوطئ على النار بقدمه حتى أخذ نورها قبل أن يراها احده ، على حين أنه عدو النمسة الذي لا يخمد مرآحه صفته ، واغدر من استأج ان يصح بالاتفاق مع الامبراطور ، ولكن بدلاً من ذلك قل له قولاً حكماً مما فيه حتى بلغ ارفع الدرجات في حسن الاستجابة لك تسع نفسك في مواقف مهم مستغرب . وعجيب ان يقدم الذكاء الفرنسي على مثل هذه الاقتراحات التي لا مبرر لها . وهل اراد الامبراطور ان يستمع جهاراً لهذا الفرنسي ويترك خطاهه ، وحاول ان يقتصر انصرافه بالمرحاة ، وعجبات الاسرار عظامه المنة :

غير ان هذا التقدير هو فصيح . لان بسمرك ، لا يكون صريحاً عندما يريد ان يعجب ويخدع ، وهو لا يكون صريحاً عندما يستنصر الآخر بالثقة ولا تنفي له فائدة من المصراحة ، اما حواره فقد كان يراد منه الحرارة المنة وزيادة في حسن الظن به ، وقد بلغ من ذلك ما اراد ، وهو لم يبحث هذا الأمر في تقريره ولكنه الى حين موافقه ، واقترح ان يقدم ناثليوب الى روبرت واين ، وقد كان في هذا الرأي مخالف السياسة التي وعدناشوريه ، ولكن هذا الرجل التمسك بهدوت الحقائق فتمكن بأنه لهذا لا يارب ، وما كان همه ان يزيد الحزب الديمقراطيون ايلات وتسلطهم ، فقد خرج بسمرك على رأي سيده ورأي حماته ، واستمع رجلي الحرب في الماضي لا عرف إلا انه رجل دولة ، وقد دلى في رسالته ما كان يقول في نفسه فكتب :

الرجل (ناثليوب) ليس له شأن كبير عسى ، وقهسا يحو في نفسي شعور الا عجب بالرجل ، وقد يكون من خطط انصر لمدي ، بي اري موطن الضعف أكثر مما اري مواطن الاحسان ، وحزب ريدون ان تبحثوا عن القاعدة الشريعية الموافقة لفرنسة ، اما ما عرفت من وطيفي بروسيه محنة ، ولا تنهي مؤسسة الا بقدر

مؤثر موقعها في الآدي ، وبغير ما يكون مفيد في العمل الذي احدم فيه وليكي
وموطني موافق ، نظرا الى حاجتنا الي احياء به من الواجب في خدمة سياسة بالادي
الخارجية لا كعزت الى الحب والبعض هم يتماق والدول الاجنبية والاحسان الا جانب ،
ولا هم يتماق الى ، وبغيري كون في موب هذه خطة اقرب لحياتنا للملك والبلاد ،
وسيدي ان تلك بعينه لا يجوز ان تكون لديه عواطف حسنة ، وبفرض الاضباب ،

والى لانسكنا ، ككل في وربة وزير زرعنا ، كثر من وراة فينة رعية
طبيعية في النوعون دول نويرة ، رعية ، حواسنا وريد ، عودها في اديلة ، ما انا
الاناسر ، ومحب كموثي رعية اديلة الا نحو الكثرة وعذارت ، هذا اذا في
احيانا لذلك اثر في نفسي ، ولكنك انك لا يبدون ان تحسم ، وفي اري بعين الرضى
ان يصلى حدودنا ، لبرهم الانكار ، وروس والفرسيين في قم عندني البرهان
ان هذا العمل هو مسئل سياسة تحسنه وفكرة مقبولة محضه .

ولكن متى انقطعت هذه الدول من ان تعتمد الدولت من الثورة ، وما هي
علامة ذلك ؟ هل هناك انما هو من مواضع غير شرعية في قطعها يد هياها
وليس من عواطف القصد ان يستعروا على اعزاز ارضهم ، وما هم ، وداريد
ان يبعث عن اناس الثورة ، وليس فيهم ان يبعث كعري ذلك ، ولكن في الكثرة
ان في عهدنا في ، في ربح ، في راحة في حرمية بركة من حياه ، رعية في هذا
اليوم عند الدولت في الثورة والقبائل ، هذه مثلا ، ذلك في راحة ، جمهوريات
الامريكية كك ، اسور ، جيك ، هو ردة ، سمير ، يونان ، الكثرة ،
وكذلك الامم ، اردنا ان نصير في لارضي في اناسنا لاسر ، لاسر من
الامر بطور ، والى ما حدد ، نحن ، معن ، شعبيهم ان اناسي برعين فاضلة على ان
الحسنة في الامم ، ان له ، معن ، راحة .

وقد شئت ، عرب وعاليه ، مختلفات سياسة ، جميع ، وهو ابر ، فهو بعينه ،
الدولة ، وما انهم ايهم ، الامور ، وليس رد ، انك حوت منهم ، ككرة ، مشورة
حول سياسة الجلال ، وانها وتدير امورها ، فزادت ما ياتي من ابدان الراي ،

ولكن العجب الذي يفتضيه امره هو من طائفة رئيس الى مرفوع من لا يخفى وتقلب
المرفوع في اساليب من الخرافة والخيال والخلق والسكر بلوغ ما هم كبح مقاصده.
وقد انشأ عليهم تشكك في فكره وثباته لا يراه وكان يترك في غير رقة في جميع
الصفات الموصفة بشبهة فيه ، وكان يترك على العمل ، تشكك في انواعه على
المنظور ، انما ، لا ، كثير ، شائب ، متهم ، كالحقة ، من سراجي ، سواء ، كنه
كان سيحذ الخلق ، صيق المذهب ، هو ، كني ، سمعته يشبهه في سبي ، من ربح العصب
شديد الحق ، كثير الزبده ، حول قلب ، حري ، محقق ، مشكوك ، في عقيدته بربه
وولائه نايكه ، لا يسمو ولا يسم ، يتفقد نور الايمان في حقيقته ، ويصور لا يبالى
بالأطماع ، ملئ من الامر ، منافع في العمل ، شجب ، حري ، هو ، سببه في
صوره انسان ، يعني نفع في غير نفع ، في نفعه في حوجه ، ويريد ان يفسد بوجه
على العوضي الشائبة في رايه ، ولكن ، من ربح ، وفي حريته في حقه ، وقد اصاب
بين لرحلين معادهما في الحار ، لا نفع ، شجب ، كني ، في الامور ، شجب ، فكان
ذلك سبب اتفاقه على ان يسميها نايكه من تشكك كان يقضي شدة حقه ، وكانت نفس
عليه نفس ملك صدمه ، ناصر نفس ، تقوى ، تشكك ، رايه ، لا يترك ، في حقه
انه فوق سواء من غير ، سابع في انوار ، كانه ، ولكن ، في حقه ، من العباد
الشديد ، من كرامة الشيخ الكبير ، نفعه ، يشكك ، في حقه ، كان ينادي على امره ،
لان عزه الملك انما في ذاته ، ما يسمو ، فقد كان دنا يندفع الى الامام غاشطوي
عليه نفعه من عزته ، وكان ينفذ حمله حتى لا يرحل ، عكر ، في حقه ، وهو
وان كان بعيدا عن هواي ، حري ، نفعه ، يكن ، في حقه ، ما يسمو ، كان همه المنها ،
والنهاد ، وهم الملك ، نفعه ، في حقه ، سابع ، في حقه ، لا يترك ، في حقه ، في النايكه ، يعني
حين ان سمرقند يطلع في ربي ، في حقه ، نفعه ، في حقه ، في حقه ، في حقه ، في حقه ،
وكان كانت يشكك ، نفعه ، في حقه ، لا يترك ، في حقه ، في حقه ، في حقه ، في حقه ،
رأى منه في انما ، وفروها ، وعلى هذا النحو كان سمرقند ، في حقه ، في حقه ، في حقه ، في حقه ،
المطعن في آثار سياسته ، ويستنفذ مواهبه في خدمته .

وكانت بسميرت فقط آخر جملة نابليون الثالث ، وقد عين سفيراً في فرنسا ، وكانت بينه وبين الأباطرة علاقة تساند فيها نابليون عن رأي ملك روسيا في التحالف معه . فحاجت سميرت أن ترى العلم بعيد إلى فرنسا ، ولكن المطامع في الأوقات الحاضرة كانت تحدية الأداة كانت ضرورية وقامت على سبب وغية ، فقال له نابليون ليس هذا الرأي الصحيح دائماً ، فإن الدول بينها خلافات متفاوتة في المصادقة ، وإذا كان المستقبل غير مكد فيجب أن رسل حملة قائمة على توجيه الثقة وتميزها ، وبلا أنكله عن التحالف عفواً ، ولكن أرى بين روسيا وبين فرنسا من التساند في لصالح مانعاً على أن يكون بيننا أسباب التعلل دائم صادق مادام ليس هناك مواسم ، ومن الحظ الكبير محاولة السيطرة على الأحداث وقراءتها ، لأنها تأتي منقادة طائفة من دول نفسها ، من جيران فرنسا مدى موهبها أو ناحية اتجاهها ، ولذلك ينبغي أن نحس حسابها قبل وقوعها ، وأن نتخذ من الوسائل مانعاً من نه على دفعها .

٣ - شلويغ هو لشان وحرب النمسة

وصف الكونت بروكس السبق مثل النمسة في مؤتمر الاتحاد الخرمي رفيقه سميرت بهذه الكلمات التي ذات على داعية السياسة دالة واضحة ، أكدتها الأحداث الحسام التي شعلت فيها من مدد : « يدعى سميرت أن روسيا هي من كثر العلم ... وهو إن تلك رغبة في عرق الاتحاد وتعميق شله ... ولو أن ملكا اتحاد من الساننا استقبله بغير التمايز الخرمي ، هو مثلك مكيف في آرائه وقواعده ، بحسب ارمية كثير الحيلة بحيث لا يثني بعمل من الأعمال ناقصاً أو يكفي بتصفه ... وهو يسعى جهده من غير أن يعرف الوقت في عقد الاتحاد وفقدته وشله ... » . منعبنا على ذلك كل الاستمالة الروسية ، ولكنه يعرف كيف يلقى النبعة على خائق النمسة ... وقد استوفى عليه ميل روسية ورعيته استملا ، جعله يحتمل بالضرورة العزيمة القاصية بأن تتحد ثانية بقيادة روسية ... أما أنا فير أشهد في عمري رجالاته لا يفرط دقة فهم يعتقد ، ولا يشك لحظة في عمل .

كذلك كان الرجل المحجوب الذي يمد نوره في ظلمات خزانة كنفه الشهيرة التي قال فيها: إن الخطب وقرارات الأكتية لا تسوي مشكلات هذا العصر الضخمة ولكن بسورها الجديد والده ، وكانت هذه الكلمة من أشهر كلماته ، بقيت عنوانا له ، وعُتِب عليه بسورها الاحدق والاصوم ، ونفهمها الامر بطور قصة شديدة وخشي عواقبها ، ولكن سمرقند استطاع تحزيمه وحرارته ان يخرج منها وان كان قد اولها واظهر ندامته عليها .

وما اخذ سمرقند بتأليب لاعماله العممي ، بل بدأ اهتمامه بشروع هوشيان ، وكان عليهم بمسائل من حقه في هذه الترويح فيجيبه من انثالا مثلا عن الحق الذي افصح به فردريك ستريه ، ويصيف الى ذلك ان جميع آل هوهنلرلن رادوا في سمة دولتهم واهتمامها ، واخذ يبحث في قصة في هذه القضية حتى تجررها وراءه ويخرجها بعد ذلك من التحالف الخرمي ، وكانت على هذه الطريقة تحوّل آفاق السياسة الاوربية وجرافيا حتى عيونه سياسة الدول الكبرى ، وبصورة بين الثمانية في ملكه الذي لا يستطيع انفعال امره حتى لا يبيع عليه حقه ، ولكن الخط لا يبرح متتبعا حتى الرجل البارزين ، وقد انفس له الخط في جميع دوره ، ولاسيما في هذا الامر الذي حاوله قبل غيره ، وسارت القصة يد ايدي بروسية التي كانت تنظر اليها شزرا والتي حاربت سياسيا اربعة ولسوء ، وبعد ان عقدت للملكين الوبة انصرت على الدعوى ، لم يكونا يعرفان ماذا استعان بالوزد التي احتلتها باسم التحالف الخرمي ، وكانت القصة تريد ان تعمل هذين اليدين حتى من التحالف ولكن بروسية كانت تريد انفسها ، واخذ سمرقند يضطرم عيظا ويحدث الوزراء بان الفرصة مواتية تقال القصة ... ولكن الوزراء كرو الامرياحات ، مايسمرقند فقد استمر في خطه ينكر سياسة التردد ويعدها قبح سياسة ، ولايصكرت لنمبادي ، احقة وفيه ومعارضة بعضها بعض ، ويرى ان الواجب الوطني هو فوز كل علاقة ورابطة ، وأنه اذا تعارضت الدولة الوطنية فاشن لثانية .

وكان هذا السياسي العظيم يرغب الحالة النفسية في بلاده ورعيه رأي سيده و
 مهيم في نفسه حرياً على أحواله لأن النعمة ، وبعمل على دفع فرصة العلموحة
 بعود قاهرة مستمرة كان يقي بها الأمير طور البيون في شادثاته معه وأغراً أنه
 الشوائية ، ومحاولة كل واحد أن يخذل صاحبه من غير أن يريد حربه ، وقد بدأ خطته
 بتلسمه شرويع هذه الشائين مع النعمة وأخذ بلاده القسم الأولى لاتصاله بها ،
 وترك ماضي النعمة التي كانت مشغولة بشؤون الداخلية بحرومة من كل مخاف
 الحربي حتى أنها تملك على خزانة الذي يحصر من شرويع - هو الشائين .

وبمضي هذا ذات سمورث يتحدث كرجل أماني ويعلن جهرة أنه يريد أن تكون
 المانية متحدة به لا تخفي الحرب ولا يريد فقط شرويع - هو شائين ، ولكن يريد
 توحيد المانية الشائية ، ويستمر في تحريكه على النعمة - حتى أنه كان يستنير المحربين
 لقيادته على ملكهم الشري ، ويستفزهم ، الشك ويدهم بالاستفزاز كي يداؤموا .
 والتنافس بين النعمة وبين روسية يرجع إلى عصر من سابقين ، فكانت روسية
 يريد أن تملك على ماوسيا وتحاول أن تمل محلها ، وكان الحلف الذي كان المانية
 وأثار أروع الداعي فيها ، يريد أن يحد اتصال ، فقد كان يقي ويتغير حتى أنه بلغ
 من العنف ما جعل فردريك غلوب الثاني انت يقول في روسية السياسية : لا يجوز
 لروسية أن تأخذ طريق الأرم من تاورين من دراسة ، لأن الدراسة الفردية
 كانت تهاوم الامبرطورية الخرمية وتحول دون استقلال دولها ، وهذا ما كانت
 أصنامة روسية ولكن سياسة سنة ١٧٩٤ هي غير سياسة بسموك وإياه اعتباراً به ،
 فالتصال الذي شدد بين الدولتين اللاتينيين ، لكن لا تاذم في خصوصية الخارجية
 التي آن أن يفصل بينه وبينها .

وبعد أن اندلعت سمورث النعمة كان في مصاف بينه الأنداز تحدثت في الكثرة ،
 وذلك له بعد أن حدود روسية تدخل في هذه الساعة ، فورد وهس ، وقد تحضر
 روسية الحركة ، ولكنها على كل حال متفائلة بحركة ونجاعة ، وأد عيناً فإن أي
 حياً وسائق قبلاً في آخر هجوم ، وتبرأ ليموت الأمرة واحدة ، وعند الانكسار

فأولئك أولى بالشكر . وهذه الكلمة تدل على حلق بسحره وهو اليقظ القاصرات ، وطالما كان يقول بين يديه على الخطيرة بنفسه ، انه لا يأتى بشئ ، وإن حمل بيده رأسه الى السيف .

ولما لاحظت بعد سموعين شذرات ، تعبر في الثانية ، احدا شبيب يهتف للمائدة الشجاع في ساحات السياسة ومعاركها ، فتجاوبت اوربة بالباء ، فحدثت لعضيد التي كان له وقع شديد في الحافل والشماع ، حتى ان مسكر نير الدولة في انما يتكلم صرخ على فيه صرخة الاسف على العالم ، بعد ان سمعت بروسية حبيبه فكتور عثمانوف من المصاد الذي عجب هو وبها صاحب خلافة الكاتوكية ، وانراك بذلك حدى الكبار .

لما سمعنا فقد فلتح بعد المصارع سياسة جديدة ، واصبح يحاسب خمسة بعد ان حاربها وتمكن منها ، وقد ذكر في خطبه العرش انه سينشئ في محالفا دوليا في الشرق الاتاني ، وهو الخطوة الاولى نحو لوحده ، وعرض القادة الذين ارادوا باحمة فينة ودجولة غنوة ، طامع القنايل عايها ، وكان الملك يؤيده في خطابه الجديدة حتى فل : قد حدث الحرب كارهة ، لكن فصي الامر الآن ، فبقى علينا ان نجيب في علاقاتنا القوية مع فينة كل ذكرى مائة ، ودخول جيوش فائمة يخرج كرامة شعب النمسة كما يخرج جند شاعة بعض ، فالحكمة من الحرب ، الدولة ، لاننا سنضطر مما قريب ان نمانع عن فتوحنا التي حررناها في ساحة الحرب ، اما فرنسا وستثبت في قتالها بعد قتال النمسة ، وهذا ميقضي به سلسل الوقوع التاريخي ومتعلق ، وكان بسحره يهيك على القود في مجلس حرب عقده الملك في ١٢ : اذا استجبت جيش العدو من فينة فيبني ان نقض آثاره الى هتافرة ، ومن اجزا للدانوب يبنني ان يبق على يفته اليمى ، وافضل مايقدمه من الحفظ وحكمه ان نسير بعد ذلك نحو القسطنطينية ونعيد تأسيس امبرطورية البرنطين .

وقلنا سمع هذا الميقري الررم يتكلم مثل هذه مرة ، فهو الذي وقد ناز الحرب وادكى لها ، وبعد ان فصى منها وحضره عزم على الكف عنها وفكر في

عواقب السياسة التي يتبعها ، وفي انفايت البعيدة التي يسعى لها ، وإذا لم يكن قد تدأ وهو كذلك في نفسه ، فقد جعلته السياسة صاحب الكلمة الأولى لأنه يرى في ثنائيا الاتقي حرباً جديدة ، وهي حرب فرنسة التي لم يكن يريد لها ولا يمكنه لا يجد مندوحة عن خوض معارها .

ومعنى بسمرك بدارى الملك العسكري انشاء ، الذي لم يكن يريد الحرب الا دفاعا ، ولكنه يأتى ان لا يقتطف قدومه ثمار النصر ، وإذا كان قد بسمرك هو الذي قد الى الحرب ، فإنه ينكر على هذا انه ان يضرب بالنصر الذي ادركه السيف ، وقد اعرب غلبه عن شروط الصلح ثنائيوث الثالث الذي توسط في الأمر وهي : الحاف شارويج - هولشتاين وسيادة روسية في ثمانية وغرامة حرية وانزاع بلاد الامراء المعادين ، وكان بسمرك يتصرف مايقع في باريس من مدى هذه المطالب ورجعها ، وقد منح رأيه على عقد الصلح بحسب الشروط التي طلبتها النمسة ، ولم يقصر في غناء بطلبه اقتناع الآخرين وحملهم منوعا او كرها على اتباع رأيه ، وكانت النمسة متضمنة في يبق الاسلوك خطة الانشاء واحتمات الاحقاد ، ولا سيما ان النمسة لا يمكن ان تصبح ارضا روسية تحكمها برلين ، فيجب توثيق المعرى معها قبل ان تتحسمن العلاقات بينها وبين فرنسة ، ومن الارم على روسية ان تعمل على تعزيز نفوذها في ثمانية كلها ، وان تسمى لتعزير الروح الوطنية وتقوية شعور الوحدة في البلاد الألمانية .

وكان الملك يحشى ان يعقب العشل والاحقاد النصر والظفر ، ويرى ان السلام الذي يريد بسمرك لا يجر فيه بعد ثالث الانتصارات الباهرة ، اما بسمرك فكان يسعى توحيد ثمانية بقيادة روسية ، ويرى ان ذلك النمسة في منافستها اعظم من ذنبها ، ولكنه يحرس على توثيق الصلات بين الدولتين الحربيتين اللتين بينهما عداقة محكمة وعوامل كثيرة ، وهو لذلك يريد سنها الحاف فيه ولا غرامة ولا غنائم ، ولكن يريد مداوذا الجرح فورا حتى يلتئم في الحال ويندمل ، ويقوم على اثره بخلاف صالح مرضي ، يشغل فيه الغالب عن حق سيفه ، ويصح المفل والحكمة فوق الغلبة والقوة ، وهو يدتوب بذلك

من آراء مفكرى القرن العشرين، ومعجب أن تكون عليه "علائق بين الدول التي تريد إقامة سريّة ثابتة الأركان".

وكان بفاجر بسمارك بأنه بلغ غراضه في حرب النمسة، فابقى فرصة على الحياة، وأخذ يهيئها البلجيكيك نارة ويمارس نارة أخرى اطاعها في المكمل - مبرغ - المنعاقلة الألمانية التي لا يوافق الشعب على أن تكون في يد العدو الموروث . وبعد ظفر بسمارك واستفحال امر بروسية، حاول نابليون الثالث أن يبرز موقفه المضطرب يطالب اقليمية، ويحدد صرح له بسمارك عن تأجده . ومعه مندوبه مدية شديدة بقوله : اذا كنت فرنسا في طلب به . فتجد على شاطئ الزين . جيش روسية وجيش النمسة، متحالفين متحالفين في ميدان الدفاع عن قوماني الانساني ورد عادية فرنسا .

وكان يعني بسمارك أن يحقق رغبته من اوحدة الألمانية بدون قتال . وإن يلب فرنسا في ميدان السياسة لا في ميدان الحرب، تلك هي مبيته ومطامحه . على حين ان طبيعته العنيفة كانت تقضي عليه ان ينظر الى الحرب كأنها في حلقه . وإن لم يكن يعتقد ان الحرب هي الوسيلة المجدية لتكون شرب واشتامة . وقد اثر فيه مناظر حرب النمسة ودماء القتي تثير أعظمه ولكنه كان يشعر من احماس قلبه بما تستوجبه صناعته ومبهمه . ومقدرا كانت زواشيرة في اورية وخارج اورية . كان يقل اكثرائه بقواد الحيوش . وقد انما بسمارك عن سائر الالمان بأنه كان يجمع بين اصالة الرأي وقوة الحنان . ولا يرى ان الحرب امر محتوم بل يرى انه لا فائدة منها للقاتل فضلا عن المغرب . وكان مدونه الحديد نابليون الثالث يعرف مثله ما في السلام والثقة من مصالحة لذين الشمين الذين محققا يعتلا . ولكن ليسرا احبا الى حبيب في علائق الجوار الحسة . وفي طريق التقدم والحضارة . وكان بسمارك يحسن خطته . ويمرر على الفرنسيين - كما فعل نابليون - ما لا يملكه . ومع انه كان يحرص على مسألة فرنسا فقد بدأ بعد ان اخذ الحلف يستند يحمل على جارة بروسية المريبة . ويقول : انه يجب مراقبتها والسدس في الحيز والكم على الزناد.

وكان ينبغي بقرب وقوع الحرب ، ويرى ان امانية اذا استولت على الازراس فليها ان تبقى في الحصون ، وان تظل مستتمة في اصلاح ، فن الفرنسيين سيجدون من بحالفهم ، وهذا هو الخطر ، وقد صبح ما تنبأ به .

٤ - حرب فرنسا وتأسيس الامبرطورية

بسمرك في حلال اعماله

طارت شهره بسمرك في العالم ، واصبح اسمه علان الكتب والمذكرات التي تبادلها الخواص ، وكان يقال انه اذا حدث هذا الشيء اوقات ولم يحدث ، فلان بسمرك ارد ان يرد ، وكان يفتخر اياه حينئذ كرجلى نعمة الاعمال والنتائج ، والذين كانوا يرونه قايلا الاكثريات بالاماني الاخلاقية ، استولى عليهم الدهشة بما يجدون عندهم من ربيع الصراحة والخيبة ، وكان يقال انه خدع الفرنسيين اي خدعة في قضية الاسكندرية ، واما كانت السياسة من اكثر الصناعات كذبا ، فخرجوا مثل بسمرك يصيح ما يصيح من الاساليب الخداعية القرائة في سبيل بلاده ، لا يستطيع اي امرئ ان يتبع عن الاعجاب به ، وكان يتناقل معاصروه كلامه المأثور ، وقد روى عنه قوله : انه لا يريد الخلق النجسة ، ولكنه يريد اخاف هوئله ، ثم روى عنه بعد اشهر انه لا يريد هوئله ولكن يريد النجسة ، ام الحقيقة ان بسمرك لم يكن يريد هذه ولا تلك ، ولكنه كان يريد ان يعمل القريب والبعيد في قلق وحول دائم ، وليست الحياة - كما كان - لاضلال بين جميع الكائنات ، اذهبوا من النبات الى الطيور ، ومرضوا بخرت فاسور القشاع ، افك لا يحدون حياة بدون اتصال .

هذا هو الرجل الذي وجدته نابليون الثالث يعرض طريق سياسته ، وما يكن الرجال يريدون الحرب ، وقد ارتدوا غائقي صفاء ، ولكن السياسة كانت تفعل بها افعالها ، فكان كل واحد يكيد صاحبه ، واضمح بسمرك نابليون باحتلال انجليك يعموس عليه عور بروية وما حدث من حلال في التوارن ، ولما جاءت قضية ميراث اسبانية وتعدت الآهورة ، احد الفريقان يمدان بالحرب عندها وسار بسمرك سيرا حثيثا في التاهب لها ، وارسل دعائه ومحرصيه في كل مكان يحتاج

اليه ثم بعد السبيل المبرر به ، وكان يقوم بجميع أعماله وهو هادئ ، التمس رابط
الجأش ، يدير أموره بدقة ومبارة ، على حين ان رجال السياسة في فرنسا ، كانوا
يحاورون بالاستعداد للحرب ويتناصون المانية المدا ، وقد استطاع سمير نابليون
الثالث ان يتصل بالملك غليوم وان يباي موافقته على انتخاب مرشح آل هوهنلارن ،
ثم عاد الى الملك كيرة اخرى ، مسألة ان يتخذ على نفسه عهدا بان لا يرضى في حال
من الأحوال عن ترشيح امير من هذه الاسرة ، وان يمارس في ذلك وبأني كل موافقة ،
فستعز هذا الاسلوب الملك الابن ، وابلغ ما حدث الى بسمرك ، فتناول ما كتب اليه من
وصف الحادثة واختصر ما اراد اختصاره ، وحذف ما اراد حذفه ، ونشر البرقية الشهيرة
في التاريخ برفية امس ، وذكر في نشر ان الملك لن يستقبل السفير ، وابلغه عن
طريق الخاطبة انه ليس لديه مدالان ما يقوله ، وانه قد بسمرك كلمة ولم تخرج شيئا .
والكنه ملوى ماطوى ، واتقى ما اتقى ، بحيث ان القدر الذي دفع يقضي على فرنسا
قضاء مبرما ، ودحول الحرب ، حتى تفصل لخوان الذي يلحظه من هذه البرقية .

وقد انصارت الآراء في عمل بسمرك برفية امس ، وقال لمكحت الاشتراكي يقول :
انها حريصة لا يعرف التاريخ شيئا لها ، ولكن الجرعة هي حقا في اوصاع المجتمع
البشري ، التي يستطيع فيها رجالا او ثلاثة ان يوقدا نار الحرب ، ويحولوها لادفنها .
من دير ان يستثيروا الشعوب ، او يفكروا عما تجره عليها من المواقف الوحيدة ،
اما البرنس دويلوف فقد بحث في مذكراته عن هذه البرقية وقال : انها اعظم عمل
عبقري قم به اكبر رجال الدولة الذين احببوا المانية ، وليس في مقدور احد ان
يستعيد ذكرها ، بدون ان يشعر بنفحة عظيمة ترف نساها به ... في سرية واحدة
ازال بسمرك اثر الضعف الذي ظهر على الملك الشيخ في مباحثته بالخصاوة بالسفير
الفرنسي بندي ، واعلا قضية الترشيع لأميرن الاسباني عن الخلافات السياسية
المألوفة ، واحرق بها عن الشبهاء وبأثارها ، واعلر للأمة نالا مرتب على شرف المانية
الذي عهد الى روسية بحراسته ، فثار عواصف الحاسة في اقصى البلاد وفي ادناها .
وكان بسمرك يجب اجتناب قتال الشعب الفرنسي ، ولو نعلم ان المانية بان يكون لها

من الحق ساقته مرسه مد عصور ، ولم يكن يفكر في سبيل الاراس اي انزعها
فرنسة من المانية في القرن السابع عشر ، ولكن الفرنسيين الذين كانوا يمشون
بحسن الوحدة لا يتفكرون عن ثارة الفوضى في المانية باسم حرية الاعتقاد ،
وعروهم وشهوة الديمقراطية المتأصلة في نفوسهم ، جعل فرنسا والمانية بحاجة الى
تحكيم الحيف ، ولم يخص بحركة الثورات الابدان هذه الامور واعتادوا
حتى لم يجد دولة من الدول سبيلا الى التدخل ، وبذلك كانت في جانب المانية
العوامل غير المقدرة التي هي اعظم من الوسائل المادية ، وكانت السياسة المفع اثرها
من الحرب ، وهي التي قدت المانية الى ما حيزته من نصر ، اما فرنسا فقد اعلنت الحرب
على امنية ، وكانت هي البائدة ، حتى ان رئيس وزراتها قال : اننا نحمل هذه التبعة
العظمى بقلوب صاعدة بالروح ، وقد انقلبت هذه الكلمة عائق فرنسا ، كما انقلبت كلمة
يتمن هولاء عائق المانية ، وعندما وصف الحيات الملجبي وصان لدول ، بقصاصة
ورق سنة ١٩١٢ .

ولم يقتصر دورك على التقاء تيمة الحرب على فرنسا ، بل ارادت بحج عليها
غضب بعض الدول ، فأذاع في جريدة التيمس مشروع معاهدة كانت تجري حولها
المعاهدات ، وقد اقترح فيها السفير يند في باسم نابليون الثالث والحكومة الفرنسية ،
وفي مدنها الثالثة تطلق فرنسا يدروسية في المانية مائدة العسة ، كما ان مادنها
الرابعة تدع روسية فرنسا وشائها اذا ارادت التخلل بالاجبات او الخاف ، وهي
تؤاثرها بقواها العربية والبحرية اذا غلبت عليها الحرب دولة اخرى .

وقد ارسل سميرك بلاغا خاص الى جميع المندوبين السياسيين للتحالف الالماني
في العواصم الأجنبية في غور سنة ١٨٧٠ ، يذكر فيه الفوائد الرئيسية لسياسة
المسانة وحطاطه ونذاره التي تفيد كل رجل دولة فقال :

منذ سادوا ما رحت فرنسا تعرض على روسية مقترحات مشتتة ، تساهم فيها
على المانية وباجيكة ، وقد ظهر لي دائما انه من المستحيل على درس هذه المقترحات ،
والكني وأبت تخالفهم السلام ، ان ادع رجل للدولة في فرنسا ويميشون في اوهامهم

المدي الذي اقدر عليه من الزمن ، وكنت ارى ان مصلحة اورية في المحافظة على السلم ، وان هذا السلم يبيع في عرض من الاخطار اذا قضيت دفعة واحدة على احلام فرنسا كلها ، وكان فريق من رجال السياسة يشير بأنه لا يجوز ان يشترى السلم من فرنسا باي ثمن كان ، لان حربها امر لا بد منه ، غير اني لما اكن اشارت هذا الفريق في رأيه ، بل كنت اعتقد بظنه ، لانه لا يستطيع احد بدون ان يشاك او يرتاب ، معرفة ما تحمله المقادير ، وبلوحني ان حرباً ظافرة هي في نفسها شر دائم ، يجب على رجال الدولة ان يصونوا الشعوب من عواقبه ، وكذلك منه من المحتمل ان يصيب السياسة والدستور في فرنسا من التبدل ، ما يحول دون وقوع الحرب ، ويعين على انقائها بين الشعبين المتجاورين .

وقد اصاب بسمرك باداعة حطة فرنسا ومطاميرها في بلجيكا بحريضة انكارية كبرى ، وذلك ليكشف القناع عن اصاع نابليون في جارتها ، ولا سيما لان حماية استقلال هذه الدولة من قواعد السياسة الكبرى عند رجال الدولة البريطانية ، ومن قضاه بلادهم الحيوية التي حاربت لاجلها نابليون مدة اثني عشر عاماً ، وهذا الطمع الذي كان يشتمل عليه قلب الفاتح الذي لم يبلغ مناه ، كان ينبغي ان يهكر في عواقبه الذين حاولوا مثل محاولته ، واثاروا الاضطراب في حرب سنة ١٩١٤ لاجل الحاق ساحل الفلندر .

ولكن كيف استطاع بسمرك ان يحرر هذه الوثيقة التي كتبها بندي ؟ هذا كذلك احدى امب الداهية الالمانية ، فقد كان هذا السفير - يقول دوبيلوف في مذكراته - وزيراً مفوضاً لفرنسا في تورين ، وشهد ان ييمونت تشارت لفرنسا جزاء لوازرتها ايهاها عن سادوا ونيس ، فظن ان بروسية تذكر لفرنسا جميل منمها بتركها ايهاها تضه شملها وتجمع وحدتها ، وتكافئها على ذلك ، فكان في البناء ، معادثاته مع بسمرك بذكر البلجيكيك تمويصاً موافقاً ، وانتهى الامر ببسمرك ان قال له : الموضوع يكون ايسر معالحة اذا تركتني افكر فيه ، وناقش الملك الشيخ ، وذلك بان ثبت الى بصيغة مكتوبة ، واغرى بندي بما اطرى من كفايته في الشاء .

الوثائق السياسية ، عندما كان سكرتير مؤتمر باريس . فخلد هذه المداخلة ، وارسال الى فوربر البروسي مشروع معاهدة مقصودة ، ولكن في بعض ساعات حتى كتب الى سميرت يطلب اليه ردها . لان موطنى اسفارة بمارشون في بقاء وثيقة خطيرة كهذه الوثيقة اسرية ، في يد احدي ، فاعدها اليه سميرت فوراً ، بعد ان كان قد صورها ، وقد اعان صورتها عندما ادعتها جريدة التيجس .

وما يقصد سميرت من نشر هذه الوثيقة التأثير على الانكليز والبلجيكي فحسب ، بل اراد ايضاً ان يؤثر على الالمان الذين كانوا يعنون انهم يأتين من فرنسا . لان في مشروع المعاهدة (الدفاعية - الهجومية) اعزاء تقطع من بلادهم ، ومن احياء النازية على هذه الدعوى في الحقيقة الزهراء ، واداك كان سميرت يالام على مداعبه نابليون وينبغي ان يكون حذر بالمواد اذ ركس بعدداته ، وفي سنة ١٨٧٠ كان الثموي السياسي والفكر البعيد والتصميم والقدرة والتجرب والعزيمة والنبارة في جانب المانية ، وذلك على بعض سنة ١٩١٤ .

ما اوروبا فقد كانت تخطى صورة فرنسا ، فالتساوي نفوذها ، وعظم مظهرها ، وذلك قائما سدفق منشره سميرت عن مقاصد نابليون في بلجيكا ، كما انما سدفق ايضاً منشره صغير فرنسا يدعي من ان سميرت هو الذي وحى بهذا المشروع والصفحة به ، وكيف استعملت اوروبا ذلك عن هذا الرجل ، الذي لا تعرف اساليب سياسته ولا مبادئه ، ولكنه في كل حال احب ان يرضى الذي رجمه اليه في نشر هذه الوثيقة .

وفي بدء الحرب بين روسيا وفرنسا كان يدان سميرت به يريد سلفاً لا تفتح اليه ولا ارسم ، وبه لا يرسل الاممالية ، نابليون ، ومؤتمرين ، ، وكانت قامت اشبه الفرنسي بانه الشعب الكبير الذي يجاور الالمان ، وان البلديين كبيرين ، يريدان ان يعيشا رضاء ، وان ينتميا عبرات السلام ، ولكن نابليون هاجم روسيا في انبر والبحر ، من غير ان يستشير الشعب الفرنسي في حوس عميرات حرب داميه ، ولذلك فليس هناك من حق على هذا الشعب ، ولكن عندما جازول هو منقوبان

الحكومة الجديدة ، ومطلبان فراسة حامت امبرطور الحرب ، وانها تجتمع لاسد ،
وانها عازمة على تمويل الحصار ، كان سمر - في الوقت نفسه تعادلت المفاوضات
المنديت من قبل الامبرطورية اوجيني ، ويجيب حول قافر ، قوله :

لا يمكننا مع حكومتكم ، وان كان لابد من يظهر اننا نعرف بعضا منكم ، ذهب به
الى باريس ، ولو كنت وانما ان سياستكم ستكون سياسة فراسة لدعوتنا الى
العودة من غير مطالبة بفراسة او ارس ، ولكنكم لا تعترون لا اقلية د هبة ، وانس
لدينا اي ضمان ممكن ، ولا من الذين يأتون من بعدكم ، ونحن لدينا ان تفكر اماننا
وطمانيتنا ، ونحن نطالب بان تتخطوا عن الاراس بامرها ، وعن حرب من اللورين ،
اما حول دور مكان يقول : انهم لا يشاركون في حيز واحد ، ويصف سمر -
بانه مريب غريب ، بسيط ، سهل لا احد والرد ، لا تكف عنه ولا يرد ، لمطالبة ،
وقد استقبله باب ووقر ، يسهله في الحديث مباشرة ، يخرج منها الى النهاية .

وكان بالمستطاع الاتفاق على ان يبقى الاراس ولورين في حالة حياد ، حتى
لا تنشأ من الحافز المضار التي لا بد منها بسبب وجود فريق من الفرنسيين لا يميل
اعلى ، ووالالة ، مالي ، نفوسهم من شعور وعازمة ، انفايد ، وكبرى ، والحكمى حياد
الاراس واللورين تجعل عريضة في امن على حدودها مع بقا بقوم بينهما وبين المانية
من دول محايدة كالمجيت وسويسرة ، فالحين تصاف اليه الاراس واللورين ، على
حين ان المانية امن من فراسة قوة في البحر ، وانها بحاجة لتكون في مثل هذه
الحال من الامن ان تقوم الى جانبها دول محايدة في بحر الهندية والبحر الاسود
الا ان الحين كان مترا على الاراس مع - برورج ، واللورين مع - مر ، ووساكني
بسم - رعية الملك ورعية القواد حتى في بعض مالا يتقدمه سروري
لارتفاع والامان .

وم يكن سمر - في يادي ، الامر شديد رعية في اشاء المانية الكبرى ، ولكنه
كان يتقبل شيئا فشيئا هذه الفكرة حتى ستوت غيبة ، واحذمها ، لها سببها

بدقة وبراعة، ويستعاضها لذلك حتى يرعى الملك نفسه، ولما جاء يوم النصر المبين في فرساي، أشرع الملك عنه بوجهه ولم يمد إليه يده، كأنه آثم بحمله أوجان عليه، أو أنه أراد أن يختار لأحكم الرجل الذي لا يطيقه، فكان يحيط به الخصوم من الملك والأمرأ، والقادة والساسة وهو ينقل في مراحل النصر.

وقد أتى بسمرة مرة أخرى بحول فافر فبادره بقوله: ليس الموقف الآن كما كان في البزل، وذلكات الغاية من هذا الحديث أن تقول أنكم لا تتنازلون عن حجر الخصومكم، فمن البت أن تنكم، وكان مصى على حصار باريس ثلاثة أشهر، ثم قال له: لقد كثرت بيأس شعرك بحضرة الورير منذ آخر اجتماع، على أن يجيئك لافائدة منه، لأنه لا ي وراء الباب مندوب من لندن نابليون للمفاوضة، وفضلاً عن ذلك فلكم لا تتفنون الاطاففة من الثائرين، فلماذا تمنع جمهوريتكم صفة شرعية بمفاوضتي إياها، وما أثير في الحقيقة الافئة تائرة، وإذا ساد امرطورك فانه يحكم عليكم جميعاً بالاعدام.

وعندما احابه جول فافر أن قرنة ستكون أدن فريسة لفوضى والحرب الأهلية، قال له: وأي سرير يلحق ببنانية من جراء ذلك؟ ولما سأله جول فافر إذا كان لا يخشى أن يبعث في الشعب الفرنسي روح القنوط واليأس الذي يبعث الاستمته في المقاومة، قال له: تبحث عن المقاومة، اصنع ما أقول لك: لا يجوز لكم أمام الله والناس، أن تفودوا مدينة بقطها مليونان من السكان المجاعة، ابتغاء مفخرة عسكرية مثيلة. فقد قطعت السبل، وإذا تم بعدها بعد ثمان وأربعين ساعة فسيتخسرون في كل يوم مئة ألف، فلانذكر المقاومة، أنها حريئة كبيرة، ثم قام يريد الباب الذي زعم أن وراءه مندوب نابليون، فقال له جول فافر: لا تسوقوا قرنة بعد هذه المناسبات إلى تحمل نار نابليون. وجاء بعد ذلك تير وتم الاتفاق على التسليم والتمرة والتنازل.

وقد يكون اعظم مدح تلقاه بسمرة ما قبله جول فافر عنه: أنني أقر بأنه رجل سياسي يتجاوز تجاوراً بعيداً كل ما قد يظن برجل سياسي، وهو يظهر كأنه

لا يكثر ثلاً بالأمر الواقعة ولا يبحث إلا عن الحلول العملية ، وثقاب عليه في بعض الأحيان عصبية وشدة ، وقد شهدت من تسمعها في شهدت من تشده ما لا يستطيع ادراك سببه ، وهو لم يخدني قط ، وقد أداني في كثير من الأحيان بقسوته وجفائه ، على أنه كان شديد التقيد في الأمور الصغيرة والأمور الكبيرة بدون تمييز .

وقد تشبأ بسمرك وغيره بمقاومة هذا النصر ، ولو أنه ساد الاستبداد فيه ، وانحصر الألمان على ما يحتاجون إليه ثأمو مفيد لهم عسكرياً أو ثأمو مرتبط بهم تاريخياً ، لمكانوا اجتروا ثورة خفيفة عدوهم حتى عدل عنه الأمر الذي لحقه ، على أنه بسمرك كان تدهي تقلبات الأيام ، ولا يفعل عن مراقبة السياسة الفرنسية وسياسة سائر الدول ، شديد الخذر من تحالف الأعداء والخصوم ، حتى كثبت عنه جريدة فرنسية أن حرب المظاهرات التي تنفذها الدول بها لا يفارق خطره ، وقال: إن هذا النوع من الحرب الخفية يجب أن لا يفارق مدة طويلة قبل أن أقول بدءاً بحيلة وزير المالي .

وما زال الباحثون ينظرون إلى عمل بسمرك العظيم بغير الإعجاب ، من غير أن يسيطروا عليهم ما يجدون أحياء من منافقته ، وقد كان أول عمل السياسي الذي يثير الاهتمام أكثر من كل رجل سواه ، وإن كان يؤدي النفوس أحياءاً بما يرى من غادته الآخرين ، لأنه كان لا يبالي ما يعمل في سبيل الوصول إلى غايته ، رجل فوق الرجال ... وهو على عمقه وشدة يصب أحياءاً عن أيداء وموصة ، ويبحث في النفوس تقديرات غريبة ، ولا يستطيع أحد أن لا يحب به ، وهذا سر عظامته .

٥ سياسة بسمرك الأوربية

مؤتمر برلين ودرزاري

كان بسمرك يرى سياسة الأمور الخارجية غاية القابلية ، فهو يتفعل فيها في كل شيء ، وقبل كل شيء ، وقد حافظ على السر مدة عشرين سنة ، من غير أن يكون مدفوعاً إلى ذلك بسائق الشعوب الإنساني ، ولا بسائق الخشية على شهرته ، ولكن ثقة منه بأن أوربية لا تقف متفرجة على ما يجر ، وأيديها مقلوبة إلى عقبها ، وكان راسخاً القدام في سماعته بحيث لا يفرط في شفقوسه حتى ينقطع ونوره إذا بلغ نهايته مداه .

ولم يكن في معالجة الأمور الخارجية يتجاوز الغرض في رسميته أو يرمي دونه ،
والتشؤون الداخلية تأتي عنده في الدرجة الثانية ، لأن عناية بالأولى يحملها في
في منزلة يقف دوماً كل فكر وجيد .

وكان يقول إن مصلحة نفسه بالاحتفاظ بالسيادة في الوقت الذي يريد جيرانها
أكدوا الحرب ، لأن ذلك ، أملاً ووعائاً خفية أو علنية لا تتحقق إلا بها ، ونحن نأبى
أن نجهد في إعطاء الاحترام التي نرانا حوائجنا ، بعد أن أصبحنا دولة عظيمة ، وذلك
أن لا نضع قوتنا في أيدي الأبطال ليجرب الشرف بالحادي ، ولا نطوّر دولة الألمانية
تستطيع بالسياسة التي تقيمها أن تعمل حقوق الدول الأخرى محترمة .. وهي لا
حاجة لها لنمو والتوسع أكثر مما هي عليه ، وفصاري ما اعتناه بعد أن وجدت البلاد
في داخلها وأمنت لها حدودها ، أن أجعل للدول العظمى تلقى بالسياسة الألمانية
وتمد عليها ، فهي بعد أن أرادت الحور الذي أصابها بشجيرة الأدها ، أصبحت
سلبية بدلة ، والمسائل الدولية التي لا تسوي إلا بالحرب بين الشعوب لأراها أكثر من
مسائل الشرف التي يمارز لأحدنا الطلبة في المدارس .

وكان يردد على آذان القريين معه بعد حرب السبعين ، انه اؤثر في قلب كل شيء ،
وأن قلبه لا يشتمل على شعور القومية الخاهلية العمياء ، ولا أي إن شبيهه هو الشعب
الذي احتار به حكم العالم ، وكان يستطيع أن يصير فرنسا ضربة ثانية سنة ١٨٧٥ ،
بعد أن هاجت فيها خواصف الانتقام والتهديد والوعيد ، ولكنه كان يرى ثأره
حرب كهنه الحرب على فرنسا ، قبل أن تنهض من غارتها وتنفذ ما أصابها ، ففسح
المجال لانتكارة حتى تبحث عن الإنسانية وتشد عزائمها وسيرة التي أصبحت تنسأل
إذا كان في وسعها أن تصبح أكثر من ذلك . وكان يقول عند اشتداد الأزمة في
البلقان أنه لا يريد أن يتدخل في شأنها ، لكن دولة يتصرف لها تنصرف فرنسا لمدونها ،
وهو يدفع الأمور بعضها ببعض ، ولا يشتر على الثانية أن تقوم بعمل من الأعمال في
البلقان . أدبس لها فيها ، كل حال في كاحته المشهورة - مصاحبة تعادل نظام
جندي من بومرانية .

وكان لا يريد اشتراك روسيا والنمسة . لأن ألمانيا لا تستطيع أن تبقى على الحياد ،
 أو الحياد يترك في قلب المغلوب نار الخقد والنفقة . وكل انه لا وافق ألمانيا أن
 يقضي على النمسة ، فإنه إذا قضى عليها تضاء إليها ألمانيا الشعوب الجرمنية . ولكن
 ماذا تصنع بالبحر والصفاية ؟ وكان يريد في مؤتمر برلين أن يكون وسيطاً شريفاً ،
 .. وهل يستطيع وسيط أن يكون شريفاً ؟ - وقد اتفق في هذا المؤتمر بخصمه
 غورشاكوف الروسي . ودرر في السياسة الألمانية الذي كان له المثلة
 الأولى في نفس بسمارك ، وكان يقول عنه : لقد شتمت عليه مرث وأثمت على
 مكنوت آخره ، فلما قفتم معه سبعة ، وفي ربيع سنة تعرف مداريدواخذ الذي
 لا يخطئه ، وكانت بين الرجلين صلة قديمة ، وقد تغيرت ملامح بسمارك ولكنه لم
 يزل على أسلوبه في المباحة والعمس والصرخة بالدهشة ، وأصوات المديف الذي
 يخرج من هذا الحب الضخم ، وتنبع درر إلى على رأسه بالأمر في أعمال
 المؤتمر ، وأبد بالمشكلات الخطيرة التي تختل منها أن تمت الحرب ، وسار استشار
 الألماني في أعمال مؤتمر برلين به الأحداث العسكرية .

وكانت قضية بشارية التي منحت لروسيا ودومروسة الشابة التي أقرعت
 من الفارسية ومنحت تعويضاً لرومانية من الفصائل الدقيقة التي سألها المؤتمر ، لأنها
 تتعلق بدولة أوربية كبرى : هي روسيا التي لا يريد بسمارك أن نهان كرامتها .

وقد ناشد برتيناو وزير رومانية المحسن الأوربي الكبير ، وأصبح الأعلام
 الذين كانوا يمثلون أمير فلور ، وسية ، وفيدرون عند سماع كل فرصة أن يظهروا ،
 ما اشتملوا عليه من نفس رقيقة وفلس كريم . ولكن حطبة برتيناو الجارية ومداحة
 الجيلة ، لم تجد مساعاً إلى قلوب مندوبي روسيا ، حتى أن بسمارك أصدر على إلقاء
 بشارية في حوزة روسيا ، وأمرت عن أملة بأن دولة الدنوب الناشئة ، لا تشكر
 صنيع روسيا بخواروتها على نيل استقلالها ، ثم قل : أن عمل المؤتمر لا يكون في
 رأيي وطيداً إذا بقيت فيه كرامة جريرة تشمر بها سياسة أمير فلورية عظيمة ، وهو
 كنت أحمل في جوانحي من المظف على رومانية ، التي يجلس على أريكتها ملك من

الأسيرة الامبرطورية الألمانية، لا يجوز أن أستوحى رأى في الامن دواعي المصلحة العامة، التي تستلزم ضمانات جديدة للامن في اوروبا. وقد شهدت رومانية كثيراً بانقراض بلادها وانقراض بشارية منها، والاصح بعد خدمات الجلي التي قام بها الجيش الروماني، بقيادة الجنرال كارول العسكري الجري. اليسارح، في شتاتر الروس ومساندتهم في البلقان، فكان يرى اهله في هذا العمل نكراً لاجبيل، وبقيت رومانية بعد ذلك وثيقة اخرى بدولة الاتحاد الثلاثي وخاصة بقلية، وامكن الاطلاع كبيرة الرنكيت سنة ١٩١٤. جعلت رومانية تنقلب على المانية وفعلاً العلاقات التي تربطها بها منذ سنين كثيرة.

ولشدة الخلاف حول نفسه بشارية بين درر ثيلي وعور شاكوف الذي ركب من المماند، كما ان درر ثيلي اسير على رأيه، وكتب لي تلكه فكتوري انه لا يخشى المافية، وقد طلع من يجب اطلاقه انه عزم على مفادرة المؤامر اذ لم يقبل آراء السكارة ووجوه اطرها، وقد اتجه في نظره الذي كانت حداً بيه، ووافقت بطرسبرغ على حفلة برطانية التي رسمها مما يطلق بمحدود تركية في اوروبا، وقد رفض هذه الحادثة قدر درر ثيلي في بين سميرت وقال عنه: لله دو هذا اليهودي الشيخ وله من ربح الا سمعاً صديقيين متوازيين بنودة من بطلين بالصناعة وبهوى احدهما لصاحبه فما يكن في صدره من آراء في الجردن والامراء والوراء، وكان سميرت يرى انه اعلى مكانة، لانه غير مفيد بشي، ولانه اكثر صراحة وأقل مبالاة، على حين ان درر ثيلي فيه نواح سميقة ومخامر ظاهرة، فتقبل مقائله بالوسائل التي تضعف فيها مقاومته، وسميرت يتامل مشتمل عليه النفوس من عجب وخيلاء، ويسره ان تقاوم بعضها مضاً وان يستمر ما فيها من ضعف وجزء، مادري ثيلي فانه يعجز المقاصد البعيدة ويدرك كثيها، وكان ذات مرة يتحدث بسميرت عن رأيه في المستعمرات ويرى من حسن السياسة ان يذكر له ما رسته ايها وكانت امامه اوجاين خارطة لامام فوضع درر ثيلي اصبه على البلقان فقال: لا استفد انه يوجد هنا مكان صالح للاستعمار، فظهر انيه بسميرت من غير ان يعجز جواباً، وكان بلذا بسميرت ان يغير المشاكل وان يقوم بتسويتها.

وقد استقبل فرانسى عند عودته من مؤتمر برلين هو وسليستوري استقبالاً لا نظير له ، فاطل على الجماهير المزدحمة وقال : لقد حملنا اليك على ما اظن السبل مقرونا بالشرف . وعندما اعلنت انكثرة انفاقيا مع ركية على احتلال قبرس . سكن الرأي العام المالح بسبب ما حررته روسية . وظلت التقاليد حية في بريطانيا كما قالت بومفريديس الدنيا الفرنسية في قلب امرأة ورجل دولة شيخ باحتلال هذا المكان المنيع .

اما مؤتمر برلين فقد وصف غايته اميل بدوي في كتاب بسمرك بقوله : انه كان برميء على الكذبة المشهورة في حماية النمساوى الى تحديد مناطق النفوذ للدول العظمى . وكان المفهوم المتفق ان الوسيط الشرف قد نعى عن روسية . وان بسمرك حذع وكلامه وقد اوردت في برلين الى مقاومة روسية والاعتصاب عليها — هذا المؤتمر الذي يدر القلاق في البلدان وروع الخلاف بين الدول غير ان هم بسمرك كان في الحدود القائمة بينه وبين فرنسا ، لا في الاعطورية التركية ، هناك ثم هناك تعمل سياسته ، وهو يسعى للحفاظ على التلائق الحسن بين المانية وبين عدوها ومنافستها ، بل انه يرى اكثر من ذلك اذا اشبكت حرب ثمانية بين المانية وفرنسة وانصرفت الاولى ، سيكون عدلاً متسامحاً يعاملها كعامل الخمسة سنة ١٨٩٦ ، إذ لا سبيل الى القضاء على اربعين مليون اوروبي اولى مدينة وحضارة وثقة بانفسهم ، وقد عجزت ثلاث امبرطوريات عن القضاء على بولونية مدة ثلاثة عصور ، فكيف بفرنسة التي لا تقاس بها وهي تقاوم المانية وحدها .

٦ — بسمرك والمحالفات الدولية

امواليق السياسية مختلفة

حاول بسمرك محاولات عديدة ان يتقرب من انكثرة وان يتحالف وايها . وكان ذلك غاية ما يتمناه . حتى انه قال : ان له هوى في انكثرة ، ولكن الانكليز لا يريدون ان يحبهم الاثان . ولم يكن بسمرك يعتقد ان مستقبل المانية في البحر .

ولا يريد أن يحاصر الإنكليز ويمنحهم في السياسة الاستعمارية التي يقضي بها وضعهم الخطر في ، وكانت مقدمة سياسته الأكثرية ، تلميذ ثانية من الأراضي ، والاستكثار مما يريد في أمانيها وطموحاتها ، ولكن التحالف الذي رده واقم عليه البراهين لا يمنع منه غايته ولم يوفق سلسلوري عليه ، وكان يخرج بأنه لا يجوز لانكثرة ان تكون حالاً دون آخر ، ثانية بمعنى استعمرت ، لا شيء وان الدولتين في تحالف ، وإنما تم استيطان شاذة على السلام وتعدان الاحطار عنه .

وكانت مساوي سمر قد حفت في أحداث نكدة الى ثانية ، فلما كانت السمر في كبح في العقود التي برمتها مع النمسة وروسية ، وكانت الثانية تدير في سياستها بين الدولتين على مراح مختلف باختلاف الحوادث ومقتضياتها ، وكانت روسية تشجع النمسة حياداً ونشاطاً بسمر ، حياداً ، على أن وزيرها غورشا كوف تمكن رغبة عن السياسة البريطانية ، التي كان يحافظوها بروا رأيا في القضية الإيطالية ثم يأتي الحرب بعد فيرون روبرتس ، وكان يقابل من أي نكثرة من هاتين الدولتين ، يجب أن تقبل مبادئها ، وإذا كان الآن وافق على سياسة اللورد رسل في إيطاليا قد أصبح ادخلتها حكومة محافظة ، كانت سياسة غورشا كوف تؤزن حياداً سبعة سمر ، وهو رجل دولة مدكور ، ولكن فيه نوعي هدف لبعض من شأنه ، فقد كان يفرط بالاهتمام بنفسه ، وكان غرور دافعاً مشهوراً ، وفرا اعتماد من ذلك صدقة ومناصب سمر ، ولكن آثار حفيظته في مؤتمر برلين بحرمان روسية من جميع المزايا التي نالتها في معاهدة سال استفا ، فوضع اسمي التقارب بين روسية والدول القريبة ، برغم اهتمام سمر بأن يحمل روسية تحافة لثانية ، وبرغم النكابة التي مارج شجع بها عند القصر وحاشيته .

وفد سملت مركزاً سادود الحراج دولة النمسة من ثانية ، ووحدت سياستها نحو الشرق والغرب ، فارتكبت بذلك العلائق التي كانت قضية عليها ، وفي مقدمة هذه العلائق العهد الذي وضع سنة ١٨٦٧ ، وحمل الشبهين الألماني والهنغاري يسودان النمسة ، مع معاملة متفاوتة بعض المنابر الصقلية الأخرى ، وكان تأثير

رجل الدولة الهنغاريين عطيا في هذا الاتجاه حتى تحتفلوا بالامتيازات التي اقترعوها من النمسة ، وبحلولها دون عودتها الى صيغة المائنة بحثة ، كانوا يستثمرون الحقد الذي يحمله على روسية بد انكسارها في سادوف .

وكانت اسباب الافتراق بين روسية والنمسة كثيرة ، فلاولى لانطبق الثانية وخاصة بسبب بولونية والكثلكة والخامسة الصغائية وقصار الملقان ، ومع ذلك فون كان يحجم عن الاتحاق معها ثلثين . ثورن ، ما التحالف الذي كان مريما عقد بين الامبراطرة الثلاثة سنة ١٨٧٣ ، فقد كانت ترى روسية في هذه النمسة منه الكثير من الجميع ، لان قيامها المردد يكون مصحوبا به ، ولكن تعاقب . شاكلي في التبرير كان عقبة في سبيل هذا التحالف ، وقد تردد بسمرك في اختيار النمسة برغم معارضة الامبراطور غليوك ، وقد سار في حقة الاتحاق معها ، فمما كان لاسباب النمسية واخرى سياسية ، اما لاسباب النمسية فمحصومته ثورنشا كوف ، ورؤية الاملاذ الالمانية الجنوبية التي همت لهذا الاتفاق واقدمته ، فبولون حسن ، واما لاسباب السياسية فقد كانت عنها في ذلك الوقت قلة ، لقد انصرفت في الحرب بين دولتين عظميتين في اوروبا ، يدعي ان نفسي على الاقل احدى الدولتين عن الاتحاق بسواهما حتى تنتقم ، وتذكر ، لا يستطيع التوجه رغبتنا نحو فرنسا ، فكل من عرف الشعب العالي وسفاته لا يرى فائدة في ذلك ، ثم ان الاتحاق مع النمسة التي هي اضعف من روسية يجعل امانية تسبيل عابرا ، وهذا ما ترفضه روسية بل لا يمكن انعمده فيها ، وقد كان بسمرك في هذا الاتفاق اكثر تسامحا مع الفريق النمسي ، ودخل فيه معرفة الاولى شروطا تتعلق بان تدافع امانية عن النمسة من غير ان تعاهد النمسة على مثل ذلك مما يتعلق بالانوار ، ولا تترك المانية السياسية متساوية بين الفريقين .

وقد اثار بسمرك في هذه المظاهرة غضب روسية وجرم النفوس في فرنسا وحينئذ آمالها في الخامس الحار ، وفي ثنائي سبين بداوى الشر الذي يمتد من مرقده ، ويتقرب من روسية لانه تغلبى حاربها اذا كان طلب الحلاف ، ويعتقد ان نتائج الحرب الخطيرة هي اعظم من النصر حتى اذا كانت امانية منتصرة ، على ان

احتداد بسمرك للنمسة كان موقفاً حاسماً . بها كانت التقلبات التي جرت من بعده . ولم يكن امام بسمرك مجال للاختيار بعد ان اقصى روسية وحاول عبثاً ان يتقرب من انكلترة . على انه استفاد من هذا الانقاف في يادى بعده . فالتفق انكلترة مع فرنسا ولا تهازلت مع روسية .

وعندما كانت السياسة الفرنسية ترمى بصورها نحو روسية كانت التحالفات المنقودة سنة ١٨٧٩ بين النمسة والمانية ، موحياً في يادى . الأمر الى روسية ثم الى فرنسا . وكان من الناحية العسكرية صماماً للدواتين ، ومن الناحية السياسية مؤشراً لنتائج الانتصار الألماني سنة ١٨٧١ . وكان بسمرك يريد ضم إيطاليا الى التحالف ولكن بامتنان واردرار . وبدل على ذلك ما كتبه من ان الإيطاليين كالفرنسيين الذين يهوءون في ساحات الوغى ليقوموا على اشغال القتلى . وببعضهم الإيطالية سنة ١٨٨٢ أصبحت الامبرطورية الألمانية على رأس تحالف شعاعه تمتد من بحر الشمال الى البحر الابيض وبسبيل في اوروبا الوسطى . وكانت إيطاليا رابعة في التحالف لتأمين بذلك الحلف مع النمسة . وكانت أيضاً علاقتها غير متينة مع فرنسا . وقد ساعدت قضية تونس على توثيق العرى بينها وبين المانية . وكانت الإيطالية حريصة على دخول بريطانيا في التحالف كي تعلم ان على شوخطها في البحر المتوسط اذا وقعت حرب . وكان بسمرك يطمح بالتقرب من انكلترة عن طريق إيطاليا . وكان الحلف بينها وبين النمسة لا يمكن ان يقطع . ولم يكن يحزن انها لن تجد حامية لها بابة معونة . حتى ان رجالاً في النمسة كانوا يصفون بعض هذا التحالف مع الإيطالية . وقد اشتد الزعاج حينما ألحقت النمسة النمسة والنمسة والنمسة . وعمدت على تثبيت اقدامها في البلقان ، حيث وقعت الماسر السفلية أيضاً في وجعها ومدتها من طريق سلاويك . وكان بوسنها اجتناب الاحطار التي تهددها من العفانية لوانها نشأت سنة ١٨٦٧ دولة ثلاثية . ولكن الذي كانت تحسها في هذا التاريخ اصبحت مستحيلة سنة ١٩١٤ . وظلت ايطالية تتقارب في سياستها من انكلترة وفرنسا . ويرغب وجودها في التحالف الثلاثي التي كان يماها فيها فيه .

ومع ان بسمرك كان يجد في توثيق عري هذا الخطاف ، فربكن يغفل امر روسية كما عمل باتفاق الامبراطرة الثلاثة ، ويتناق الصيانة المتبادلة ، وفي انباء هذه المحاولات وافق روسية على مهاجمة البسفور والزعيم من بلغارية ، على ان تحافظ على حيادها اذا نشبت حرب بين المانية وبين فرنسا ، اما ما يتعلق بالنمسة ، فقد وعدت المانية بالمحافظة على التوازن في المغان ، واداك كانت النمسة ممتدة فنت المانية لا تحرب سا كنأ ولا تيدي حرا كا . وهذا الاسلوب في وصف حرب الدفع وحرب الهجوم الذي يسكد يكون في جميع المعاهدات السرية لافانته منه اذ ، لأن تبين السدي وتحدد الاعتداء من الامور التي لا يمكن انقرا كيا .

وقد سيق بسمرك للدفع عصب النمسة بقوله : اظن ان الامبرطور رضى بالمرط الذي وصمته ، واداحدعت وم يكن راضيا ، فمن عدم انقاع امبرطور النمسة اقل حطرا من عدم انه المقيصر الروسي ، وفضلا عن ذلك والعلاق بيننا وبين النمسة تبلى من المكنة والقوة مالا يترزل ربية ملك شمس ، وما من سرور بلحقنا اذا اشاعت روسية الامر ، على اني لا اكره ذلك ، ولا ظن في هذا ما به امبرطور النمسة ، ونحن انما نريد ان نتخلص من الاتفاق الفردي الروسي لمدة ثلاث سنين .

وكان بسمرك استادا في هذه الطريقة التكيفية ، وقد افسى في هذه المعاهدة اربعة احطار : فشغل روسية بالمشاطعية عن الحدود الانمانية ، وحجب النمسة المغامرات البلقانية ، وفصل فرنسا عن روسية ، وجعل انكارة خفة زبدان تقرب من المانية ، اما الشعوب فكانت في هذه الالية كحجارة وقعة الشطرنج .

والكن التوسع الاوربي الذي نشأ من انتصار المانية ، وسياسة مدشارها وخفاطة في عقد المحافاة ، حمفت فرنسا على البحث عن حلفاء يستعين بهم . كما كانت في الماضي تحالف تركية والسويد وبولونية وروسية لانقاء خطر الامبرطورية الحربية ، حتى ان بطرس الاكبر ساء زار فرنسا وعرض على فليب دورنان ان يقام بابعاء الملك التحالف مع روسية ، وقلته في اقوى كيمقاء بولونية وتركية والسويد ، وبعد عصر ونصف من هذا التاريخ ، وعلى اثر حرب القرم قل بسمرك : ان التحالف بين

روسية وفرنسية ناشى عن ضيقة الاشياء ، وحقاً اننا نحالفها هو من عوامل التوازن في اوروبا ومن اسباب اطمئنان للدولتين .

ولا حل عقد هذا التحالف تحتم على الروس والفرنسيين ان يأتوا من بعيد ويلتقي بعضهم ببعض ، وورثين روحاً سياسية المتخالفين في فرنسا بعد سنة ١٨١٥ مانحونهم من التحالف مع روسية ، حتى ان شارل العاشر الذي اعترضت انكثارة طريقه وعارضته في حلال اضراره ، استعان بروسية حتى تغلب على معارضة انكثارة ونهيددها ، وكان للاتفاق طلب من الحكومة الفرنسية ان لا تحتفظ بالاراضي الافريقية التي احتلتها ، ورفض نوليبيات ان يحد على شاقفه التي عهد بذلك ، وفي ٢٠ تموز سنة ١٨٣٠ اعادت فرنسا قراره ، يخص هذا الفتح نهائياً ، ولم يكتف شارل العاشر بمذكرة الحكومة البريطانية بل ردّها اليها ، وكتب في حاشيتها : مذاعياً عندما من ففتح الجزائر بشى معروفه فرنسا ، والتي لا تستشير غير مصالحها في امر الاحتفاظ بهذا الفتح ، وناهدت بغير انكثارة اللورد ستوارت وزير البحرية في فرنسا ، اجابه بذهب : ان فرنسا لا تهتم بانكثارة ، وهي ستعمل ما يريد بدون ان تعنى معارضة او مراقبة ، وكانت شكوى انكثارة من ذلك العهد شديدة فقد سبب لها في سنة من المشكلات ما تسميه فرنسا الجمهورية والفرنسية الامبرورية ، حتى قل ولاتفين عن نوليبيات : فربطى اليه وحل صادق الطولية ، ولكي اراه من احبش الرخاى واكثره مكرراً .

ثم روسية التي اعتمدت اليها السياسة الفرنسية بمقاومة انكثارة فقد كانت نابليون الثالث مخططاً في احتلاله عدداً في حرب افريم ونوليبيات ، ولم تجد روسية بعد ذلك في انكسار فرنسا في حرب السبعين الا وسيلة التعديل بعض شروط معاهدة باريس ، فغلبت روسية في تشرين الاول سنة ١٨٧١ ، ثم انقبضت لا ترى انه مقيد بالشروط التي مايتعديه سنة ١٨٥٦ ، وحددت حقوقي سيادته في البحر الاسود ، وهو لا يقبل ان تكون سلطنة روسية مرتبطة بمر موهوم ، فارتبت على امتحان الرمان ، فجاب انكثارة انه لا يستطيع دولة ان تحمل نفسها بحل وحدها من شروط

معاهدة ، بدون ان تسال موافقة موقعها . وقد استشارت حكومة بريطانيا سمرقند
فاجاب بتسوية الخلاف في مؤتمر ، وقيمت روسية ابداً القتال بأنه لا يجوز ان تنقض
المعاهدة من جانبها فقط ، غير ان هذا التنازل يمكن الاظهاراً ، لأن مؤتمر لندره
التي التهود التي كانت تعيد حرية روسية في البحر الأسود .

ولم يستطع نيجر ان يطفر عن روسية بخلاف او عزم ، وظل عورشا كوفوا انفا
بروسية الى ان عقد مؤتمر راين . وميثاق الامبراطرة الثلاثة الذي كانوا يسمون له في المانية
لم يكن الا ليرد في عزلة فرنسا العظمى التي يقرب وحدها في اوروبا ليس فاما تعتمد عليه
غير فورها وقد كانت ظروف كثيرة تحول دون خروج فرنسا من هذه الازمة ، وأن
تؤمل الاتفاق مع روسية ، كاختلاف النظمه حكم في الاتجاه الحربي في السياسة الفرنسية
والعقبات على احرار الروس ، على ان مصالح الفرنسيين كانت تدعمها بعضها البعض .
وقد حال سمرقند دون اتفاق للدولتين بوضع عقود التصديق مع روسية ، ولكن
المسيو دو فلوران وزير خارجية فرنسا سنة ١٨٨٦ : واحد يستفيد من تطور
الحوادث في الشرق لتقريب بين روسية وفرنسا وتعاونها ، وقد احتاجت روسية
الى امان في حدث عند اقترابهم من احدى مداخلها ما حدها تعرف لهم بالتحليل ، واحد
التقريب رد ادعى حرجات الدولتان عن نزاهة ، غامضا على حدود التوازن في اوروبا
فسيح هناك التحالف الثلاثي بقاءه التحالف الثنائي ، حتى أثبت الكوناق وبنت
قبل سنة ١٩٠٥ بعد حرب اليابان والروس ، عن ميثاق ١٨٩١ معقود بين فرنسا
وروسية ، ان روح العلاقات بين فرنسا وروسية متغير ، ويتيق التحالف مطلقاً
على مصلحة الشعبين ، ولا يتغير فيه شيء . ولا يجوز ان يتغير شيء .

واذا كان التحالف بين فرنسا وروسية بعد من طبيعة الاشياء ، فإنه لا يمكن
اتفاق غير مستطير ، كالاتفاق الودي الذي تم سنة ١٩٠٥ ووضع حداً للمصالح ابوروث
بين الدولتين . وفي سنة ١٨٠٩ حرب الشعب الاسكندري عجلة انكولون نورستون
حاجب القنصل الاول اندي هذه المعاهدة السرية ، ومصادات بقبيل سارت انكفارة
حرب نابليون حتي قصت عليه في وارو ، وعندما ذهب المرشال سوات الى انكلترة

سنة ١٨٣٨ الاحتفال بتوقيع الملكة فيكتوريا لتقبله الشعب الانكليزي بحماسة زائلة ، ولكن سنة ١٨٤٠ كانت الحرب على الاوت بين الدولتين ، وفي عهد نابليون الثالث كانت فيكتوريا تعرض على فرنسا تحريفاً شديداً ، وقد كتب البر-ورل في جريدة الطان سنة ١٩٠٣ ، انه يمكن ان توضع بين انكلترة وفرنسا - وقد وضعت عهد براد منرا المحافظة على النظام المكان ، ولكن انكلترة ما كانت ابداً وان تكون ابداً خليفة لفرنسا ما لم تعدل هذه عن سياسة التوسع وسط السلطان ، وذكر اللورد شلم مثل ذلك قبل عصر فقال : ان الشيء الوحيد الذي يخشاه انكلترة في هذا العالم هو ان تصبح فرنسا دولة بحرية استعمارية تجارية ، ومنذ سقوط آل ستوارت فان الحرب كانت القاعدة للملاقاة الفرنسية الانكليزية ... وقد تعطلت هذه الحروب لمقصير الاحل ، وهذا المراقصير نفسه كان حذرا بالشواذ والريبة كما هي القاعدة النبعة في الماضي ، لأن انكلترة كانت ترى فرنسا اشد اعدائها مراساً في اوروبا وفي خارج اوروبا ، وفي تدافع بينهما من انصارها ، وتقاتل دول سيادتها البحرية التي هي شرط بقائها ، وفي القرن الثامن عشر كذلك فل دونه الذي هو من اشير كتاب هذا العصر السياسي : لقد اتخذت انكلترة لنفسها سلاحاً لتتبع حلفاء و - ستمتلاخ للاحمال ، ووقوف على كل حركة من حركتنا حتى لا تأخر في دفعها ، وهذا ما فعلته معاهدات مزروحة بالترقيع والكبرياء ، ومظاهر مزروحة التهديد والوعيد .

وهذا الشعور هو الذي جعل انكلترة تقرر ابداً انقاضي بان يكون اسطولها اكبر من اسطول دوتين عثمانيين من كبر دول اوروبا البحرية ، ولكنها وجدت انه لا مناس لها من الاستعداد بفرنسا في القرن التاسع عشر ، من غير ان تنسك عن اقامة السفنات في سبيل التوسع الفرنسي ، حتى ان قنصاتها في مختلف البلدان الافريقية كانوا يحرسون مسلحين على مرسة كما فعلت البنية في مراكش سنة ١٩٠٥ ، وقد نشطت انكلترة فرنسا في مؤتمر : لين على احتلال تونس لتجعلها على التسليم باحتلال قبرص ، وحدثت السياسة الانكليزية تضاعف جهودها لتقيم العقبات

في سبيل فرنسا ، فأكثرت لسلطان عدم رحابها ، ورفضت ما طلبه الباي من معونتها . ولكن أعلنت نفسها الآن فرنسا ، ثارت المسألة الشرقية وبمقتضاها من مرقدها لخدمة مصالحها ، مما أصبح النصر مقفودا للجيوش الفرنسية حتى استولى "الخطأ على الصحافة الانكليزية ، واحتج بهير انكلترا في ١٢ مارس سنة ١٨٨١ على احتمال جعل بزرته قلعة محصنة . وبلغ الخلاف أشده في قضية مصر . منذ فتح قناة السويس تضاعفت مكانة طريق الهند في نظر انكلترا ، واشترى برزائلي سنة ١٨٧٩ اسم الخديوي في القضاة وارتكبت فرنسا - على قول النسيونارديو - الخطأ السياسي في جعل انكلترا وحدها في وادي النيل .

ثم هي أدان على الزعم من كل ذلك بوجع الاتفاق الودي ، انه ليس في انكلترا ولا في فرنسا بحث عن اسباب هذا الاتفاق والسراره ، بل في المانية التي حملت انكلترا ملكها وحكومتها وشعبها ، على التقرب من فرنسا . لأن العشرين سنة التي مرت على الامبرطورية ، اقبلت للعلائق بينها وبين انكلترا مظاهر العناية والمعاملة ، وكان بحرارة بخادر في سياسته ان يثير مخاوف وزارة خارجية البريطانية في حال من الاحوال ، وقد عقدت بين الدولتين موائيق جديدة ، ولكن عندما همت المانية ان تسيطر السفن في البحار ، وادركت في سنين قلائل عية بعيدة ، بدأت المخاوف في انكلترا وانجذرت إلى الاتفاق مع فرنسا مقاومة السياسة المانية والتجارة المانية ودفع الاحطار التي يحمون وفوقها .

وبعد مفاوضات في لندن وفي باريس ، عقد الاتفاق بين انكلترا وفرنسا في نيسان سنة ١٩٠٤ ، وكان لتوقيعه اثر بعيد في اوروبا ، وقد عدت نجاحا لا يقدر لسياسة البريطانية التي اطاعت الى ان فرنسا لا تعترف بسيادتها في مصر ، كما ان انكلترا تطلق يدها في مراكش بعد ان كانت متعاسة لها ، وتعاهد الفريقان على تبادل المعونة السياسية لا يحتاج ما نقفا عليه .

وبانتهاء التنافس الاستعماري بين الدولتين ادخلت لندن وباريس عنصرأ جديدا في السياسة الاوروبية ، فتحررتا بصورة متعاقبة من محاور التي دامت امدأ

طويلاً ووجهنا قوامه شطراً آخر : وقد تبادلنا صحيان حرية العمل اثنينا لهذا
العربي اودنا ، وخاصة لاجل فرنسا التي لم تستطع ان تحول دون مغامرة روسية
في مشورية ، وكانت عاقبتها انتصار اليابان عليها ، وقد سبق الاتفاق الودي اتفاق
بين ايطالية وفرنسا ، واتفاق بين اسبانية وفرنسا فاصبحت الجمهورية الفرنسية
قلة نظار رجع السياسة ، ومالت سلطة امنية كبرى ، اذا كانت تسبب لها بعض
المشاكل وقد كانت تهيئها على حلها .

فالظروف من المانية هو الذي قد الى الانقراض اثنى ، والاعلاط المانية هي التي
مزلته وفوته ، وذات التجارب على الاسامة فيه يومئذ من وجهة الدفع الخطا
ومن وجهة الزراعة السياسية ، ومن كان القاية به عند عطفه الاسامية عبراته بسرعة
خارفة اصبحت نتائجها حامية ، وكانت المتكثرة تربت دائماً ان تكون لها حليفة في
اوربة تباررها في الشدائد ، واستمرت على ذات في القرن الثامن عشر والقرن التاسع
عشر ، حتى قبل انما تدخ الآخرين يقتضون ، ولا بد من في الصف الا في الساعة
الاحيرة فليس الفرنسي ذو قيمة عظيمة اذا عدت المتكثرة في حرب ، وما ابطأ
الزمان ان اثبت ذلك سنة ١٩١٦ .

اما المانية فقد كانت تفتت - كما قال الفرنسي دو بيلوف - الى سياسة المنضبط
في انواعه المختلفة احرقة كل عمل تجري ادونها - وهي كالاغصان الذين ثمرها كثيراً
وبرعوا كثيراً كانت تضع في اللعب جميع وسائلها وتهدد عندما يكون الزمن مساعفا لها
وتلزم حاسب المدد اذا كانت الامور غير مساعة ، وكانت تكلم عن الحرب من غير ان
تعلمها وعن المارود انما شفت والسيف المشهود طالما كانت تؤمن ان يبلع غلبتها
بالطرق السخيفة .

وفي اثنا الحرب الروسية اليابانية وتداول اروس كانت المانية تجددها فلها يوماً
الز يوم بعد استسلام ورترا سنة ١٩٠٥ ، احتج قائم دعوى المانية في مراكش
على الاتفاق الانكليزي الفرنسي على حين ان الجرس دي يلف سفل له ان اعلن
انه ليس لديه ما يعرض عليه من وجهة المساعدة الالمانية ، وبعد ان قتلت الجيوش

الروسية في مكدون اعطى بلفيوم الثاني سفره الى طنجة . واشتد الخلاف حول
مها كس وانتهى الامر باستقالة ذلك منه على اثره بعد نهاية عام كان مؤثرا لحرارة
الذي اراوت المانية ان ثبت فيه ان الاتفاق الانكليزي الفرنسي غفم لاشان له . وفي
اواول المانية ان تعرض عليه ، وفي سنة ١٩١١ اناوت المانية قضية مر كس مرة
اخرى ففاوضتها فرنسا وشاركت لها من جزر من الكونغو .

وبرغم هذا المخطط المستمر ، وبرغم النتائج السيئة التي احرزها ، فقد بقي
الاتفاق بين فرنسا وروسية وبين فرنسا وانكلترا بمثابة حلقة ردة وبعد عام ١٩١١ .
بل ان المخطط الا . اني كان يحمل لقاوور الحوادث مقاربا ما بين المانية في هذا
الاتفاقين السابقين ، وقد سميت الملائق المانية بين فرنسا وانكلترا المقارب الروسي
الانكليزي سنة ١٩٠٧ الذي كان من شأنه تأسيس التوازن على قواعد ثابتة في
اوربا ، وبعد الاتفاق في الشرق الاقصى بين انكلترا واليابان وروسية ومعاملة على
سياسة الاراضي الصينية وسلامتها ومعاملة استقلالها .

وكان اتفاق الانكليزي الفرنسي احدى الوسائل التي استخدمتها بسمرك
في سياسته الخارجية التي كان يقاوم بها فرنسا ، ومخططه الذي تبنى في سبيل حل
اوربا على الالهم بمصير الامم ، ولكن الخشية العنصر التي انارتها المانية سموها
وعظمها حوت ، شافعي بمقاربين وممكن لاتفاق اودي في يد . مرة مهاد ، لا احد
وكن الخلفات التي انزل بعضها موهب . ممدات التاريخ للوقوف في وجه مانية
وتأييد تجربة الاورم . فقلت الى سررة شديدة لظلم الذي فقه بسمركه والسبب
التي حول علوم ان يسقطها ، وذلك بماهدة الجزيرة والاحداث التي انبأ على سمها .

٦ استقالة بسمرك وسياسته التقليدية

في سنة ١٨٨٩ تلك السنة الصعبة كان بسمرك يتارع مع الان بروسية وانعسة .
فلا يبرح حريصا على محافظة التوازن الذي هو مبدأه القديم ، وكان يقول في حظة
له : ينبغي ان تكون اقوياء عن يدي من الوسائل ما يجعل قوتنا فوق كل قوة ، ولا

يوجد شعب مثل شعبنا معرضاً لخطر التحالف عليه ، ويمكن ان نهاجهم من جهات ثلاث ، فليتنا نحن الانان جميعاً ان نتعاون وان لا يقبل بعضنا الافتراق عن بعض ، والخرافة هي من خصائص جميع الشعوب المتعدنية ، فلروس وافرنسيون يقاتلون الانان ، ونحن مهددون من قبل الغربية ، فيجب ان نتبع وسائلنا العسكرية القابضة التي يصبح بها خدمتنا مداً . ومع ذلك فان بسمرك كان يظهر ميله لروس لان الماهدة تنتهي في السنة القادمة ، وعند البحث في تحديد ما يستلزم امور كثيرة ، اما الامرطور عليوم الثاني الذي تسم غرب العرش حديثاً ، عنه كان يفصل على حائط بسمرك المعقدة والسياسية المتعقدة حصة ثابتة سهلة ، وكانت مظهره تيمت على العظم بانريد الخرسو برسي في رئاسة الروس ، وفدائرو الذي افاضل بيده وبين القيصر .

وبما انشد اخفاء بين الامرطور والاممشار وان تجديد الماهدة ، ارسل القيصر رسولا الى ثمانية رجال ينظر غش في التجديد ، يؤكدهم بيسمرك واعطاه عليه ، ولا سمركه ما تعري عقديهم وبين فرسه . وكان هذا مديني له بسمرك منذ سنة وان كان الخصومة كانت قد بلغت حده بين الامرطور ، وبعد ان رفض الاستقالة اراد بسمرك ان يحل الامرطور بجهة ميمنه ، فرسل اليه احمر كتاب استقالته الرابع الذي قل به .

ما كان احمر في خدمة بيسمرك الثالث وفي خدمة حلالكم . وما كانت الطريقة التي سرت عليها وتموت ممارسة الاعمال فيها ، قد طاشت حتى الآن من الممكن انتارة عليها ، فانه نرى على ان تعجب الامور التي الفت مشاركه حلالكم بتمدها ، وكذلك ان اتضح عن السياسة العامة التي تخص الامرطوريه وروسية ، ولكنني بعد ان تبيت مقاسد حلالكم التي كان يتبعها على ان تبت ايها الما بقيت في عني ، فاستطاع الا ان تقدم بخصوص حلالكم حتى توسع متغصاة بقبول استقالي من منصب مستشار الامرطوريه ورئيس مجلس الوزراء فيروسية ووزير الخارجية ... واظن اني استطاع طلب السج لي بان امرس ياتي احقق بذلك رغبات حلالكم وبانكم تراحمون الى تقديمها ، وقد كنت اسود نفسي ان اقوم بذلك منذ زمن بعيد لولا

انني كنت اقدر ان جلاسيكم لا يريد الاستغناء عن تجربة خادم امين آباءكم من قبل
وعمالكم من خبرة ، ولما تأكدت به ليس لكم بذلك حاجة ، اقدمت على اغترال
الحياة السياسية بدون ان احبب انتقاد الرأي العام لهذه الممارسة ، وعدم ايها
عملاً قبل اوانه .

ولم تنقض ايام ثلاثة حتى هذه حلها ، بسمرك وحسنه ، الاتفاق الروسي الذي
كان ناحية كبرى من منابه الضخم ، وقد نصبت روسية الى سنة ١٨٩٠ بمحاولة
على حياة موافق ، ولكن لم تات سنة ١٨٩٦ حتى كانت فرنسا تحتفل في صحتها
بالفهرز الروسي ، واخذ الرجال الروسيون يهتمون سياسة بسمرك بالماضي
التي قادت الى هذه النتيجة ، مداع ينادوا قال فيه : ان روسية كانت متعربة لمقد
الاتفاق وان كان قد ساءها بعد بسمرك عن ميدان السياسة ، وقد حال «كارفي»
دون تحقيق ذلك ، وكان اتفاقاً مع فرنسا .

وبعد اغترال بسمرك وافصائه ، سأل أحد احصائه عن رأيه في اليوم الثاني ،
فصمت هدية كأنه كان في نزاع مع نفسه ، ثم نطق قليلاً ، وقال الاهد
الكلمات ولكن بخلاف وحرارة : انشرب على ذكر «لامرطور» الشيخ ، وهو الذي
كان سيداً كريماً ، وما كان ابشع مطلقاً ابشع في خاطره ، بان احداً يريد ان يخطأ
من ساعلة آجه ، فقد كنا جميعاً عماله ، وهو في الذروة الرفيعة ، تحالفوا في الجميع ، ولولا
يكن كدمات في عماله وشؤونه ، لانساع من حوله من اولى الشرف ، كان «طير
الينا من عل ، فيقتبط ويتزوج ، ذا واحد خدم له مثلي قدماح عظيم الخاطر .

ولا يكن بسمرك ليخفي وفداث عيضة عند سروج كل فرسة يقول : نجوان
تكلم ، ان هذا الصمت طمأنينة ، ولوطن سائر مرشد السياسة الى التمار الخوف .
ويقول : قد يريد انه مرة اخرى ان تنفذ الثانية وان يصيرها الضعف والوهن .
والكراقة تنهض بعد ذلك من عثارها وتسير في مد عب الخد ، وستكون لجمهورية
اساس الحيد الجديد ، وقد اساق الى ذلك احد المنافدين قوله : نعم لقد
عانت الثانية بعد ان تعي عنها النون والامراء في ساعة الخطر ، وقد كان الشعب

الذي لا يقدره بسعة حتى فخره لاني ساعة لاحيرة ، محمد اعظم ووحدة الكبرى ،
وكان يقول : لقد تبع مدسة ١٨٤٧ ميلادي الملكي رفقة عياكي وفع اللواء عبر
في راسه موكا الالة في حلقه امارية ، وانه انك رؤيتي لهم كرايتهم اني في تقديري
لهؤلاء الرجال اعظمه ، وان قلت ذلك الى الناس كله انكون قد خالفت المبدأ ،
وانما كنت حوق وحيد اوفت صده ، انكون قد عدت عن الحق الى الباطل ،
ويقول : لقد كانت حودي كلها مصرفة تمر في الشهور الملكي في الشعب ، وقد
احتفل في قيا قصور وفي المجمع وسمية يوان في تقديري ، وكان الشعب يريد ان يرفي ،
اما الآن فاشعب هو الذي يهتف في الآخرون يتجاهوني وتعدروني ، فلم اعتقد ان
قد يجادني هذه القدر ، ويقول : بعد ما دعو من كان الفطار من الحما على ، ولم يسمع
الجمعي في لاجري صار حفة به من بلاد في يخرج من يدري ، يرى ان المانية تدي ،

اما عليه الثاني الذي حور سحره على الاستقالة ، بعد كتب منه في الفصل
الاول من مدكراته التي نشرها بعد الحرب قائلا : ان عظمة العرس بسحر
السياسة والخدمات اياه ذكرها في ادائها جوسية والانية ، هي من الاحداث
انما حجة العظمة بحيث لا يوجد من مني في فة كان يتابع ان يتبادل فيها وهذا
اسبب وحده تحمل الادعاء بركاري حصرية حصرية حصرية ، وفي بعد
ذلك كتب اياه فلسه ، ويكي ان بعد ذكر ان خبر الذي شئت فيه كان مؤثرا بسحر
هذا الرجل الذي سس الامم صورية ، وكان في حدي وفعده رجله ، بعد
كنا حمة ، يعتقد به حمة رجول للدولة في حمة وفاحر به ، اني ، فكان بسحر
الون المقدس في عيني ، ولكن حمة من حمة وعظمه ، وهم يتأثرون
بأطرافه التي يتبعها الآخرون ، فمن احمل ان يترك من حمة اساية ، ان العرس
بسحره ، سائق احد وثق كسر بصريات شديدة اوقى الذي اتحدث عنه ، ولكن
احلاني بسحره ، رجول الدولة العظمى اجعلت لي مقص .

وذكر عليه ، كيف ان حمة ، كان ذات مرة يتأطى عظماء من بعض اعمال بسحر
المنافسة رايه ، فقال له رئيس دواته العسكرية : ان كان الامر كذلك على

الامير بطور ان يحرقه عن حدة مفاجئة لامر بطور : وهو نعم : فاجابه وسكر به بشار
العظيم . قد فكر بالافتراق عنه لان ثلثت الجرس هو في القاب لا يضاف ، غير ان
الامير بطور واولاد هما حاجة اليه . واضاف الى ذلك قائلا : ان الجرس هو رجل
الوحيد الذي يستطيع ان يات بعمس كبير ، تثبي من في الحو ، اما ان الامير بطور
ولا اقوى على مثل ذلك .

وقال عليهم اثنائي في هذا الفصل بعد ، انه عندما كان من بروسية كانت
كثيرا ما يهتفون في نفسه : ان حون بعيس استشار العظم . هذا طويلا ، وفي الشهر
بالعلمانية اذا ملكت وهو ممي على رأس الحرك . ولكن المعنى له يمكن ان يحيا
عندما يصعد امير بطور اني ستجبان تحول الجرس وحفظه السياسية ، اني
كنت اذهب من الاسلحة .

غير ان الاحبال التي كانت استقالة استشاره وشهدت عواقب السامع التي صار
عليها غايه التي وسد بها الخط للاحقة . فقري فحكمت سايه حكمه بالشدة ،
وفي اسرته في دروة خود ساع به سوسة الامان ويتسكون شقاوية التي دعوا
له . ويتصمون من سايه كيف يكون . ماورنه عند سوسة قدره ، وكيف يكون
الضربات المتوالية المتفعلة عند القدر ، وكيف ساجر السوسة عند سوسة قدره .
١٨٥٠ . وانحله واعد فتلها متفق برقي مع وزير الحرية . في ان احدث بروسية هبتها
واعدت قواتها وسلاحها ، وحصلت عمارات القتال عندما كان الاوان . وكيف قرب
نايون الثالث وجزاه الى ان صرته الضربة الجديدة . بعد ان كان يقول وهو مدافع
احيانا عن خطه السامية الجديدة الذي : ان الاساس لوحيد وسراج الصحيح الذي
تعتبره الدولة الكبرى هي لدولة الصغرى هو الانية السياسية وليس لدولة الضملي ،
ولا يلين بدولة كبرى ان تخارب ان تكون . صديها خاصة تقضي عليها بالحرب ،
وياسوا . حذر رجل الدولة الذي لا يحد سوسة لدخول حرب ، بنى مسوغا ومبررا
لحسابه انفضائها .

وقد ادعى رسم تقاليد بسمرك وخطه سياسة الاشتراكية الوضعية ، فتجاوزوها وأربوا عليها . وكان المنشأ دويغف قبل حرب ١٩١٤ يتبذد سياسة الجرس بسمرك ، ولا يدع في المذكرات التي نشرها فرصة لا يتسح فيها برود الشاء عليه ، وكان المنشأ شترزمن الذي لم تزل القدر طويلاً ، من اشياء تلك التفانية ، وقد سار في سياسة بلاده في اتنا . الارمات الشداد بعد حرب سيرة ، حدث عليه بحميل الذكر وعظيم . القدر ، وتقلب بكنهه ودهائه على ما كانت عليه من صعب اورشالاية الانكسار الذي تم بها . حتى ان رجال الدولة القديمة الذين عرفوا شترزمن ناشد في السياسة وشهدوا في اول امره . موهبه العظيمة وحماسته الوطنية ، وبساطه ورفقه ومناجحه هناؤه على الميزة التي احرزها في تعامل السياسة الدولية وفي الوراقات الاجنبية المختلفة . على انه كان في ثناء الحرب من انصار اليد القوية والفتوحات العظيمة . ولكن بعد ان تنكر لبلاده ووجه ارمين وعلمت على امرها في الحرب ، وفهم موقف الانظار ، واستأنف عمله في امرة سياسة تسيم ساروب الحرك ومعالجة سياسة الدولة الخارجية ، حتى قل عنه بيوف . فرأى انه : انه يدون ان تقارن عن كرامة الشعب الالماني عرف ان يتبذد مكافأة قصياً ليقف في مواقف آخر اقرب الى الشداد واقوه في المعاملة الناس . ووجد تكلمت من نعمة كلمة راحة مخيفة فلما رجع دولة كبير في دراسة : ليون حبيشادوي قضي بتصنيف القصص الكبرى ، والاعمال الكبرى ، ان لا يمكن معاً اختراجهما دفعة واحدة ، ولكن يعني ان تعالج واحدة بعد اخرى . وهو في قيامه هذا العمل ، الذي لم يكن يدرك ان في الامام مصائبه . كان قد اعين بمواهب فادرة في صناعه تفاؤسه وفي رئاسة المؤتمرات ، ورجل دولة جامع لهذه المناقب حذر بلمانية ان تعرض عليه . . . وان عدد المشكلات التي سويتها بمسنة ١٨٧٠ مثيل في جنب ما يقدر الآن تسويته .

وقد احتضنت المانية عرور خمسين سنة على ميلاد شترزمن وهذه الاحتفالات تجري في القالب عندما يطمح رجال السياسة في السن . ولكن قومه ابرعوا بالخفاوة به تقدير أحوال الاعمال التي قد بها . وكانت اللجنة المنجلى بحود موهبة حوله فتق

خطية اطرى فيها المنفذ العظمى الذي كان يقبض على السياسة الألمانية بيد من حديد، وقل: بسمرك هو اول من خاض الى سياسة القوة، معتمداً عليها في دعوة الشعوب الى حياة مشتركة وتشبيط الملائق الحسنة بينها، وكان كل تلك دعوة على دولة كان يحدد الاحتمالات التي نهيتها مقدرة الدولة، ويصرف الأمور على حالة تحمل تقدير التعاون، يمكننا مع العدو، وكان يرمي الى تبوية أمور لاقلية بحراً عظيمة وبعد نظر... ولم يشهد رأيه حتى في تشييد الخطى انصاراً حريه امام باريس، وليس من المبالغة الادعاء بان بسمرك، لو كان بعد من الدولة العظمى بعد تأسيس الامبراطورية الألمانية قبولاً حسناً مثل هذه الآراء، لكان في استطاع منذ ذلك العهد الوصول الى تعاون سهل بين الشعوب.

وقد ثبتت روسية السوفيتية بنصر رحمة ما كتبه بسمرك في آرائه وذكراته، وفرطها حقها مستشهداً بآراء هذا السياسي العظيم، في وجوب القلاع للدولتين عما كان بينهما من انباء، ومشيدة بالنفع الى كلياتها من حسن التفاهم، وعالقت على انظارهين الاتيين وذكرته خاتمة:

قل بسمرك في مددنا مشاركة غايوم لأول له في الوقت الذي ينبغي ان نقدر راسية في حرب القرم: وصحت الأمر انه ليس لأي روسية سبب عنها في حرية روسية، وليس لها مصالحة في المسألة الشرقية تسوية مثل هذا الحرب وتصحيها بنا وبين روسية من علائق ترجع الى عهد بعيد، بل في اصعب الى ذلك، ان كل نصر يدرك في قتال روسية بموئنا نحن حريتها، لا يثبت فقط شعور انتقام دائم في قلوب الكثيرين من الروس الذين يهاجمون بدون مسوغ نساً في قتالهم، بل يحملنا على القيام بحجة دقيقة في البحث عن تدوية زمامها القضية بولونية، فماذا اذا ادل لا نجبرنا على القطع مع روسية بل انظرنا بمكس ذلك الى احتبابه، وقل: انه ليس من مصالحنا، ولما كان ذلك، منزع روسية من استعمال سديس من قواها في الشرق، وعليما ان تفشيظ بيننا بتابع تطوراً تاريخياً في اوروبا لا يحملنا

تعدالى جنباً دولاً تختلف دافعها حتى الآن ، وهذه هي الحال بين روسيا ،
التي يكون بينها وبين فرنسا صداقة ، وليس ثمة من حرب لابد منها مع روسيا ،
الآن قد تمنا الى ذلك صحافة المعركة الحرة اوسوء تدبير الاميرة المالسكة .
وما نقل الصحف الألمانية اطرا ، الروس لهذه المذكرات ، الذي جاء في ايام
الاتفاق بين لدونين سنة ١٩٤٠ .

الفصل الثامن

الرئيس ولسن

وسياسة الإنقاذ

١ - الرؤساء الثلاثة

يتضح ذلك المفد العظيم من رؤساء الولايات المتحدة بثلاثة رجال تفجر بهم
الإنسانية كلها لا الولايات المتحدة وحدها : واشنطن الذي يقترن اسمه بتحرير الولايات
المتحدة وإنشاء هذه الأمة الكبيرة ، وليكلى الذي صان بلاده من خطر الانحلال
والانفكك وبخاص جديها وصحة الممار التي أسستها باستعباد الإنسان لأخيه الإنسان ،
ولسن الذي سمي بهذا لتكون سياسة الأمم والشعوب قائمة على أساس اسمي من
سلطان القوة والخبرة ، وأقدس من مصلحة الدولة وارتفاع من اتحاد الشعوب بعضها
ببعض حولاً وعبداً ، هؤلاء الثلاثة الذين نشأوا في عالم الحديده سيدين عن مزايا
السياسة الأوروبية ومنافع الدول القديمة ، كانوا يريدون أن يعلموا شأن البشرية
ويعملوا كرامة الإنسان .

واشنطن

كان واشنطن قائد الجيش الجمهوري في حرب التحرير ، وقد جمع قومه على
توحيته هذه المهمة لأهم وجدوا فيه الصفات التي يحتاجون إليها في قيادة حركتهم ،
وقد كان جندياً بطلاً يفوق نظرائه في الولايات المتحدة بكفائته العسكرية ، وهو
موضع إعجاب القوم بأخلاقه وعبقريته ، ومدان أطلعت نارا الحرب التي أنهى قومه

مفاهيم الرئاسة ، فقام أحسن قيام بعباءة أعمار السلمي المفاخر . وأدام يكن يعد من قادة التاريخ العظماء ، ولا في الرذيل الأول من رجال الدولة واقطاب السياسة ، ولا من كبار الخطباء الذين يستوون القموس بتعريفاتهم ، أو يسترعون الأبصار بهاء طلعتهم ، فإن اعلمته سر استقر في شرف عاطفة يعاوي عليها قلب الانسداد . وهي احترام اسموا الأعداء في . وقد كان أول مجده وآخره انه وطني كبير ، جمانته الحرب والسياسة مؤسس دولة عظيمة . فكان زداد علامة كل ازدادت عظمة الأمة التي ربح فيها وشاطر في اقامة بنيانها . وبذلك في سبيل ذلك كل ما عرف به من حبر وسرف ووطنية والاحسان . وقد من كتاب التاريخ من مواطنيه نحو مائة سنة يصفون مواقف عظماءه . ومثالون فيها ، غير ان القرن العشرين وما نشر فيه من اصول تاريخية مفادة ، يرى هيكل وشغل من تلك الأساطير التي أحيط بها اسمه ، ورجع عنه ما جلع عليه شاد البطولة من الصفات التي تعوت درج الرجال . ولكنه لم يحس شيئاً بالمودة الى العلاقة الاساسية ، بل زاد الانحجاب به : رجالاتها يتأثر بموامل الضعف التي تصيب الناس عامة . ووطنياً تنقد في جوانحه جذوة الحماسة القومية والايمان القدسي تستقبل بلاده ، وترتبط ببلع دروه العالي وأسس لأمته تقاليد الدولة الناشئة . وحامت له مصرية ومن جاء بعده مثلاً أعلى للمروءة . وبنواقاً لدمقراطية ومثلاً للشخصية الخيرة . وأدله انك سقات وشغل من تلك الصفات التي تصي حباً حتى تحفظ ريقها الأبصار . ولا بدع اصحابها وراهم في الغالب الامام دراسة وأطلالاً بانية ، من البيان الذي نسبه لا يبرح ثابت الأركان قوي الدعامة .

وقد انت ثمانى سنين في الساحة الحرب - مصر - على السلطة المدنية ، دون ان يجعل نفسه من ان لا يلهو الحقوق من لا تنفعه التبرع واقتواين : وله الفضل كله في ان لا يتركه حكمه استبدادياً . وله الفضل كله في انه قد ان لم يكن ما يكون من رغبته مادي ويعون اني حصص قوي الشكيمة كثير احدة حتى سركه وأعياء . وقد سمح به بلاده مدينة له بوجودها ولكنه لم يكن عن عليها ، ولم يركب بين القروء

ما احمره من صدر المؤرد في حروبها ، ثم بشأن يومين بلوقت الذي ينزل فيه
 التبعات العظمى ، حتى انقذت له الامور واتجمع مواضعه على ان يبكلوا اليه قيادة
 الجمهورية في حلقه ثم الا الى ، فاجاب لي نعم هذه مهمة في اني كما تحمل مهمات
 الحرب ، وحقق معه ما كان يقطن الفلاسفة يحددون انه يتهدد في بلاد عظيمة ،
 وهو انشا الحكماء الجمهوري ، فسيح الشعب تحكما معه عما يسوونه سافا في الامة ،
 ولكن الصفوة المخارة هي التي تحكمه بحزم وقوة ، وقد استولى وشنت على اسنة الحكم
 والسيادة واستعان على تدبير سائر الامور بولي القدرة والكفاية ، واني للحكومات
 الشعبية القادمة تقابل السيد الرئيس الذي يثق في حكم الجمهورية قول متسكيو :
 ان الفضيلة هي قوة الحكماء الجمهوري . .

وكان واشنطن في جميع أعماله شريفا الفاية ، بعيد النظر ، عظيم الخيرة ، فافد
 الكلمة ، ظاهر الوقار ، صادق الخس ، كانه يفتقر مدح الخيب ، شديد الاتصال
 في سبيل ما يفتقد انه حق ، متجافيا عن كل بواعث الاثرة ، لم يعرف انه ارتكب
 خطأ كبيرا في دولة الحرب اولى سيطرة الدولة ، وكان في رئاسة ، لا يرى اليه
 ملامح الاحزاب ومفاتيح الزمجة ، كالبسيرة العظيمة التي رل عنها الا هو ، وكان
 اميل الى ما يبعج الخافطين ، ولكن باسمي ما في هذه الحكمة من معنى الاجل المحافظة
 على الجمهورية الجديدة وحمايتها ، وكأنه خفي كارتان يكون لاصل الذي قدر
 له القيام به ، وهو كان اكثر عبقرية لا يمكن ان يسرف في سلطته ، ولو كان اكثر
 مدافا لما استلح الحاجة في مهمته ، ولو كانت له راحة باليون واضرعه لانشأ حكما
 عسكريا وسلطة مستبدة ، ولو كانت مواضعه شيلة لكان يشك في ان تدل الولايات
 المتحدة استقلالها ، فقد كان لوحن الذي يقدره ارمين ، وقد أدى الانسانية لحل
 الخدمات وفدرك له جميعه جميع المصور وجميع الشعوب ، حتى قل فيه المؤرخ
 الانكليزي غريبي : لا يوجد رجل أكثر منه مثالا بين الذين كان لهم مثل مواقفه
 في حياة وطنية ، وادنا كان مغايروه الخارحي لا يدل على ما يتطلبه عليه جوانحه من
 عظمة نفس ، فان وراءه فناء نصيبه من مواسم التاريخ القديم ، دت العظمة السجدة

التي هي فوق الأهواء الثائرة والمواطف المتأججة . وكان الرجال يتوجهون اليه
بقلوبهم ومعجودونه فحججوا تذهب ذكراهم ، وسيدوق عزيزاً في عيون الذين يحبون
حقوق الانسان ويقدمون حرياته .

وقد عقد التية على التخلي عن الرئاسة لما اتمت مدته الثانية ، ولم يكن ذلك
رغبة منه في احداث تفيد متبع (أي ان لا يجدد للرئيس مرة ثالثة) . ولكنه
أصابه السأم من الحياة السياسية ومعالجة الشؤون العامة ، وهو يريد ان يقضي
مراحل حياته الأخيرة في الريس ، الخائل والفايات ، غير ان هنالك على ما يظن
سبباً آخر ، وهو حملات الصحف المعارضة التي صافها درعه ، وكان يشكو مراراً
الشكوى من قلة الاحلام الجيدة ، ومن تعذب المواطنين عن الطاعة ورفعة
النظام ومن استمراد الطامع ، ثماني الآلام التي فسادها رجال في سبيل الوطن من
الذين لا يكونوا اعداء قوتاً بكميهم ولا كساء بفسادهم . ولم أراد ان ينتخب
مرة ثانية لكان له ذلك ولكن بس باجماع التين السالنتين .

وقد ادر كنهه نسبة بمددات سنوات من تديه عن الرئاسة ، وكان في مرجه الذي
مات به كما كان في حياته كلها ، حذراً اسوداً لا يتامل ولا يشكي ، رعو ما يماثيه
من انحراف ، وانقضت مائة واربعون سنة وقبض على وفاته ولم ينل أميركي ما ياله
من حب الأمة وتقديرها واحلالها ، حتى انت عزته العظمى في بلاده قد أصابها
ما يصيب عدة جميع رجال السياسة الاكابر من الاعتراف عنهم قليلاً او كثيراً ،
لكنه مازال يعري المستقر له في مود ، بصر مداه ، لا استطيع الاياه أن تصفه او
تخفف منه ، وقد كان فيه حياء ورفق وحاجة تطلب ايدياً على انائه حتى لا يظن
نفسه . وقد يعرف عنه انه سلك نهجاً عالياً او افقر مبروراً وحذراً الامرات
ومدودات ، وانما يمكن ان يبيح حب الحق فيه ، فانه يحى ما فيه من حشمة وانقباض .
كان يرقى اقل كبرية البرة حقياً ، اناس روفاهم ، وما سودته أمته ولا أحبته
لرفق جانبه ونظف حديثه ، ولكن لما تم به من الاحلاس لم احده وقابته انشيلة المبردة .
التي حملته فوق الاشياء وانظرا . وقد تمثلت في نفسه حقوق الانسان التي حيفت

الولايات المتحدة الثورة الفرنسية الى اعلامها واصافها الى قواعد استقلالها فقررت ان الرجال مستقلون بطبيعتهم ، متعمقون بحقوق لا يستطيعون التنازل عنها ، والحكومات مؤسسة لضمان هذه الحقوق ، وسلطانها مستمدة من الحكوميين .

ولم يقتصر عمل واشنطن على تحرير بلاده ، بل ان القواعد التي دعا اليها تجاوزت حدود الولايات المتحدة ونجاوت بها ارجاء اميركة اللاتينية ، ونصت نجل من عقلاها وتفرع رقيقة الاسر من رقها ، وفي خطبة الوداع التي القاها الرئيس أكد حياد بلاده وحماية مصالح الكرة الارضية من المدون والامستمر ، وقد نشأ الرؤساء من بعده على ثقافته في استنكار المظالم الحارة ، والدفاع عن استقلال الدول الاميركية ، الى ان وصفت نظرية مونرو الشهيرة التي كانت بياناً خطبت بها الولايات المتحدة اورية الحريصة على الاستمرار حتى لا تطمع في غير منهي فيه من الأرجاء ، وحتى تعبر ان القارة الاميركية ليست أرض استعمار ، ولكن محاولة من اورية لسطط سلطانها فيها ، او قهر الدول اللاتينية التي اعلمت استقلالها عنده الولايات المتحدة خطراً على سلامتها وأمنها وعدة انا عنها ، وكانت الولايات المتحدة قررت عدم تدخل اورية في شؤون اميركة ميسد المناطق التي كانت اورية يومئذ مسيطرة عليها ، كذلك لا تتدخل اميركة في شؤون اورية ، ولكن موقف اميركة — كقول المستر هيوز سكرتير الدولة السابق ورئيس المجلس الأعلى — كان موقف استقلال لاموقف اعرال ، وهي لا تريد الاستعاضة في المنازعات السياسية الاوربية ، ولكنها لا تأبى أن يجيب كل ندا الى الواجب الذي تمنقه به ، من غير أن تكون مجبرة على ذلك او تدخل في تحالف ، وهي لا تنف الا في سمب الشهور التي تضاهيها في مثلها العليا وفي غيرها العامة التي ترمي الى تعزيز الروابط الاقتصادية والعلاقات التجارية وحماية المصالح المشتركة المتبادلة والحفاظة على السلام في العالم .

نكسطن

بعد ثمانين سنة ونيف مضت على نشأة هذه الامة الاميركية ، اصابتها أزمة شديدة نمرض بها الاتحاد خطر التفكك والاحلال ، وذلك بسبب الخلاف الذي

شعبين ولايت اشكول وولايات الخنوب ، فكان الرئيس اشكان الرجل الذي ارسلته
 العناية لحماية الاتحاد والقاء الرقيق ، وهو من اغرب شخصيات العالم ، نشأ في بيئة
 فقيرة ، وقضى سنينه الأولى في اليأس والحاجة ، وكان من اول عمره شديد الاقبال
 على التمر ، فقرأ مائة وشتق بعض الكتب التي وقفت له ، وكان لا يفتك عن مطالعة
 التوراة وشكبير ، ويتطلع منذ صغره الى ما يكون له من عظم الخطر في هذا
 العالم الفاسح ، الذي يمكن يعرف شئ عنه ، ويمكن بفارقته الضم والتمرد حتى بلغ
 الخامسة والعشرين من عمره من غير ان يتخذ لنفسه طريقة في الحياة ، وكان الناس
 يحبه حباً شاملاً ولاسي رفته ، اذ كان حلو خذت منافع المورد لطيف الماشية
 شكره السجود ، نون ان يخرج عن وفرة وورائه ، وامل اخذ الذي في وجهه كان
 موافق حياته الاولى واثر القابلية العارضة والسهول المقفرة ، لما بشاشته فهي من
 تعلمه ان الثور والتعديروني لا مال ، وفصارت رجل حتى قريبه اليه ما تعطي
 عليه نفسه من قوة وعزيمة وقدره ، وقد وسعه دلائل احد اعضاء مجلس الشيوخ
 ومدرس هذا الرجل المحبول بقوله : ما اشد الحسد الذي يرضي عني ان ابدله في
 نفسه ومفاسته ، هذا هو رجل حربه الذي لا يبين له فناء ، ولا يفارقه ذهنه
 الحسد ، ولا يرضي في معرفة الثور ربح والوفاء ، انصر من رجل الكلام في هذا
 الغرب ، وهو شريف لا يندح وارث لا يندح .

كان كبره يمكن ان يكون للاتحاد ، الاتحاد مع الدول الدستور والاف الدستور
 ومع انضمام الاتحاد اكثر السجانات ولا تستطيع دولة ان تخرج من الاتحاد وفقاً
 لشيئها ، كل من تصدره في هذا الشأن لا عبرة له من وجهة الشرعية ، والاتحاد
 لا يمكن ان تعارف اليه انه ان يقر من خطر الحار ، وقد فتحت رئاسته الاولى
 سنة ١٨٩٠ ، خطاب موطنية انصاب بقوله : ان نكاره اني تخادروها في الخافضة
 غير كاذبة ، وقيمة الحرب الأهلية الخيفة لا تنفع عني ، ولما اتبعها بين ايديكم ، انكم
 تحلقون الاغان على تقويض بيان الحكومة ، ولما ارفع اصوت جهرة وانادي
 ملأ مشهد اني سحبي ، وادع صبري وحفظ سايمي ، وانا ان يتم تطبيق القوانين

في جميع أنحاء الدولة ، وباردي كثيراً من روح التساهل في هذه الخطوة حتى عد ذلك موطن ضعف ، ولكن هذه الخطوة كانت — كما يقول الفرنسي — في قفاز من القلعة ، وقد انقاد الى مص الدواي السياسية ، فرجاً قضية تحرير العبيد ، وصرف همه الى صيانة الاتحاد ، سواء أكان قد حرر العبيد أم لم يحرروا في الناء . هذا النضال .

وإذا استمرت نار الحرب فقد يجلس الأمة مؤمراً استثنائياً بمقتضى الرئيس رسالة لم يكن فيها انس ولا عفو ، فودع حظه البلاد وذكر ما لسلامة الاتحاد من شأن في نظر العالم ، وقال : على هذا النضال الذي نحن اعياه يتوقف امر هو اكثر من مصير الولايات المتحدة ، اذ ان الاسرة الاساسية الكبرى تشهد : جمهورية دستورية ديمقراطية تمثل حكومة الشعب قادرة على صيانة حدودها وقمع الفتن الاهلية ، وهل يجب ان تكون الحكومة قوية جداً حتى تستطيع ان تدفع عن حريت مواطنيها ، او ان تبالغ درجة من الضعف بحيث تعجز عن حماية نفسها ؟ وكان لشكل قنودف قانون الحرية الشخصية ومجاوز سلطته ، ودعا من ذات نفسه الى زيادة عدد المجلس في البر والبحر ، وفي ذلك خروج ظاهر على القانون ، غير ان الرئيس كان يرد على انتقديه بأن الامة الحرة تتطلب تلك الوسائل الاستثنائية ، وقد اصدر مجلس الامة قراراً بحرد فيه من كل عطفة غضب وحقد ، ولم يهمل الا بواجبه نحو البلاد كلها ، وهو عام بان هذه الحرب يس فيها روح اصطهاد اورعنة في فتح ، وما اوقدت نارها الا لحماية الاتحاد وانقاذنا عليه والتساوي في الحقوق بين جميع دوله . وفي ادركت هذه الغاية فان الحرب وصحة اورارها .

اما تحرير الزفيق فو يعلن الا في سنة ١٨٦٣ ، فكان لاعلانه اثر كبير في مختلف اقطار الارض ، وكانت الشعوب قليلة الاعظم يبقا الاتحاد الامبركي او رواله ، ولكن اعلانات لشكر تحرير العبيد تثار في امة هزة اعجاب و اكبار ، ولم يخل من ذلك حتى بعض الذين كانوا يتوقفون انتصار الحربيين ، فهدت على الاثر دعوة تحرير العبيد ولا سيما في بريطانيا العظمى .

وذلك يمكن التمسك بفهم نسوية او هوادة في الامر الذي يفهمه ، وقد لحا الى وسائل
التمسك انفع التي وانما التي كان يتبرها ، وارضو خططة ، فتمسك موضع الاداء ،
بأشارته الى عقاب الموت الذي يصيب الهندي عند قراره من الجيش ، ونسأل هل
يحيى إطلاق النار على جندي مسكين جاهل لا يد بالقرار ، ولا يجوز ان تنزع شعرة
من رأس المبيع المختار الذي حرمه ، وقد حاول مندوبو الجنوب في حديث طويل
ان يقدموه بمقد صليح مع الولايات الجنوبية ، وانشهدوا على ذلك بما فعله شارل
ذلك التكررة غفوفة الماسين من رغبة ، فاجابه : ان إيمانني حرجة في عدم
التأريخ ، واما ارجع في هذا الامر الى امين سر الدولة ، وكل ما ذكره من هذه
القصة ان شارل الاول قطع رأسه .

فقد تألم كثير من الامير كيين السلاج لانهم كانوا يحذرون الاتحاد والمحرمون
عليه ، ولا يخجلون من بدن دماهم في سبيل الملاد وميائنها من التجزئة ، ولكن
تلك فاده الى ذلك سبب حمي ونفوة ابد ، فقد رأى ان مدد الدمقرراطية وحكم
الملاد نفسها بنفسها كان ممرصاً للخطر ، وان سمادة الاميرة الانسانية بأسرها
دات علاقة بهذا الامر ، ولم يكن يطبق لتلك ادراك هائلين الفاضلين العظيمين دون
مؤامرة الدم اغادر الخلف ، وحق لانه ان يشاهدوا انجر هذا العصر ،
غير انه احق بالتمسك الاولي لانه كان ريان السفينة الذي انودها في ساعة شديدة
الخرج ، ولا يشك أحدي ان يمكن كان الرجل كل الرجل ، ولكن ليس من الهين
تعدد الصفات التي تكون لها عصمه ، فدهاؤه يمكن ان يكون بين اليه ،
حق ان وراثة التي علم بعض الرمن فلما كشفت فتاح عن أسرارها وبعد ان
سبها الشعب ، ولم يعرف حتى معرفة الامم موته ، سم آرائه التي در بها الامور
في ذلك العهد الدقيق احمل ، وكل زاد تأمل الناس كانه زاد شعور الاستجاب به ،
وقد تكون اكثر مضائله القدرة على تبين الرأي العام ، وقما تمنع وجل دولة مما
تتمتع به من الثقة ، لما تأثير مدفعه قد يمكن يقتصر على الجماهير .

ولم يحاول احد ان يستخرج كده هذه الجبورية ، ولم يذكر التاريخ خلقاً

عظما قاضا العالم يمثل هذه المقابلة ، وقد وصفه تولدوين تحت المؤرخ الانكليزي بقوله : ولد في آخر طبقات المجتمع ، وتكون في بيئة النضال والشقاء ، ومحا في الحياة العامة حتى اصبح الاميركي الاول ، وذلك اعياه مبحثه في الوقت الذي كانت قوى الحرية وقوى العبودية توشك ان تشيك في قتال عنت ، فقبض على اربعة الحكماء بيد قوية ، ولولا عبقريته الفذة لسار الاتحاد في رأيي الكثيرين . وقد اودت رصاصة قاتل بهذا الرجل العظيم الذي هو من امضى شعار حرية الانسان الحرية ، وكان الرزء به اعظم الارزاء التي آلت بالولايات المتحدة . وعند عيب اقرب وجهه ما برح يعلو نعمة وبشأن كوكبه ، وهو لا يمد رايها على النصب للولايات المتحدة بل يمد من اعظم رجال التاريخ ، وحسنه الامم ان اعطاه ان هذا قام به الاتحاد ذكره : الفاء الرق ، وسياسة الاتحاد .

وفي سيرة النكاح الحافلة بالاعمال الخيلة ، بعد كثير من الشائعات التي هي عنوان عظمته ، فقد كان مغرور ، مغرور ، في مسعاهه ماضين اليه ، ولكن نفسه انجوبة كانت بمودة الغور حيث لا يدرك مكنونها ، وكانت تخرج عليه بحابل الرحمن المتلجلج المتلجج المضطرب . ولكن وجهه لا يفارقه قطار وعنه ، وكان حذر المهن ولا تقوته الكلمة النادرة او رواية بعض الخواص الفكية . غير انه كان في قراره النفس التي انطلت على احواله بحري حزن واسى غلا حياته وبغدير في جميع موافقه ، وهو يمكن راسح المده في من خطائه ، ولا تنوب الماع في غيره الاثبات . ولكن كلامه في شؤون الرق من ابلغ ما تفجرت به ميون المصاحبة في ذات الزمن . انجازا ومثانة وفوق حجة ، وكانت خطائه في جميعه على اثر الوفاء بحري الحرية بهذا المكان ، وخطائه في نتائج هذه التي من درر الاثبات الرابع .

من قول النكاح التي كان يتعلق بها عن قصرة مقبحة ومملكة متاملة كما هو شأن سائر قادة الشعوب : ان من الامم ان يكون بعض الولايات الاراهم جديري بحكم انفسهم ، ولا جدال في ان مبدأ حكم الشعب نفسه بنفسه صحيح ، وسيظل صحيحا الى الابد ، ولكن اذا كان الرئحي رجلا لا يرى - بقدر ما في اليد من

صححة - اننا اذا جردناه حكم نفسه انما يحرق بذلك مبدأ سيادة الشعب ، و اذا حكم الرجل الأبيض نفسه كان ذلك انقيصاً بمبدأ سيادة الشعب ، ولكنه اذا كان يحكم نفسه ويحكم رجاله غيره ، فذلك اكثر من سيادة الشعب ، انه الاستبداد ، وليس في الناس من يتوافر لديه حكم يحكم غيره بدون رضاء ، وما حياة امة نصفها حر ونصفها الآخر عبد ، وكان يقول في الرق : انه يفتقه تاليطوي عليه في دانه من جور فيج ، ويعتقه لانه يسلط اعطاء الجمهوري الذي يحمله الى امانه مثالا من اثر الحق في ايدينا ، وبعته لانه دفع رجلا كثيرين من الاخيار الى محاربة المهادي ، الاساسية للحرية ، مدنية ، فيسرون على نعمة ، انه ليس نعمة من حق استبداده في اعمالنا ، وما هنالك الا مصادمة الشخصية .

اما خطابه في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٨٩٣ فلها قد سارت كل مسير ، وثورات الامم كيون ما فيها من كرات بيضة ، حتى ان الرئيس و من الذي كان معجبا بسفاهة الجور يمكن انور شعاع مهابي كتابه تاريخ الشعب الاميركي وطلع على مرارها حتى سادس جفيرة ، وهي التي افتتح بها راسه الخاتمة ، وكان قد اجتمع الناس في ساحة جامعة و على مقربة منها ، عدة ذلك اليوم الذي كان من اشدهم الحرب الاهلية هولاء يمجدون ذكرى سجادها ، و سألوا الرئيس ان يعطيهم في هذا العمل المشهود ، فلكم بكلامه رفات له القلوب ودرت العيون ، و كان مما قاله :

« منذ سبع وثمانين سنة حدثت في هذه افارة امة جديدة رسمت بان الحرية ، وندرت بعدا الدعوة بان جميع الناس ولدوا على سوا . »

و نحن الآن في حرب اهلية وروس نحن في هذه الامة تعرف هل نستطيع الحياة والبقاء هي امة امة غيرها نشأت بناتها وندرت نفسها مثلها ، في هذه اساحة انتقي في ميدان عظيم من ميادين هذه الحرب ، وقد سنا اليه لنجمل من بعضه منوى خلف الاموالك الذين جادوا بحياتهم لنجيا هذه الامة ، وحق علينا كل ما نقوم به في سبيل ذلك .

وعبر اننا ليس في وسعنا ان ننذر أو نقدر أو نبارك هذه الارض ، ان ليس في متناول طاقتنا ان نريد في مساكنها أو ان ننقذها بعد ان نقص عليها الاطفال الذين ناسوا احباء فيها أو أمواتا عاصوا من حبل التقديس ، والعلم ان ينظر الاقليات وأن يذكر الاقليات ما تنطق به امواتنا في هذا المكان ، ولكنه لا يستطيع ان يسي ابدأ ما منع فيه اوائك الايمان ، وجدير بنا ان ننذر نفوسهمنا للعمل الذي يفتنه والذي خطا به انقاتلون هربا خطوات كريمة ، وانه يجدد لنا ان ننذر انفسنا في هذا الميدان المهمة العظمى التي يجب علينا ان نتمها ، وان نشهد من هؤلاء الموقر الاتحاد ولاء ، ما يبدأ هذه القضية التي جادوا في سبيلها بأفهمي لغة الاخلاص ، وان نفقد المزممة الصادقة على ان لا يكون موت هؤلاء قد ذهب سيادته على ان النبوت هذه الامة التي تستغل ، طال الله معنا جديداً ، وان لا تصعد على وجه هذه الارض حكومة من الشعب والشعب والشعب .

وقد فتح الرئيس لشكل صناعة عظيمة في ، أربع سببي ما يربوا احد من فنه ولم يطلبوا احد من بعده ، من يشهد به يستمر ، ومن يشهد به في اوضاع الدولة ومنها ما بدأ علاقة السيد ببيده ، وتبرز سببان الاتحاد وتوثيق عزمه في انما ان من الحزب العظمى ، ولا تحزن طبيعة الامة الجوهرية من انها بحمة للسلام ، وبما انقضت الحيوش بعد ان اسدل قناع هذه الحرب الخروس ، عند الخنود الى شؤونهم السمية بأرفع كانه السحر ، وأخرجهم قهراً من حاس هو غرضه الآخر الذي مش في المصروف تجري في المصروف هزة النصر شجي قدتها ورواها هذا التعية الأخيرة ، ولكن غاب في هذا يوم حق الرجل يدعي سمير ورعدهم فيه ، الذي رفعه عام بشاره وامثالاً فيه يحب بانه ، صوت اول اول في عشرين ايام في سجل العظمى الخالدين .

واركانت الحرب قد انتهت ظمها فسجرت وراءها جازر ، وكان ينبغي مواجهة مشكلات الانشاء ، التمهيد ومعاملة اهل الخنود بعد ان اعدم السبب الى خطيرة الوطن ، فكان يري فريق ، في حقيقته الرئيس لشكل وامين سر الدولة سوارد

والقائد غرامت ، وهما الذين ابوا احسن ابلال في اطاعة الفتنة وازالة التفرقة ، انه
 يبيعون الحق والمصالح حتى تقضي الحرب ولا احقاد ، لا صفات ، وقد قم في وجه
 الرئيس من بمارسه ، ويرى ان يلقى ناز الحرب جانيها ومنبرو تقمها ، وكانوا
 لا يشاء كون الحق ، فليس بالاكثفاء ، العودة هذه الجنوب الى الشمال ومنحصر الموقوف
 والتميز انني اجتماعها - كان لشك ، بل روى معاملة به بقوا انين الالاد المقتوحة ، حزاء
 لما كبرت ايديهم ، ، لا يظن ان احزاب هذا الرأي لا يظن هو ، لا من صدق واحلامين ،
 فولا انكاره لا تصبر ، ا على تعبيره ، واعتبره ، ولكن الرئيس كان على عادته ، متسكنا
 بالحكمة التي عليها عليه عقله لاهم ام ، فقد حنس غمرات الحرب بفلب لا يكاد بطبيعة ،
 ولكن عزيمته لا تنفي ، وعبارة كرها شديدا لانه لم يحد عن الحرب مندوحة
 حتى اذا وجدت اور رها اقول على مداومة ما خلقت من الضرر اني احدث الدمار
 وحرب الربوع ، فوشت القوي ، وفي قوت الذي فتكت يده بالرئيس تمصبا
 لاهل الجنوب ، ما يطوي عليه ذات القلب الكبير من رقة وبرحة .

٢ دلس

اد كان مصرع النكاح قد شجى الولايات المتحدة ، فاعضاها ، بل نافية ولس
 كذات لانها فيها في ما يقف من شعب وحزن ، وليس التمثل الاول متعصب الحق
 هذا انساني ، وعبارة خرافية ، وعبارة السياسية ، ثم شي ، آخر اراده ان يكون
 في العلم وهو راحة الى مستوى الحق ، ولكنه كان فوق حقيقة ، فوق ما يستطاعه
 وقد انتهت حيا ، الرئيس ، سياسية وضرب حري وحقا تقربا سنة ١٩٩٢ ، السنة ١٩٩٣
 حين وقع احد الاعمال ، وثيقة العمل اسم وودره ، ولس وثبت وفاته ، وثيقة علامة
 تمسكه بحقيقة تفترق بحيرة هذا الزح الذي طير في حين من الاحيان كانه بارقة
 امل لانسانية برها ، و به اقوى شخصية في تاريخ الولايات المتحدة ، جمهوريتها
 ولكن سرعان ما احتق ورا لافق وسجل اسمه دكبرى اعظم احده في تاريخ
 السياسة وما هذا الاحقاد الانتبعة اتمتع عناصر مختلفة ادت الى تضائل حب شعب
 الولايات المتحدة له ، فقد اعصب الارانبين لانه لم يؤيد فضيلهم التأييد الذي كانوا

يتوقعونه ، وأثار الامثال لأنه لم يرجع عبده لوطمه ووه يعبر الاحمر او كله على تنفيذ
قواعده الشهيرة ، واحفظ الايطاليين لأنه لم يدع بلاده تحقق كل ما نصبوا اليه من
نوسج ، ولم يطمئن كذلك وغناث منافيه السياسيين في بلاده فجعلهم يرتعدون به
الدوائر ، وقد سالت جريدة نيويورك فتعجبت الاميركية انظر ان تطس الذي
اجتمع له من صفات القيادة العسكرية والبراعة السياسية من تتجسأ سواء رأيه في
عمل الرئيس ونسج ومما صار اليه مره ، فاحسها بقوله : قد احصل الرئيس ان يتسامح
في كثير مما قرر من قواعده الاربعة عشرة ، ونسج هو الذي احقق الى الانسانية هي
التي احققت وسيبقى لهادي التي ومنه من الخلود منسج عليه . ولئن غدت
الاميركيين في مستقبل الزمان يضمون ونسج في جانب شملين ولكن ، وسعوقهم
شهرته بشموخه وأثرها في جميع العالم .

حقاً لقد غلب الرئيس على امره في انشاء مقاصد الصريح ورث من عبده نواح
من مبادئه العليا ، ولكن القاعدة من ذلك كانت مضبوطة بتأنيب الرغبة في الصلح
والسلام ، وقد امر ونسج على ان يكونوا سر معدود في صرح النهار ومؤسسات على
المدل الجرد عن القوى وكان برنة من عصبة الأمم ان تكون حرة في اختيار اسم
وان تستعين لادراك غايتها بقوى امام زمان ما بعد ، غير ان برنة كانت قبل
سياسة الثوارن ومناهات النجانب ، ومع ذلك استطاع الرئيس ان يده اليه من
المبادئ القوية المؤسسة على الاثار ، ان غير كثير من اساليب السياسة الادارية
الفدعة التي تستمد من قواعد الفتح وحفظ مكبرتي ، وكانت عصبة الأمم الوسيلة
الوحيدة لحمايه الحضارة والدفع عنها ، وهي فكرة عظيمة وطريقة محدثة في التاريخ
العام ، ولستطاعت ان تصير على الدول تعديها ، لان تعدي ثقة العالم سجزها
عن تحقيق مثلها العليا .

وقد اراد الرئيس في دعونه الى الشء عصبة الأمم ان يجعل من عبده موزو
الاميركية قاعدة عالمية ، فقال في رسالته سنة ١٩١٧ : قد تخرج ان تطبق هذه القاعدة
في العالم كله ، بحيث لا تعمل دولة على احسار امة اخرى او تشب آخر على الخضوع
لسياستها الخاصة ، ولكن كل شعب اقر له الحرية في تحديد السياسة التي يريد

والنظر إلى آثارها دون التوسع العقبات في سبيله ليعبر من شهيد ودوالارهاب.
والشعوب الصاعدة في ذلك كالمحور الكبير أو الشعوب العظيمة . . . وقد اتفق
الشيخ بلديج الذي كان رأس ممارسة وحسن هذا الترتيب . . . وقل الزمعي المثلان تطبيق
فائدة موترو في العالم بأسره أنه . . . يبقى لها حال تطبيق وبقاء ، وهي في الحقيقة
لم توسع الا حدة بعد الكثرة الانبركية . . . على حين ان هذا الشيخ نفسه كان
نحاص في انما الحرب حذراً لا يخرج عن مبادئه ايرليس وليس ؟ مايدعو اليأس اليه .

وكانت باريس وسان بطرسبرغ في حمة التجاريين ولكن حكم
البحر وقد حارب في بري الأحرار ان تحفظ حياد الامة ، فلا تكلم بمرغون -
التجارة الاميرالية ولا ان يصفون سمها ، ولكن الامير كيبين كانوا انشرون عفة
التميز الماتية وسط سياتها على العالم ، وما نحر اليه ذلك من هديد بالادهم وامداد
النادي التي تحيا لانها تعاروا ، وحسن ان ملحق من مصالح خاصة وعامة ، وهي
ان تكون بحيث ان استبد بها النابية اذا كانت لمب الفهره ، ولكنها لم تكن نشك
ان سجن النابية لاول استجابة بمرس ميركة لاخطار عظيمة ويحتملها على ان
تتبع في الادها حيلة ومناهج عسكرية ، ومن التكمات دائما مضارة للتأهب
والاستعداد ، ولان رضى جمهور هؤلاء الاميريين ان يات اندحار حتى يدمع
هذا الخطر انه قد بين ان يكون الاول ، وكانت حرب الموصات التي علتت لمانية
منها على القيام ، انه هو دسسيا في دخول اميركة الحرب ، وقد ريكبت لمانية
اخطاء كثيرة في الحرب البحرية ، وقد حدثت ان التكاليف لا تعبر في بيول فصاحة
ورق (حياد اياجند) ، وحدثت ان باريس تستقط قبل ان يكون روسية قد امنت
تمثلها ، وان ايطالية ستكون في صفها او انها تنق على الحياد ، ولكن لم يترك
سبب خطيته سياسية بحسن سببها عند كثيرة كخطية الشعب الالمانى ، وعندما
وقع الولايات المتحدة ورئيسها الذي يحب السلام حوس غمرات القتال ، ولم يقدّر
شواطف الامة الاميركية حتى قدرها ولا حسب حداد وسائليا العظيمة وقدرتها
انفتحت على ان تغلب دولة عسكرية قوية .

وكان الرئيس والنسب - كما وصفه هنري وليم - شديد التماثل في حمة
 نيم بورن - على خلق عظيم وشرف فروع ، ثمما دأب في مؤامراته ، وتقاسمه
 مستقلاً برأيه ، لا تغلو من الخلق والخيلة ، ولا ترى فيه صفات الاناس والتجرب
 او الحادية الشخصية التي تميز سيبيا حوهر . من سيات النجوع في سياسة : سياسة
 وقد تلقى مبادئه وتعاليمه من لاسن لدمقر طيبة لأمير كنية وتقائدها ووجدتها
 في المصوح التاريخي والقوى عدا خيرة . حتى كانه حوهر ليدل في الساتب ليدل في
 العالم كانه . حقا انه كان يتقدم بشدة ، فاهج من الامير كنيين في الانار ، والامداد
 والرشوة . وكان له حوالا بشي عما سبيل مضطرب وجميعه سبيل امريه الشهيدان لفظا
 اني تغلقات في قواعده . وكان في بعض كنيته وموعداته شرح اخرى لالكبرية
 ويخذهما الا لثديته . ويشهد من ماضيه معالجون من لالكبر الذي يعمول
 على انقاد الامبرطورية دون لدمقره للستور . يعطاه قواعده وبيرو حوهر
 الامور وطبيعتها .

وكان الرئيس في مؤتمر فرساي يرسل بغير انه في اعلاه الى مدني فيه من
 أحداث خطيرة ، ويريد نظيره واصلاجه دون ان يرسل بيده وقوس لركانه من
 يمد الى تطبيق قواعده الخيرة السائدة في امير لكة في برطانية . معني صلات
 نسبية الامم وتهددها ، ولكن تقايد الفتوح صفات خردت الى انوارها امير
 في النفوس ، وثبت لباديه الوطنية ، عرطة في شعوب الشعوب الكبرى والصغرى
 جعل معني جميع هذه الشعوب يتماثلون على اخر بر ثمرات الاتقاد ، فسمح هذا
 الوضع مندوا مند افتتاح المؤتمر ، واخذ الرئيس يحدد عواقب الضع والحرص
 وما تحمله من النكبات والكم ارت ، ومكر الاعم دني السالاج المستعارة على بعض
 البلدان ، وفي ذات ماضيه من نفس فيمة لخطاب مشوقة واصراف شامسا . لان
 تحكم القوة يؤدي الى الاعتقاد بان لذي عدا اياه ينك في عدل فضيته وسجدة
 حجة ، ويريد ان يستجود على الربوع التي لا تجد لديه من احق ما يكتفي شايده شواء
 فيها ، فيحل العف والشدة محل الحق الذي يستند الى اجانس والتاريخ والشعب ،

وبشر الشعبات بعدله حول الاستعدادات التي يعتمد عليها ، كما انه يؤكد عدم تحته
تؤثر السلم .

وفي الحق ان قوى عظيمة كانت تنهبا لتغالبه وهي قوى غنيمة متألبة . وكان
واحد من نفسه بالانتصار على النظام القديم ، لان العالم كله كان يؤيده ، ومنه
له في ساعة من ساعات الحفاصة وسحر النفوس ، ولكن هذا العالم كله كان يرتاب
في نجاحه ، وتجعله وتجعل عليه ، وكان يتفقد بصلاب النوع الانساني ويقدر عظم
الهمة وخلاص السؤلية ، وقد قد جعل من تحمل الفتنة والحكماء والاراسفة ،
مجرد شعوب ، قرر ان ياتي ، وحث على التليذ ، وتكفنه ، بفارص بينها وبين
حفاظ الخرافة كما هي ، وحفاظ الشعوب كما هي ، لا كيريد ان تكون هذه وثائق ،
فما ثبت ان واحد انباضي ، التي حررها بدل منها حتى بها حوت في المعاهدة الى
اموس صبح الرئيس نفسه تحيل اثمرا مبرا ، وقد خص عمار مفادونات سياسية
سحرية في باريس كانت اشتهرت ، ان من اشتهر بحاطبيه ومناظرته المبهزين ، لا ساحة المناخية
والراعيين المعظمة ، حتى ان بلادها حلت عنه ، كما عارجه جماعته ، وتكروا له ، وفي
الحد بياض في قتال سيف ورمح مصائب الحسام ، ومع الرئيس حبا لغامره من
امن في حفاصة انما ، مبرجة مؤثرة في حموية الشرائع القديمة في باريس على الترفيع
المعاهدة الى مسجوني لان ان قتل ، وقد حيث تعاربت حباة ، انطلقت اليه الشعوب
من آمال حسان ، وحين انما ان الشمس لا تشرق بعينها دمة وسدة ، ولكن
تسير على مهل فاشق اشمنها اندياس رويدياره ، حتى انما انكون سورها النوصاء .

ان هذا الرئيس الذي شعر بمرارة الحيرة كان يعتقد انكون كس سعدة الطالع ،
وكانه رأى نعيمه وجر خربة قد اشق جانبه وريح نارته ، وحاول ان يجعل من
ماني الامس حقائق لقد ، وماها من ساعة عظيمة في التاريخ ، وماؤس الذين اعترضوا
مناعه وقطع من السبل دونه ، وقد كان في مصالحة الدول الاوروبية بل في مصالحة
اعاد كله تنفيذ شروط الرئيس وانس واشتقيد بها ، فبذ الشروط اعادت الحلفاء ،
غونا كبيرا في سنة الحرب الاخيرة بما بعثته في النفوس من الحفيظة التي احذت

تجتماع القلوب ، بعد ان اجمع أكثر من الفاربين شخصون من الفتن في ميل
غابات موهومة ، وقد انكر على واشنطن شدة مقاومته ووحش دولته ، ولكن هل
ينكر ان قواعده هي الحقيقة الأولى التي احتسك اليها الفريسيان المتفانون . وان
كلماته كان فيها من بعد الفورة غلبة الحقيقة مالا يسي ابد الدهر ؟ وقد حسب
الرئيس الاميركي عندما أعلن آرائه وقواعده انه اقرب من ساعة التفاني السياسية
المدعومة من الشعار الذي كان يعني وراء الدول المعنى . فقد اناس بعضهم على
بعض استناده ان كان روحاً في هذه المبالغة ، وهذا بقاءه وان لم يكن من قوة ضخمة ربع
صوته هناك الذي خرج من كل قلب ، ولكنه كان كالبسط كفيه الى الحاد
ليبريقه وما يدسافه ، وطوبى الفكرة الجديدة في اعلام الفخر بين ، الذي يشق
في النفوس سكرة عروير واقتدار هي أشد حيلاً من السحر .

اما الولايات المتحدة فقد فقد دبرها يومئذ من الرجل الذي لا يعرف الاقلية
عن حقيقة العالم ، والذي تكهن بوقوع الكارثة مرة اخرى اذا لم ينفى امتد قواها
الحربية والاقتصادية مقاومة معكري صفو السلام ومهددي ببيان المضارة ، وقد
ضحك الناس من افواهه سنة ١٩١٩ . ولكن لم تأت سنة ١٩٤١ حتى أصبح هذا
الضاحك أشبه بالباك . واحذر الاميركيون يحبون ذكرى الرئيس الحكيم في
البلد الذي ولد فيه وفي كل فرقة ساحرة ، وقد امتت نعمة الحرب عدداً لا يحصى
من غنى ، وبنية وديرة والذين الذين تشرفوا بحودا في ادهان الأمير كيبن ،
واحدث آراؤه وكلماته تتردد على الأفواه والافواه مستعينة بهجتها وروثها ، ورأى
بني المدن انكروا ما كان من بعد النصر في قوله لا ينبغي ان يسود العالم توازن
قوتين مجموعة قوى موحدة ، ولا منافسات منظمة الى سلام عام منظم .

فقد انشأ واشنطن في الولايات الجنوبية ، وكان عمره أصبح سنوات الست وسمعت
الحرب لا يدبرها رارها . فشب في مناطق شدة فيها الحيرة أكثر من شدة وموهوبة ولا سيما
بسبب الفقر الذي ضرب فيها عثراته في السنوات الأولى بعد الحرب ، وما يترص
العدل من عقبات سياسية واجتماعية ، وفرت آثار هذه المأساة مرة ، مرة على حياه ،

وزاول ولسن صناعة التعليم حيناً ، وكان استاذاً للتاريخ في جامعة رانسن ، وارتقى بعد ذلك منصب رئاسة الجامعة ، ثم انتخب حاكماً لولاية نيو جيرسي ، فكان شعاره في الميتمتين اللتين تقلدهم الحزب والنضال ، وتوحيث الاطوار الى شخصية هذا الرجل القوية ، حتى غرر بانتخاب الرئاسة سنة ١٩١٣ .

ولا جدال في ان الرئيس ولسن كان فيلسوفاً اجتماعياً ، ولا جدال في انه قد تمكن تخفى عليه خافية من اوساخ الدولة في الولايات المتحدة ، وانتم وهاه على ذلك مدحوا برأيه التشرعي الذي اعده في النصف الاول من مدة رئاسته ، واول شيء اقره هو ان الزعامة الحزبية من الهباء الاولى انما هي للرئاسة ، وهي حقيقة اخذ بها وطبقها كل رئيس قوي . لكنها تمنع صراحة من لدن احد قده ، وخلال الستين الاوليين احدث تغييرات في نظام الولايات المتحدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية هي في الحقيقة املاحات مغرية ... وكان عندما تسمع رأيه على اي تنفيذ في المصالح يفتش ، ولا يتحول عنه قيد شمره ، وكان ينفذ به حزمه الى دقائق الامور الادارية ويدهش بعمومه أسر رها ، وصلاحه العامة هي رائده الوحيد ، ولا يبالي ما صنع في مقاومة خصومه ، وفي هذه الكلمة ما يبرجم ، تطوي غايه نفسه ، يجب علينا ان نرتاب بكل رجل يريد ان يتخذ حيود البلاد وحاجتها وسيلة ، آتية وزيادة ثرائه ، وان سهر حتى لا تكون فئة ولائات مكملة تفسد نظامنا ونضرب شعبنا ، وان لا ندع سبيلا للحيلة ولا لبرشود تفضلنا الى حكمنا وادارتنا ، وكذلك قوله : المصلحة لا تؤلف بين الرجال بل انها تفرقهم ، فهي حدثت ثورة في المصالح التي كانت متفقة ، فن عرطف الحسد به على لاثر ونجس من وراءها الحرائر ، اما الذي يجمع بين الناس ويؤلفهم هو حاس مشترك ، الخلق الكبري ، وقد اخذ الرجال يبحثون منذ لاج بجر خربة عن حقوقهم ، ومضت مئات السنين حتى اصبح الواجب المنعبر لاون الحق ، والشرط الذي يدرسه الانسان حقه هو ان يقوم قبل كل شيء بواجبه .

اقدحلت حرب سنة ١٩١٤ دول تحقيق ما كان يريدته بلاده ، ولكن انقياده

خوش عجزها جعله يمكن في تطبيق قواعد الحق و واجب في علاقات الأمم بعضها ببعض ، وفي حماية السلم واحداث كوارث الحرب ، ومن الخطأ ان يظن ان المنازعات الحربية هي التي كانت السبب في ممارسة امته شانه ، فان الولايات المتحدة قد خرجت من الحرب وهي اكثر مالا ، و عز جانيا ، واختباراتها انطقت في مدى ستة سنة على انها ليست معرضة لخطر ، ولا تدعى بحاجة لاتحاد اندابر لحماية السلام واحة امنية في جميع قطار الارض ، وهي تعتقد ان موثقا كافية سد حاجتها ، و ان اوروبا ستطوّر ممتدة برمتها ، وقد اثبتت من الحرب باطفر ، و خرجت خارج في حلف اربعة واثلاثون ، مستقر في عوسم تلك الحكومات المتحالفة التي انشأتها مصائب الحرب و مخاوف مستقبل ، و كانت سعيدة لانها في امرها مثلا على الاستماع لتحقيق و حل مشكلات الامم ، بعيدا بوساطة مؤتمر الأمم المتحدة للنصر وحرقة عالية لجواره ولا على منعرتي بعد ذلك ، والرئيس يشدد اصرار ويريد ان يربطه بصفة المصمم الجديد ، وكانت عصبة الأمم يمكن ان تصبح اداة لاصلاح و انما امدت بالقوة الكافية ، وهذه القوة كانت لتجد ثباتها المعنوي عند قس غير مكثف ، بل عند قوة كالمالات المتحدة التي رفضت ان تشترك في العصبة ، و فقدت بذلك المصلحة ، يصيرها من حجاب ، قد جعلت وليس في حظه لالانه كانت نفسه الحكمة — كما انني بمطرية — ولا لانه يستطاع ان يغير نفسه ، بل لان الله كان في حال لا يمكن تغييرها ، و قد تكون فيها الكفاية الاستعلاء بآدم المصير الذي افهم على عاقبه ، وهو ما يمكن استطاع ان يعمل اكثر مما نحن ، كما رجل اقوي فدي ذكر في اساطير اليونان وقد رله ان يصاب الفخر الذي لا يفت ، ولو كانت لديه من القدرة في غير النفس فقدر ما كان عند رئيسيين يودون رور و رور و فو يمكن رور و رور ، بل كدلت من المحتمل ان يكون معرضا لخطأ والاحقاق ، لان عجز الولايات المتحدة عن فهم ضرورة انشاء عصبة الأمم كان شئنا مؤثرا فيها ، ولا يمكن ان الله من يبدل الداعي الى شل من ضرور بناءة والحذق ، و اذا كانت حجة و من اقل قوة وصلابة ، فل نفوده المعنوي كان اعظم اثرأ و اهد غابة ، و قد كان قد اخطأ فذلك لانه كان يعرف الكتب

كثير مما يعرف الزحاح ، وكان كثير الاعتماد على حرية الفكر ، حتى انه اراد ان
يعرض العقل من العاطفة ، وفي حق ان كثير من المبدأ يخطئون .

على ان كل ما يقال في العلاط الرئيس (السن قد تطوي معه في خدمه ، ولا يستطيع
ان يبعثه الصرخات الدولية السبعثة من ارجاء العالم ، وليست الشخصية القلقة شيئا
هي التي عجز الآن في النفوس ، ، كان الزحاح السياسي الذي كان يدعي ، كقول ،
بوجه الخفايق وحدها ونعنت مظهر غفلة ، زحرفة ، والذي اراد ان يخرج
السياسة الدولية من اديت التسلط والرهات ، للسياسة وحده ، لا انتشار ،
و يدخل في حقائقها ، وقايدھا ، خارج من القوة وحل من النعمة ، ثابت من
سياسة التوازن ، عقودها العزلة ، شتا بفصل في الخصومات ونعني حتى السلام
وإصون حقوق الشعوب ، مساوي بين الأقوي والصغار ، ذات هو الحق العمام
الحديد الذي مارا ان نفس اليه الانسانية كالحسن في التخيالات والاحلام ، الاتاني
والذي لا اطلع شئ به وحده ، كقول ، نفس ، ، كان أسير على مهل فتبدد الظلمات
حتى غلا النكون اصيائها .

٢ حرب سنة ١٩١٤ ومسؤوليتها

عاشت اوروبا قبل حرب ١٩١٤ في سلع مصلح ، وشأ زحاح سياسيوت
حديثون ونصائل شأن الدول في السياسة ، وسافحون من الاحزاب والاصم
الاشتراكية اقثرة على السلام والعدالة للحرية التي تشبه الحكومات ، ونقول
الهن المنكري كحولا ، عظم الفتنه المموره ، حساسية وغضب الدول عواطف الحرب
ونادت الى عقد المؤتمرات السمية ، راء الخرافات المعبدة ، ثم كانت سياسة
ادورد السابع التي دعيت سياسة التلميق ، لامانية وجأت على تر سياسة التردد
بين صداقة لامانية ومعد سيا ، وبعد ان كان بعض رراء بريطانيا مثل شيرين
الكبير يدعو الى عقد معاهدة بين الشعوب التي تتحذر من اصول حرية ، تنكثرة
وامانية والولايات المتحدة ، حلت محاولة عليه الكافي في تشييد سياسة عليه ،
اساسها التحريض على السكائرة وعلى اسطولها البحري ، حتى ان الاميرال توتز

الذي وصفوه بأرجل المجيب كان يدعو له أنت تمجد به الحياة حتى يرى خاتمة
تسلط الفكرة على البحار ، وكان الأسطول الألماني الثاني يركب في
سجلات مفاجرة معارضة الانتصار على الأسطول البريطاني ، وأصبح مستقبل ألمانيا
على سلع البحر ، وتوقفت سياسة الأسطول على أي سياسة ، حتى أن دوييلوف
كان يتكلم في كتابه من أرنبر الذي كان يجمع الأمرين من لاسم إلى السياسة
التي ينبغي اتباعها نحو بريطانيا ، وقد كان لامبريلور غلبوه غير تنعمه إلى كل شيء
الأ إلى ما قبل في شأن الأسطول وما يتعلق به ، حتى أن حبه لاسم ودوارسه
دفقه عن الاستفادة منها في تلك الحرب ، وشيخى بذلك قلبه مشتهر رابر الذي
وفت عليه مصيره وحريته وحياته ، وكان الأسماء الألمان يتقدمون الأمر طورية
الانكسار التي تؤسس على فوسد منطق وكان على فوسد التاريخ ، ومع أنت
التوازن الدولي كان لاسم فقد كانت الحشوة من التوسع لألماني عظماء ، حتى أن
رحلاته على المعمور كان تحدث ببادئة المناوبة القتل في أي حضرها ونحو أساطيلها
والدريد تحرقها ، وهو يرى حوس تحرق الحرب ليس على الشعب البريطاني ،
من أن يقاء الحياة بالاكثار من العمل وأخط من مستوى عيشة وترعد .

وكانت فرنسا تعيش في هذا الانقلاب منذ سنة ١٨٧٠ ، وقد ارتب بول
بورجيه في ما كتبه سنة ١٩١٣ عن آثار السائدة عند فريق من المفكرين لأسم
المسكرين وحدهم يقال : أن حولا مارس الحروب وحسن الفنون يورث حلفاء
ومثال الذكاء العظيمة التي تسمى عدم حزم وانحياز في معالجة الأمور الخطيرة
الموقوف في وجه الموت ، وأنقى الأدب يحدث من الضم ومن رغبة الطاعة
هذا الحد ، وهذا الاندفاع ، وهذا التمسك ، وهذا الشعور سقائى - ثلاث الصفات
المسكرة للحضارة التي تنقلب في محال الفكر كونهن التثليل الحقيقيين وإنشاءات
الصحيحة . . . وبأنشؤ الشعوب التي أس لها تاريخ ، والتي تسمى بالقول الجيد ،
فهي لا تعرف هبة العنولة في ساعة الخطر ، لا تدب منها مد يد بطول ، . . . ومما
الاحكام الخفيفون الذين يدعون إلى اسد - عوت لا الحياةيون الذين لا يشك بدعوتهم

الى انحطاط النفس وفساد الروح - هذه الرذيلة البرطانية التي رجعت عندما نظن انها ستنتشر في فرنسا ، وما اكثرتنا نواح نفوسنا ونطقنا صدورها عندما يرى انه لن يكون شيء من ذلك ... فالجرب هي في الحقيقة باثرة مقدسة ، وفكرها وحدها كافية لان تبعث في الشعوب النفس القومية بهذا صحيحاً .

عكذا كانت اوروبا عندما كانتها حادثة وفي عهد اسبسة . وقد نزلت نوار الحرب التي بعثت الوسيلة الوحيدة خلال اقتصاد الدولية ، وكان حريف الجهاد الانجليك هو اسبب المناسبات لاشراكها في الحرب . وتذكر اني ارسائها يومئذ ثمانية بدويك من الوثائق التاريخية بعد ردديها الى الحكومة الالمانية لقب ديباقوسيلة عن اعتماد فرنسا لاحراق البديكيت ومهاجمة ثمانية من هذه الاتحاد ، ولاشك الحكومة الالمانية بانه اذا غلبت البديكيت ابواررة في حينها ، فلها لا تسعير من حدثتها ان تخرج غفوة القربسين ولا ان تدفع عن ثمانية الحظر الذي يستهدفها . والواجب المهم على المانية هو ان تدفع عن كيانها وعن مقامها . وان تدفع ما مدها من خطر هجوم العدو ... والحكومة الالمانية تشكك في لاف اذا كانت البديكيت ترى من العدوان عليها ان تتخذ المانية الوسائل التي احمرها عليها عندوها الذين يريدون اجتناب حدود البديكيت ... ورجية في ازالة التي هي الحكومة الالمانية ملين نفسها لا تريد ان تقوه بأي عمل عدائي في بديكيت ، واداء وفقت هذه الدولة مواقف الجهاد الذي قاما تضمن لها سلامة اراضيها وسفلات بلادها ونزع عنها بعد عودة السد ... واد وفقت موقف السد . واد ان تحول دون تقدم جنودها وان مقاومتهم تحمونها ، فهي آسفة لانها تضطر ان تتجدها عدوة ... وهي بهذه الحال لا تستطيع ان تتهد لها بشيء . وتندع تفكير الملائق بين الدوليين في ما يكون عليه حكم السالاح . والحكومة الالمانية تؤمن في الأمن ان لا يقع شيء من ذلك وان تبقى حالات المودة التي تربط الدولتين الحاربتين على حالها .

وقد ابلات حكومة البديكيت ان هذه المذكرة قد انارت لديها عجباً الى عميقاً ، وامامت قائلة : ان ميمزى التي في راسة يخاف ان كبد لها ، وهي اذا فعلت

غير ما ينتظر فان بلجيكا ستقوم بجميع واجباتها الدولية ، وسيقاوم جيشها المغربي
اشد مقاومة ... وانت بلجيكا التي ضمت الدول استقلالها وحيادها ، مقيمة
على الوفاء باعاهدات عليه من غفودها وحسن الاداء لواجباتها ، وهي لا تقصر في عمل
يصون استقلالها وعمله بحرما ... والتمرس لاستقلال بلجيكا وتهديد المانية اياه
انتهاك مبرمج لحقوق الدول ، ولا يوجد سمع عسكري يسوع هذا الانتهاك واداء
قبلت الحكومة البلجيكية المقترحات التي عرضت عليها فهي تصحي شرف الامة
وتقدر بواجباتها نحو اوروبا ... وبلجيكا الماطشة الى ما بذاته في سبيل الحضارة
منذ ثمانين سنة ناني ان تمتد ان استقلالها لا يحافظ عليه الا بانتهاك حرمة حيادها ...
وإذا خاب ما تؤمله فان حكومة البلجيك ، مصممة كل التصبر على المقاومة بجميع
مالها من الوسائل لكل اعتداء على حقوقها .

اما ما ذكر من احكام احتياز الحيوض الفرنسية حدود انولجيك فقد ثبت في
بعض الوثائق التي نشرت بعد الحرب ، انت انسيو وانكاره . عندما كان في
رئاسة الوزارة سنة ١٩١٢ كتب الى مدير فراسة في اندرة بول كيون ، يذكر
احكام مهاجمة فرنسا بلجيكا اذا نشبت حرب بينها وبين المانية واصطارت لغزالة
حيوشا . ويقول وانكاره انه من الممات لا تبقى انكاره محايدة بين فرنسا
والمانية وان كنا الماديين ، ولا نزال ان لا نذكر الامتلاء وحده ، هل يمكن ان
نعد من وجهة شرعية مسؤولين عن اعتداء مائة اعدادات المانية جيشا في النجا .
اكس لانبايل ، وحملنا على حاية حدودنا الشرقية باحتراف ارض البلجيك ... ومثل
هذا التوسيع الخطير ما كان ينبغي ان يسجل في وثيقة سياسية بل ان حدثا بين
الرئيس والمفكر كان يقوم مقامها بدون ان ينبغي له اثر .

وكانت ايطالية في ذاء تحالفها لمانية لا ترغب بان تغلب فراسة مرة اخرى .
وتعد ذلك مضرآ بنصالح الايطالية ، خطرا عليها ، وإذا استطاعت المانية ان تسحق
فرنسا في حرب جديدة فان ذلك يؤدي الى اوسع مصطنعة مفرطة ، وهي تكون
بسبب ذاته موقفة وزائلة ، كما كان يجري في عهد نابليون ، وإذا تم مثل ذلك اخلت

الأنوارون التي كانت بحرين عليه إيطالية ، ولذلك فاستمكن ففعلع سالاتقوا مع لندوة
وباريس ، وبعد سببكن برسي ألمانية التي كانت تريد من أخيرة خططها وأمالها
ماتكره على حليفها ، حتى أن ذلكاسة أعلن في مجلس النواب أنه ينبغي أن إيطالية
مساعة لا شتوت في أي انداء على فرنسا ، وكان موقف اللندوين الإيطاليين في
مؤتمر الجزيرة اقرب الى انكلترة وفرنسة ، وحلاصة مايقال في سياسة إيطالية قبل الحرب
أنها كانت تستعين بالتحالف لثلاث لتحقيق خططها وتعزيز قواها ، وتعمل على
مقاومة النممة التي كانت تتسائل سبب نمو الفكرة القومية وتماطد شأنها ، وقد
كانت إيطالية سبب في شانورين في زمانه رسة سلاسلها فاضحة للحرية . وكان
هذا التاريخ سبباً وبين النممة يعمل هذه على قناتها في انداء الحرب التركية بعد
الندوة فرنسا الزلازل وقد عارض في ذلك لأمبرصور فرانسوا جوريت ومارسة
سلبية أكثر منها إيجابية ، كاشه وحاء بين طبعته كان يرى إبادتي الإحلافة
بست مرأ لاقيمة له ، والإيطاليون يتجهون انداء كبره لاقتلهم على حلفائهم
وحاربهم في صفوف اندائهم سنة ١٩١٥ . ويقولون أن التحالف الثلاثي كانت
غايته دهمية وأن المادة السابعة تنص على وجوب اتفاق النممة وإيطالية في شؤون
البلقان ، على أن النممة مد سنة ١٩١٣ كانت تنوي الاندواء على الحرب ، وقد
عارضت بذلك رومة معارسة شديدة ، معها انداء النممة الحرب على طريقة القف
إيطالية انكلترة وفرنسة حيادها في ابلقت ذلك الى حليفها ، وهو يقولون أيضاً أن
بسمرك كان قد مع روحية ميثاق التضامن المتبادل في وقت كانت فيه الحرب
محملة الوقوع بين روسية والنممة ، وقد راد في خطر هذا الميثاق به التي سبب
مكتبه ما ، على حين أن التحالف الثلاثي كان يقضي بطلاق النممة وقبلة على كل اتفاق
من هذا القبيل . ولكن إيطالية وحدها مكيفية .

أما مسؤولية الحرب ، فقد تضارب الآراء فيها وأراء انداء أن القوا على
المائة نفسها وجعلوها نسو بذلك كرها في معاهدة فرساي وقد عارضت بعد ذلك
على التصل منها ، وفي الحقيقة أنه كان شكل دولة صيب في الحرب ، كان الروساء

جميعه مسؤولون في افراد بارهنا : وقد كانت الجبال شليفين بمحاذات البراس
دو يملوف منذ سنة ١٩٠٥ ويقول له : ان اخل الوحيد من اوجه العسكرية
هو حرب بحلة مع فرنسا ، فان الكثرة لازالت خفيفة بعد حرب البور ، وروسية
تقاتل في اليابان وفرنسة في عزلة ، وقد ثبت بعد ذلك ان الرجل اسري العجيب
هو شتان هو الذي اوحى بهذه الفكرة لاجمال شليفين رئيس اركان الحرب في
الجيش الالمانى ، فاعترف بأنه عندما رآه الخطر من مشاطرة الكثرة لانتخايف
الروسي ففكرت عليه خطة كسر الدائرة قبل ان يتم الاتفاق ، وبه يهني كسرهما
بالد حزم ، فوى رائد لاجتماع امام شعبه الاحفاد ، وهذا ما حصل الفهم
على امر الى مدحة ، وفي هذا زمن رأتى شليفين رؤى الحرب بحرب الاخلاقية ،
ولكن هو شتان نفسه قد بعد ان انشأه قد طار له ان مثل هذه السياسة امر
مستحيل ، لان الامر طور لا يستقر على حال .

وقد اجمع الرئي في الثانية على ان تاجر هو شتان كان مصرافى عهده الممول
المكشوف بالاراء ، وكان له في فرنسا رجل عامس بنامه وكان يدون ان
يكون مثله عمودا بلا سائب امجية ، وهو دكاسة الذي كانت الآراء متقدمة في
شانه ، ولكن من كان من امره في فرنسا لا يستحسن سياسته التي ادت الى توبيخ
العربى بين فرنسا ويطاية ، ولى امره الالمانى الودى مع الكثرة ، واد كان
قال له مات وتغير هذا ففجدة حتى في عهد فردريك هذا لا يكون ما قام به
دكاسة حذر بالاشجب ، نعم ان رحاين : يار في رومه وكون كليون في المدرسة
هو لان الالمان هذه السياسة الخشنة ، غير ان دكاسة حقيقى بالخطا امجر
لأنه شد ابرر مادية في عهد بريس ان لانفتت حصره لان يدون امجية ،
وهذا هو سر الدراميين المسلمين الذي اهووا الضمت والذي لا يهيمون بالاجاح
ميرك المدوي ورائه ، وقد القوا العمل نقايت لانهم لول ان حكومتهم هي التي تحي
ميرها على حين ان تقوم : لاستكار تحقيق عليهم ، ومع ذلك لا ينكر ان دكاسة كان
يبلغ في تقدير نفسه ، وبما هي عند كير من اسمه الكبير في الشاء تأليف القرارات
وقد اراد في ايامه الاولى ان يكون معاونا في بعض التفصيلات فحقق ، ولكن كتب

له شأن كبير في مزاوله السياسة ، وقد مرت به مصاعب كثيرة وازمات عديدة
فدبجج في ازمة فاشودا ، وبينه كاد يغود الى الحرب بفضل يافاته ، لم يحسن اغتنام
الفرصة التي كان يريد فيها السبوري ان يخرج نهر الغزال من الحلاف الانكليزي
الفرنسي ، ولم يستفد من هذا الاستعداد للشاهل ، وقد احطاً كذلك خطأ آخر
وهو عدم حمله روسية على اجتناب حرب اليابان ، من كثير من كبار الروس يومئذ
مثل الكونت ويت كانوا يعتقدون بان معارضة الحكومة الفرنسية كانت تحول
دون الحرب ، ولكن نقولا قيصر روسية انقاد لجرأته غلب يوم الثاني على العرف
الاسفار وتحريره من حمله ، ولم تكن ككاسه كان يتوقع انتصار الروس الذي من
شأنه ان يعزز التحالف الروسي الفرنسي ويحلي كاهنه .

وقد يكون ذلك ككاسه مثل هو اشتاق لم يحس من التخويف بالحرب لاجل
دعم سياسته ، حتى انه جدد عارضة الانكليز في كتاب لندن ، الذي كان
يرمي الى تسوية المشكلات المعلقة بحداب الامور المعقدة ، بعد ذلك عزمياً للتحالف
وتاهدوت الثانية واشتد خلاف بين ذلك ككاسه وبين رئيسه روسيه ، كان يظن ان الثانية غير
جادة في تهديدها بماد روسيه الذي كان يرى فيه الخد ، وبمدان اسطر الى الانحداب
كان يهدد ان يدين ذلك الشك حتى انه التهم روسيه وكامد وبخيانة ، ولكن الثانية
لم تحسن اغتنام الفرصة ولم تسهل مهمة حلف ذلك ككاسه في وزارة الخارجية ، بل انها
احرجته ولم تستفد من انتصارها السياسي الاستفادة القرونة بالكرم والبر ،
واخذت تعفن وتماهي به ، حتى قيل ان هو شأنه ذهب الى باريس ليقدم ثمار
انتصاره هو ويحوي .

وكان بوانسكركه قد قدم برحله الى روسية وعاد الى بلاده ممجياً عما شهده من
قوة الجيش الروسي ، وانكر على ماتي وزير الداخلية ما تعامره من رغبة بهذه المظاهر
على ان روسية انب ان تنهر الاضطراب تظهر به في بطر - مع ، حيث توحيد على
الدوام الفياق انتاجية ، ولم انه بحث في دجلة الجيش الروسي وبما استطيع روسية
ان تقدمه ، ربما كانت النتيجة شبيهة بالبحث الذي قام به ملحق بريطاني ذات مرة

في دور صناعة البحر الأسود فوجدناها حية خافية ... من الخطأ ان يعتقد بقاءه في تلك المأزق وقد نسوا في باريس انه فعلا تكون القوة حيث يكون الخطر ، وقد كان انهمال وزير التنمية بعد نظراً عنه عند مرجع من سفارته في روسيا كان والقاء من ان قوة آل رومانوف موهومة ، وهذا سر نجاح سياسته الحريفة في البلاط .

وعلى كل حال فان دراسة كانت تشعر بانها مهددة فعلا عدت الحرب وصحب الخيس الفرنسي عشى عشرة كبير مغزات التسم الايمان هذا العمل الذي لا غنى ولا يؤخر في الحرب ، ولكن التسم الفرنسي ايقن به مهاجم في عهد دره : اما المانية فكانت تسمى سياسة التعمير ، وكان تمنع عوول فيقول في وصف سياسة الانكارية الممثلة لمانية : ان مكافؤ تتبع سياسيتها التقليدية في معاداة كل دولة بتعاطف حذرهما في اوروبا ، على حين ان سياسة المانية البحرية كانت تعمل احاطة بشعير ان المانية يريد ان تسقط سيادتها في قنار الارلس ، اذ هي قوى دولة عسكرية وتريد في الوقت نفسه ان تصبح اقوى دولة بحرية .

اما التهمة الموهمة على عاقبة في الحرب وهي تهمه قصر النظر والعجز عن ادراك الآراء الجديدة ومسايرتها ، وكثيرا على كل حال تهمه داخلية ، وحرب سنة ١٩١٤ هي حرب ميراث التهمه ، وقد شاركتها ثانية في هذه التهمة لانها كانت تخشى صياح التهمه ، على انه كان ينبغي ان نعلم ان التهمه قد بقيت سليما ، وقد حشرت ما حشرت به بسبب هذا الخطأ ، وهذا عجزت سياسة بسميرك انها تمس من مسؤولية بسبب الرغبة في المحافظة على التهمه ، فان هذه السياسة كان لها من اواريد وانصار طائفت لها اصحاب ونخبها الاحتمار ، فقد كان بسميرك يظن ان تامة فاعمة بنا احزنته ، وانها تبنى مشاركة التهمه في اى سياسة احتياطية في البقاء وتجاوز ان تجعل روسيا تعتقد بان تامة تصدها عن طريق الفسطينية ، ولكن الذي خلفه بسميرك ما عدا هو هتلوله ساروا بضارتيه ، في كل امر من هذه الامور .

وقد اثبتت بعد الحرب وناقى كثيرة لا يمكن الاستدلال بها على مسؤولية

دولة معينة ، حتى ان اسفر لم يبد حورج فل في مذكراته ان الحرب لم يرددها احد كما نت الآن ، واستثنى رحتولد مستشار النمسة ووصفه بالاحمق الذي يحمل البسمة المكبري في حدث ، وكان رجال الدولة في النمسة يريدون حرباً صغيرة تشن على شمس صغير فتعبد النمسة بعودها وكبرامها ، وذكر انه لم كان بسعرك في المانية وبهرسن في الكثرة وتيودور روبرت في امريكا وكلمسو في فرنسا لا يمكن اجتناب الحرب ، اما من كان يقدم مقاييد الأمور مثل بومن هولوغ وبوانكارة وبيفيان وبزحتولد وساروفوف وغيره ، فقد كانوا يبينون انهم لم يجزوا وسبق وحرمة ، ولكن لم يكن لديهم من القوة والقدرة وبعد النظر وسعة الرأي من يمين على انقاد بوفوف ، وقدر د في شتات الارمة ، حرجها وسودرجل في المانية ، طبر ، مصيف ، ممبرور ، انالي ، فشتت مساني التي كان يندلها عربي لعقد مع غير اوالاستمالة على النمسة بلمانية ، وعلى روسية بفرنسة وعلى الحرب بروسية ، واداً لم يكن احد يريد الحرب ، فل شعور المامسر العسكرية وخاصة في المانية كانه كثير كبير ، ولم يكن في الكثرة حزب عسكري ، ولكن الخاف من الحرب في التي كانت تؤثر في امس الشعب الذي كان مع ذلك يستمر الكثرة المستكرا علما .

وما تحت لم يدحورج في مذكراته تلك عن دخول الحرب ، فل : يقول الشعب النمسة في كل حرب في يندلها ويهتف لها ، وفردان واليون عندما اضطر الى رج الامم في حدى حروب : منهم يعرضون الاسرائل لأن وسكرهم ، فليل سيفلدون الاكبر ، وكما انهم بعد الانس ، الذي وحده بربطانية الى المانية اذا كانت تقدر عاجزة منها من الان ، وفوف لامرطورية البريطانية في جانب حصونها ، وما فتر انه حينئذ مناه اليوم صفيعة ، فكثير ما يكونوا يستطيعون ان يفتوا وا ان اسؤوا من معبر بانيه بعوده الفرور حتى يامروا هذه الامرطورية وقواها التي لا تفقد ، وعادها الذي لاحد في أحداث عميرا وخست غمرات القتال .

٣ - اقصور الآراء في اثناء الحرب

مفترحات الكنسة والاشفيك والولايات المتحدة

كانت احوال الحرب وسكانها دانية الى انتشار الآراء السنية والبيادي .

الانسانية ، فنجح الكثيرون الى الساعى اني نعمر الشعوب تؤمل ان تكون حرب سنة ١٩١٤ آخر الحروب ، وان يقوم في الناس قوعد سار عدل دلم يعطى فيه كل سبب حقه في تقرير مصير ، وكانت دعوى الكنيسة وثورة روسية ومفترحات الرئيس واسن التي حفظ رفقها الانصار في رهب الخرب ، وهذه المظاهر الثلاثة هي اني ابحت عذابي هذا المصير العسكري .

اما الكنيسة فقد كان رغم انها تحب في انما الحرب الى انصار دول اوروبا روساني ، والحقبة في ذلك انه اذا كانت الكنيسة قدمت بعض ائبل في يادي ، الامر لانصار هذه الدول ، فانه ممكن ان يكون بعضا ، ككثرة البروتستانتية وهنسة انماانية واثابة الحارة ، ولكن خشية من توسع الرومي الذي يمكن ان يطفه ، هي لارسي عن وصوله فتمثل الى الفطانية ، ومجروحة جديدة في المطار ركبة السكونية والذهب لارنود كيسي ، الذي ان ما بعد لانكاو يكتبة مد القرن الثالث عشر ، مصارافه بصرية الى روسية لارنود كية شد حصار في انرا كنية من انصار البروتستان والايك والآخر .

نعم ان البابا بنو الخامس عشر افرج سنة ١٩١٧ ان يعقد السلام على ان تقوم القوى المعنوية مقام القوى المادية في العالمات بين الدول ، وتعود الى المبح وحرية البحار ، والتحكم ، والتداول عن دفع كل عارمة ، الا حبيسة بلاد المحتلة ، ضمان استقلال باجيكة واحدة المستعمرات الانانية ، وتسوية المشكلات المعقدة بين النمسة وايطالية وبين عانية وهنسة طام ، رعت الالهين ومصحة السلام ، وتسوية القضايا الارمنية والبلغارية والنوانية طمة الفوائد السدسة ايضا ، وفي ذلك انقاد اشرف الجميع ، ولكن حبة هذا هي كانت عقيمة ، فسكرته المانية ، وانتقدته فرنسا ، ورد عليه الرئيس واسن فسكره قل لربا : به سقي كل شي على ما كان عليه ولا يمين على تسيير صرح السلام على السس فوعة عذلة ، وكان بطل ان البابا على وفق مع المانية بما دعا اليه ، ولكن حبر بعد ذلك ان النمسة فانكن غربة عنه ، وكان يراد التوصل على آل هابسبورغ ، عرض بولونية ، اما اذا لمحت المانية

عن الانزاس فن يوغوسلافية تكون تمويصاً لها ... وما كان يقال لانيافيا في اثناء الحرب انه يراد الاستفادة من نفوذه كان يهز بقوله : عجب ان تبحث عن نفوذنا الذين نحاولون كل نفوذ لنا .

وكانت معاهدة رست نوفوك بين لاتفيا وحلفائها وروسية السوفيتية التجربة الاولى للفرع بين لاسلوب التقدم والحدث . فقد امر لينين على الاسراع بالمفاوضات السمية بعد ان انصرفت الثورة الشيوعية ، ولكن تروفسكي كان يريد التاجيل والسوييف لاكتساب الوقت ، وقد ارسل في تشرين الثاني سنة ١٩١٧ بياناً الى جميع التجار بين يدهم وفيه ان عقد السر على اساس ديمقراطي بدون الحاق ولا سرقة ، ولكن على اساس الاعتراف بالشعب بحقها في تقرير المصير ، وان يمكن لحكم روسية الحداثيين ان اعلمهم بحقوقهم ومنعهم من اتمام اعباء الا البقاء في الحكم والاحتفاظ ساحتهم الخاصة . وكان ينادي تروفسكي عقد هدنة تكون وسيلة لاعلان الثورة في جميع الميادين . وما وجد بعد اتفاقا سرريدا كسر جزئين وزارة الخارجية التي تدير له مقابليها واحد عشر المعاهدات السرية والوثائق الخفية ، واعلان هو ولينين بياناً الى العمل والحدود بالاعلايين ذكر واقبه ان المشقة اخذت على عاتقها ان تحمل ثقل السر وتقدم اليه عدة طلبات العمل في الماء كاه .

وفي ٢٢ تشرين الثاني سلطت جميع الاعمال العسكرية من ايطاليا الى البحر الاسود ، وبعد ان اتفق البنشفيك مؤيلاً موافقة لاتفيا على البيادي ، الاساسية التي وصفوها بالسر ، واما ان يساعدوا الخاية الداخلية في لاتفيا على ادرار ما يريدونه قل تروفسكي بعد ان كشف له قبايع عن بيانه هذه الدولة : ان مون كرمين قانع بان البيادي ، التي نادى بها ليس الا حذراً ليجي بهر ، واننا في حقيقة امرنا نادر لاتفيا بما تريد السيطرة عليه من بلاد وشعوب ... وعندما كان تروفسكي يجتاز الرسوم الدارسة خفاطة الجيش المقدمة كانت الحدود التي تمثل نفوسهم بالثورة والغرضي بتادونه : ان تاريدنا سر على كل حال ... ومن كلف الامر : وكانت ساعة مؤثرة لتزسيم السوفييت ، فبحث في فزارة نفسه عن كلمة تؤثر عنه ، وفل : ان العمل

والفلاحين والجنود بفكوا رقبهم من سلاسل القبحية ، ليضموا فيها السلاسل
اخرى - هي سلاسل الجبروت الالهي .

ولما التقى الفريقان جماعة الثورة الروسية ودعة السياسة الضيقة في الدول
المركزية بقيادة الجنرال هوغن وكريمن وكزاريين وطلعت بالثأر ، ابتعد الروس
كلامهم كأنهم الفانيون فحينئذ هوغن على هذه النتيجة اني كنهل اسبابها وجود
المحوش الالمانية في البقاع الروسية وحرب يده على منصفه ، فوقف وكيل الشعب
في ورادة الخارجية وعلى شفعية التسمية المزدورة والسحرية ، وقال : نحن لا يريد ان
نشتعل في الحروب الاستعمارية ومعارك الفتوح التي تسفك فيها دماء في سبيل معاليم
التعطيلات المالكية ، ولما استقبل بعض العدد من الجبروت في عسكريين ، منتظرين
الساعة القريبة - وقربا ملوحها الامر - اني نقبض فيها الخلفات امامة الملائكة
المطهارة على ارملة الحسك في جميع البلاد ، كما فعل الشعب العادل في روسيا ،
واعلم ان الان الشرط اني تقربا علينا الحكومات الالمانية والروسية والغربية
هي على طرفي نقبض مع منع جميع الاشياء ورفض هذه الشروط الاستعمارية التي
تكتب باطراف السيف على اجساد الشعوب .

لقد دهش مندوبو الدول الروسية لدى سماع هذا الكلام ، وقد سمع تروفسكي
بدهشة شاملة ، وحين انقضاء السك الذي - سبق له مثال في معرض في جنيف .
وكان اعجابه بما قاله بانها حده حتى نه كل يوم كلمة كلمة امام سوفيت بنوعراد
والكن اثنين لم يكن من رأى تروفسكي في امر الشر ولا موافقا على هذه الاتساليات
الكلامية ، وقال : ان سياسة رفض الشر التي تفرج عنها قد تكون مفيدة للرجل
الذي يريد ان يستطيع نجاة من غير ان يمس باسمه اقوى بعضها الى بعض بين الطبقات ،
اما المائنة فقد استأثرت حمتها بعد ذلك وحدث تحت ما يريد بدون ان تجد مقاومة ،
وهذا ما لم يكن يعتقد به تروفسكي ، ولما رأى اني تردد السوفيت بقبول تلك الشروط
المائنة الخزية الثقيلة هدد بالاسحاب ، وقال : نعم ان شروط الامان لا تظان ، ولكن
على من نستطيع ان نتمد ؟ وقد يقال ان هذا الشرط مرد لنا ، فحبيب نعم انه مرد لنا

أصافاً ، ولكن لا نستطيع إلا قبوله . فكل السوفيت حيث تدعى إرادة زعيميه ولكن
تروفسكي طعن مستنكفا ويرر موقفه بقوله : الآن تقف ألمانيا في جيروتها وساطاتها
أمام العسكرية الانكليزية والفرنسية والأمريكية ، وهذا وحده يبرر السر بين
روسية وألمانية ، ومن الواجب أن نستفيد من هذا الموقف ، فمصلحة الثورة هي
القانون الأعلى الذي تدعى له ، وبناك لا نستطيع أن نرمض هذا السر فملينا أن
تقبله وأن نتاح قليلا منصرفين بجميع قواتنا إلى العمل في داخل البلاد ، ولا سيما
إشغال الجيش ، متى سمحنا لقوة هذه تحت علينا أن نحارب ألمانيا ، متفقين مع
عالمنا الناهضة .

وكان تروفسكي يكتب في أثناء المفاوضات رسالة إلى لينين قال فيها : أثناء تقرير
أن الحرب انتهت ، ولكن لا نقدر سلباً ، إذ من المحتمل أن نوقع السلام الذي يرضونه ،
وقد اتفق الألمان مع الحكومتين وهزيمة القائمة في بولونية وبلوانية وبلونية مما
يتعلق بالتنازل عن بعض الأراضي ويتعلق بالاتفاقات العسكرية والجركية وغيرها ،
وإذا نظرنا إلى هذه المناطق من حيث ميدان حق الشعوب في تقرير مصيرها ومن
حيث التكوين الألماني نفسه ، فلنأخذها قدامنا بعد منذ الآن بالإدانة مستغلة ، وقد
وقعت هذه الصفقة والاتفاقات خرافية مع ألمانيا والنمسا ، وبنا فحاشية اليوم بهذه
الحاج ، حاشية الحوشية والصفحة لا تدفع بحالاً كانت .

هذا وإن وحس الحرب لا تزال دائرة في أيدينا الغربي ، فمعاليتنا ألا أن تقرير
إنهاء الحرب ولكن بدون توقيع صلح .

وفي أثناء التوصل في مؤتمر رست تومسك ، طرأ الرئيس ولينين موقف
تروفسك التشكيك في شي على مبدأ قيساري في رسم صلح لا يقوم إلا على الفتح
والاستيلاء ، وذكر أن هذه سياسة كانت على حق وصوب ، والاتفاق مع راجل الديمقراطية
الحدقة ، وإسراهم في أن تكون مفاوضات مؤتمر ثانية بشرطها من ريد ، لأن
تفلق دونها أبواب وتعقد في مسكن الإسراء ، وقل :

نقد عاب الشعب الروسي وهو الآن بدون عون من القوى الألمانية التي تظهر

بعد تسامحاً ولأرحمة ، وإذ كانت قد كسرت قوة ذات الشعب من روجه لأزواج
بميدان عن الوقوف في مواقف الخوف ، وهو لا يريد أن يستمر لأمن حيث ابتدأ
ولاً من حيث الخلل ، وقد عرفت بمسألة العدالة وبعد تطور شعوري وتضامن
عام ، يستحق أن يجالس كل صديق الإنسانية ، عن قناعة فيه هو عدل وحق وبها هو
الإنساني وشريف ، وبلى التماثل عن مثله الأعلى وإن يستمر لغيره حتى بمقد نفسه ،
وهو اليوم يتأكد أن نطق صائده وإن يصحح في إذا كانت حطاطاً وإيماناً
تخالف بأمر عما لديه .

فالمبشاة ورعتها هي أن يعود علماء حيات السعيدة في مدى بها نحو وصح من النهار
بحيث لا يكون فيها سر كرمية ولا انقسام في نظوي القوت عليه ، فزمان المنوع
والنوع قد انقضى ، ولم يكن أقصى عهد نهضة السيرة التي أمجد بصاحبة هذه
الحكومة أو تلك ، والتي تكون في الغالب سداً للمكبر الذي في الحاة وإعداد امره .
والمرجع الوحيد الذي قد يضمن السلام في الأمة يكون في تحقيق المبادئ والآية :

- ١ - اتعاقت سائر علية .
- ٢ - حرية البحار .
- ٣ - إلغاء الجواز الاقتصادي .
- ٤ - تعهد التسليم .
- ٥ - تسوية الأمور الاستعمارية بكرة وسجاء .
- ٦ - الخلاء عن البلاد الروسية .
- ٧ - الخلاء عن البلقان والموافق عليها .
- ٨ - الخلاء عن الأراضي الفرنسية المحتلة وأحد الأراض والمورس .
- ٩ - تعديل الحدود لأبصارية .
- ١٠ - تحتم الشعوب التابعة لبلدية والمجر سيادتها .
- ١١ - الخلاء عن رومانية وصربية وأجل الأسود .
- ١٢ - استقلال الشعوب الخاضعة لتركيا استقلالاً ذاتياً .
- ١٣ - إنشاء دولة بولونية ذات منفذ إلى البحر .
- ١٤ - تأليب عصبة دول عامة على فائدة المساواة بين الدول الصغيرة والكبيرة .

والبدء الذي ينبغي ان يسود هذا البرنامج هو المدل الموزع على جميع الاثم
وجميع الشعوب قوية كانت ام ضعيفة ، وادام يتحقق هذا البداء فن بيان المدل
الدولى يتداعى من انفسه .

وكتب كزريين وزير خارجية النمسة السابق عن مؤتمر برست ليتوفسك ،
فقال : سم عقد الصلح في ٣ آذار سنة ١٩١٨ بين السوفيت وبين الدول المركزية
التي انتهت حالة الحرب بينها وبين روسية ، على ان الاتفاق الذي كان وقع في ندرة ،
في ٤ ايلول سنة ١٩١٤ بين فرنسا وبريطانية المظلي وروسية ، يقتضى على هذه
الاحيرة ان لا تعتمد سلباً منفرداً ، ولكن ثورة روسية واستقلال السوفيت على
مقاييد الحكومات الاوروبية في هذه البلاد رتاً على عقب ، وحمل المانية في حالة
استطاع ان اتفق سر مع روسية ، وقد اتفقا ماهدت اخرى بين المانية وفلندة
ورومانية واكرانية ، بحسب هذه الماهدة تسرب ، وسية عن نحو مائون كيلو
متر مربع و ٦٣ مليوناً من النفوس ، وتغلبت من اقرص والبالوم وجزر آلاند ،
واضيفت ماهدة ملحقة في ٢٧ آب من السنة نفسها ، حطفت من شروط الاولى
ونهدت فيها المانية بان لا تتدخل في شؤون روسية ، ولا في تقسيم دول البلطيك
وتفليهما ، ولا في حورجية وماكومتش و ما اخرى التماق في بولونية واولونية وماندا .
وكانت دول اورية اوسطى قد اتفقا بها منذ سبب ١٩١٧ انه من الممكن
مصالحة روسية على افراد ، وتلق تقريراً في هذا الشأن من بعض البلاد المحايدة ،
سبر ان هذا الصلح لا يطر امره وفهى على شروطه في مرساي .

٤ - طائفة من افوال الرئيس ولسن

السلام والشرف : البادي امريرة التي است غنيا حياتنا السياسية اعظم
من السلام في عين الشعب الاميركي ، وهو في كل حين متشعب لتدفع عنها وصيانتها
من كل اعتداء ومن كل اذى ، والتي هم يتعلق في لا يستحي ان ارضى مطلقاً ان تنافس
حقوق المواضنين الاميركيين ، ففي ذلك ميعس شرف بلادنا وكرامتها ، ونحن

ونحن نريد السلام ونحافظ عليه ، ولا نحن بشي في سبيله مانعنا الشرف الذي هو
اعن علينا منه .

الانسان السياسية الجديدة : ان الثورة التي نستخرجها من هذه الأحداث
المفاجئة والاحوال الخاطرة التي تمر بها الإنسانية تفتح بخلافه دور المعبود .
وذلك انه بعد الآن يبقى ان يقوم السر في اعاد على اسس قوينة جديدة ، فتشعر
بان الحضارة قد احدث تسوية وجودها وتراجع عن حقها بالاعتزاز الهائي ، وجدير
بالشعوب ان تحك في مستقبل الأتمة بقانون الشرف الرفيع الذي يتفاد مثله الامراء .
المستقبل : المستقبل الغريب بحسبنا بدون ان يكون مصطلحاً تواجه اموراً
مدحجة متمدة ، فانحن فيها قدرتنا على قيام في هذا العالم انقام الذي نطبع اليه...
هذا المستقبل لا يسمي ان نجعله وسكن بنمى ان يسوقه ، ونقعد الى بدل افضل
ما لدينا من جهود ومن بالاعاقة صدق وعادة ، وانس في مقهور شرب ان يحسب
في عرلة وانفعل ان كانت حياة سائر الشعوب ومضاجها مهددة بالخطر ، وانما
ننظبط بقديم اليوم الذي لا يطر فيه الناس اليها من جميع الاربعين بامجاب يتجدد ،
والكن ينظرون اليها نفوساً كبرية تهتمها الانسانية لاسفحه ولا الساطة المستقرة .
السلام الذي لا كراه فيه : السلام يجب ان يكون بدون انصار ، وهذا
امر لا يرغب فيه ، ولكي يجب ان تف من الحقائق ومها لوجه ، بدون مدح
ولامؤاربة ، فمن الانصار هو السر الذي نلح فيه على المنكر بمرحط سائر
الغلوب ، وهو يقبل في سائر وديان باكره ، ونسبل في سبيله سحابة مؤنة ، ونبقى
منه في النفوس جزرات وضائق ودكرات مبررة ، وسر كره السر يقوم على مثل هذه
الاسس هو سر يبنى على شفا حروف هار ، اما السر الذي يدوم ، فهو الذي يقدي بين جماعات
الكفاء ، ويؤسس على قاعدة مساواة والاشتراك في تبادول المنافع ، وكما انه من
اللازم لتأسيس سر عدل ، ان تقوم في الشعوب حالة نفسية عادلة وشعور بالانصاف
ومحبة له ، فكذلك من اللازم ان يكون هنالك تنظيم حتى تشكلت البلدان ومشكلات
الاجناس والشعوب ، وقدمضى الزمن الذي لا يراد فيه العدل الا في توريح الحقوق ،
فالذي بهم الانسانية هو حق الحياة لاسياسة الدول في التوازن .

الدم والحق : الحق هو اعظم من الدم ، ونحن نقاقل في سبيل الغايات التي ما رحت اعز شيء الى قلوبنا ، في سبيل الديمقراطية ، في سبيل أولئك الذين يطاعون رؤوسهم للسلطان حتى تفتح في وجوههم الندايب والفسادات ، في سبيل حقوق الشعوب وحرمانها ، في سبيل الحق الذي ينبغي ان يسود العالم ، والذي يؤسس على اتفاق الشعوب الحرة ، ويصون السلام والأمن بين جميع الشعوب ، ونحمل العالم متمسكاً بالحربة المنيعة ... وفي سبيل مثل هذه الغاية نستطيع ان نبذل كراتنا نفوسنا وفنائس امواتنا وكل ما لدينا ، مع حري به اقرب اليوم الذي تصحى فيه امر بركة دمها وقوسها ، دفاها عن مبادئ ناسي شايها بديها ، وعن الرضا والسلام اللذين هما ثمن متغرس عليه ، مذهبها لله بموته فهي لا نستطيع ان تصنع الا الذي حسنته .

الوسائل : ليس لنا ان تبحث عن الوسائل التي ليست هي الا سبباً محبوباً وثابة ، فالوسائل المماثلة لا تحمل الا بوسائل عمالية ، والمباراة قليلة الخدوي .

الحرية : ما من شعب يمكن ان يكره على ان يعيش في ظل سادس لا يريد ، وما من ارض يجوز ان تتداولها الايدي بدون ان يضمن لها نصيب عادل في الرغد والحرية ... وحينئذ فان شعوب الحرة تتجمع في عمية ، وتماون بصدق وجد ، حتى تاشي قوة متحدة قادرة على ميدان السلم والعدل وضمان في اطلاق الدواية ، وحينئذ تصبح الاحوة الانسانية شيئاً غير الكلام ، تنطق انوارها ، وتصنع منسج حقيقته حية قوية ، ويشعر الشعوب عابرين من حلة وضامن ، ويشد بعضهم الزر بعض بخالص ، حتى تجعل مصالح الحرة ، تتحرك بأصل من سدة العلم والعلمانيان .

العلم : هذا جمع الذي يصنعنا هو الاحتفال في يوم العلم ، وهذا العلم الذي يحل ونكرمه ونعمل في مثاله وامثاله ، هو رمز اتحادنا وساطتنا وخيرنا الوطني ، وآمالنا القومية ... هو نخف سامنا في حلال وروحنا في الحرب ، وهو في صمته يفتح عن يمين ، يحدثنا عن الماضي ، عن الرجال والنساء الذين سبقونا ، وعن التاريخ الذي كشيء لنا في حياته ، وما اكثر ما شهد من الحوادث

الحسيمة منذ يومه الأول الى هذه الساعة . وما كان عنوان فخره من الخطط
الموسوعة الشعب كبير . . . وسخره في معركة الغد عالياً فوق نيران الاعداء .

اليمن : اسأل الله ان عدني بالحكمة وبخذر . حتى اكون قادراً على انعام
مهمي وحسن القيام بواجبي . كما يريد هذا الشعب وينطق على نفسه . وما انا الا
خادم له . ولست بباح لتجارتك انما يؤيدني بنفثه . يرشدني برأيه . ونصيحته . وكل
ما اعتمد عليه واعتقد ان يكونه لافائدة من كل رأي وكل جهد . هو اجماع اميركة
واتحادها في عواطفها وفي تمثيل واحسانها وتحديد الوسائل التي بحسب القيام بها لخدمة
الانسانية . . . ونحن جميعا متحدون في اغنياء بواجبنا . صادقون في عزنا وعزائنا
... بعد افسنا لامل العظم الذي هو عظمنا بهذا الآن . اما اتأفألك ان تسمعوني
وان تؤازروني . وسيدجني عما قريب هذا الاعلام الخيم فوق رؤوسنا . وسير في
طرق واسعة نيرة اذا تمسكنا باحلافنا وحرسنا على ما اعلمناه . شدنا به على رؤوس
الاشهاد . ودعونا اليه كل من لعب الحرية والمدل والحق .

الحق يبقى حقا اذا سعى استعمال الحق فهدمنا من حسن استعماله .
واسدقوه الصادقون . قد ينسحق ان يرغوه ويخسوه . . . علينا يتوقف تشييد
اركان السد على اساس العدل والكرام . وان يرد كل مطلب ومثيار علمها الانية
وان كانا لا نأخر الغالب .

النظام الجديد وحقوق الشعوب : نحن و تقول ان راعينا في انشاء نظام دولي
جديد يسود فيه المنطق والعدل والحرس على مصالح الانسانية هي رغبة جميع الرجال
ارشدين في جميع البلاد . ونحب ان نسال : رغبات القومية الصحيحة كل ما يرضيها
ويطمئنها . فالشعوب والاملاات لا يجوز ان تكون بعد الآن في ايدي الحكومات
كفيلع من القمار او حجارة في رقعة الشطرنج . وكل اسوية ارضية يجب ان تم
خير الشعوب المتلفة بها ونافيه مصحتها . لا ان تكون وسيلة للقسوة والتعاقف
نراسي فيها الدول تتنافس وتحقق انتصارا . ولا يجوز ان تدار الشعوب وان تحكم
الا برضاها وهشيتها . وكل رجل دولة يتجه في المستقبل هذا المبدأ . فان ذلك
يمود عليه بأخضران .

الحق والقوة : البكى ان تكون السلطة العسكرية لدولة من الدول او لمجموعة من الدول ، حتى تسوي قضاء الشعوب التي ليس لها من حق ضاها الا حق القوة ؛ وهل تبقى للشعوب اقوية حريتها في اجث بالشعوب الضعيفة واتخاذها وسيلة لتحقيق ما ترضه من خطط والاشمار رده من منافع ؛ وهل تحكم الشعوب وتدار حتى في شؤونها الداخلية بسلطة عرفية غير مؤولة ، وانها تحكم وتدار بحسب رعبها واحتبارها ؛ وهل تكون هناك قاعدة عامة لتحديد فيها حقوق جميع الشعوب وجميع الدول ، وان الاقوي يعمون على الدول ، والضعفاء يتأثون ولا يملكون من يستمرون به ويرحمون اليه . وعند يترك المدفع عن الحق للعدفة والمخالفات العرمة ، ان يكون هناك عد ، عد يحجب على احترام حقوق الجميع .

العدل والمخالفات : - يسمى ان يورع العدل المخرى عن الهوى من غير تفرق ولا تميز بين الذين يريد ان يعدل فيه . ويجب ان يكون هذا العدل لا تفضيل فيه لأحد على سواه ، كنه شامل لجميع الشعوب ، مساو بانها بدون استثناء .

٢ - لاقية الحق مساواة خاصة لأي شعب على حدة او لمجموعة من الشعوب عند التسوية النهائية اذا اتفق مع مصلحة الجميع .

٣ - لا يجوز ان تكون عصب ومخالفات وعقود خاصة ضمن الأسرة العامة لمصلحة الأنف .

٤ - لا يجوز ان تترك عقود اقتصادية تقوم على الانانية والمصالح الخاصة ، ولا يجوز ان ياجأ الى أي طريقة من طرائق القاطعة والافشاء الاقتصادي الا اذا كان بسبب عقوبة دولية .

٥ - ينبغي ان تشمل جميع العقود والمعاهدات الدولية من كانت نوعها ... فالمخالفات الخاصة كانت ممتدة لا يمتد من الدساتير والعهود التي تقود الى الحرب .

٥ - بين النظام القديم والنظام الجديد

انما بدفود قبل شهرين من اجتماع مؤتمر فرساي ان النضال سيكون شديدا . وقد تحقق ذلك من بعد . فان نظريتين سياسيتين للنظام القديم والنظام الجديد اموا

باريس ايفعوا الشر الذي يريدونه ، وكانت وسائلهم الفنية قوية مكنية . وفي جانبها التقايد والتجارب والاساليب السياحية البارعة ، وفوق كل شيء التنظيم الراجح والاوساخ الراسخة التي بلغت اقصى حدود الكيل والنهم ، في الحكومات الاوربية المتمسكة بقاتها وعلامتها . ما الذي كانوا يتبعون العهد الجديد والعالم الجديد ، فقد كانوا كذلك غير محرومين من التنظيم والتدبير والوضع ، ولكن تفصيص التقاليد والاساليب ، ومع ذلك فإن آمالهم كانت تبت الحاسمة ، وكانوا عازمين انه اذا لم يؤيدهم رؤساء الحكومات في اوروبا فلهذا بأسره معيب .

عاشق المسكران واشتلت يومها نار ع مند البدا ، وكان ذلك بسبب النظام والاسول والمراجعة ، وراى في تعقيد الامور وجود القادة والرقساء العسكريين الذين كانوا يسيطرون في اوروبا منذ اربعين سنة ويحكمونها كما يريدون ، فلا يسمون التضاؤل امام الصعوبات المدنية ، ولا يد لهم من الفضل حتى اساية في كل مكان وبكل جد ودأب الى ان تقتصر آراؤهم وتفوز خططهم التي يؤيده فيها بعض السياسيين ، وقد حاولوا في بداية اعمالهم ان يبدلو شروط الهدنة نفسها تعديلا ينطبق على ما يريدون بحجة اصلاح بعض الاعطال ، فاعترض الرئيس وسن قائدا انه لا يوافق على اضافة شيء الى شروط الهدنة ، وانه كان على الرئيس ان يفكر من قبل عندما وضع هذه الشروط ، اما الآن فليس من الحق ولا من الاحلاس والمصدق ان يحاول تصحيح ما ارتكب حينئذ من الاعطال .

وكان من النتائج الاولى التي لا بد منها بعد انتصار الحلفاء الكبير الصالح وبث الآراء الوطنية المفرطة ، ان انتشرت الخفاضة في صفوف الشعوب الكبرى والصغرى وهذات فلوب منتفحة ، وانه يمكن الشعوب الصغرى الثقل عن الكبرى حرسا وتهاكلا وتهاذلا على حرار ثمرات الانتصار ، وفدسيبت الحرب حصار كهري في الرجال والاموال ، والجميع يريدون تعويضها بنيل الخزر والمعادن والمدن والسفائن . وكان مثله جميعا كمثل الفلاح الذي اصاع بقره فحذر بطالب فورا بواحدة او اثنتين ، فاصبح هذا الوضع منذ ابتداء اواخر مهيدا ومنذوا ، موقف

الرئيس والسفراء إلى نشر بيان يثبت جميع ما عواقب الخسائر والظلم والشراف
وقد جاء فيه :

ان الحكومات التي اهتمت اليوم في هذا المؤتمر انشغلت في العالم عهد من
مسفر الأساس ثابت لديهم ، أثرت بها الاحداث التي تعد اليها الشدائد ، وفي
كثير من الاحيان وكثير من البلدان في الغرب والشرق تاجت الشعوب الى السلاح
تستولي على بعض الاراضي وتضع يدها عليها . . . فيستع . . . وثبت الذين يتفكرون
العدل من النجوى الى القوة ، وابتدعوا عظماءين والثقلين الى المؤتمر يريدون ميثاقه
من حقوق ومصالح .

بعد ان عدنا هذا يمكن الاكلام اندرون رايح . وخرجت مستعرة من
المضامير الشروا والاحقاد والاطماع التي كانت سائدة في اوروبا ، وقدم البرهان
مرة اخرى على ان خطب رجال السياسة ومبادئهم العنيفة لا تؤثر على سير الانسانية
ولكن العبرة للروح التي تتحرك في رجال السياسة ونفوسهم في اعمالهم وترشد في
خطاهم ومنهجهم ، والسياسيون الذين حتموا في فرنسا ، يكونوا متعاونين في
تنائج السياسة والطباقومية ، وكان التشابه عظيم . حتى بين دول الكبرى
ومشى الدول المتفانية ، سوى ان رجال السياسة في الدول الكبرى اكثر تعصبا
والبنفانيين مخروصين ، ماغدا فريهرس الذي هو من البحر المتوسط . . . واكثر
مايجيب رجال السياسة في اوروبا خرسهم على منافع الآخرة اربعة وانهم يرون في اغلب
بان لايجوز محاربة بسبب الحاجة الى مدقهم او ان يخلعهم ، اما الرئيس والسفراء فكان
ينظر في الاشياء نظرا وثلاث سياسيين الذين اعمالهم مبدعون من حق وسلامة
ومصلحة ، وقد كان يرى الواجبات ومسؤوليات ، ويرى مايجب على الدول العظمى
ولاسها اميركية اقربها . . . وقدم على وضع النادى الاسلامي ، مقاومة الشدق والانانية
والاطماع التي تجرت بها السياسة القديمة ، والتي لا تسوع اقامة مداد باعدها
على قاعدة المصلحة التقليدية ، وكان على الماء ان ينفذ موقفا جديدا في مداخله
هذه المشكلات التي هي سبيل حياة وموت ، وقد قبل الرئيس والسفراء من خطبة له

في منشور: انكم تعلمون عد اليقين ان العالم قد حرك الى هذا اليوم ، اوانه على الاقل اريد حكمه . كما تحرككم الجماعات المشتركة في المنافع . ولكن هذه الطريقة كانت عاقبتها الخيبة .

غير ان هذه الفكرة السامية التي دعا اليها قولت في باريس قتالا شديدا ، ولكنها برغم ما صاحبها من احماس فقد طشت سيرة في طريقها لانها تنوان الحقيقة ومظهرها ، حتى انها بعد عشرين سنة لم تحجم الذين يدعون الى آراء ومذهب تناقضها كل المناقضة من توجيه الاثم الى الذين خرجوا عليها ولم يتسكروا قواعدها . وقد يكون ذلك اعظم نكرومة لفكر فاني مات صاحبها بعد ان راها خذها بيده والاسى بضم فقيه ، فقد كان الرئيس ومن يصير الانسانية بصرها ولا الشعب واحد ، وكان في كلته من بعد الحور ونظمة الحقيقة محملا انفذ الى الخمار . ولكن النفع المادي والسياسة الآتية الذين تعظم الشعوب . مجملتها بفعالة عن العمل ، على ان تلتزم رباط الثقة ، وتوطيد عناصر الوحدة ، والحد على اثنين الرضا . هو افضل حافز وارجح في توثيق عمى الدول . وتلك من مبادئها من حلات وعلاقات .

وفي هذا المجال بين مبادي النظام القديم ومبادي النظام الحديث . كان الرئيس واشنطن ينتمي من مذوبة السياسيين والعسكريين قارب سيرة وعقيدة نبيه بالدلائل التي تفتت في الشرق والغرب لتحقيق الامم المختلفة ، ويدكرون له ما قد شاهدوه في كل مكان في اوروبا الوسطى من اجرات العسكرية الفرنسية التي جعلها الجود والسياسة ، ويقولون حصة ان فكرة السيطرة الامبراطورية خلفاء قد استولت على حقول الفرنسيين . وهم يريدون ان يخلعوا ساسة من الدول في نطاق عسكري محكم . بعضهم عريسة بقدر ما استطاع ان يكونوا لها حلفاء . وقد كتب الجنرال بليس رئيس ركن حرب الخبز الاميركي يتسكروا آراءه في مقابلة ويترجم في كل واحدة منهم وفي كتاب من محام تودني الى نقص عقد الهدنة بتمكاد تخرج الى استئناف الحرب . لان المفاوضات والمفاوضات مع العدو كلها في يد الفرنسيين

... وفي كل مكان معارك حامية وفدق دسبون يتدخلون في كل شيء ، فلا تنقطع مساعيهم ، وهم متصون دائماً بوزر خارجية ، ولهم قنول يمكن ان يحول دون هذه المساعي والتباهد .

٦ - المعاهدات السرية

كان كل من رؤس الوزرارة الفرنسية وارندو وسونو الوزرران الايطاليان يتلون العهد القديم ، وكانا اوفدا لبرهان في موقفه بين هؤلاء الرجال وبين انصار العهد الجديد ، وجاءت الدول الكبرى والدول الصغرى تحمل احقادها واعلامها ، وتطالب بتنفيذ المعاهدات السرية التي قبلت الرئيس والسق عنها ان الولايات المتحدة غير مقيدة بواحدة منها ، وهي لا تقيد الا الاوضاع القائمة على الحقائق ، على ان الاطالين لم يكتفوا بحدود المعاهدات بل اتهم في الغالب بتجاوزون في مطالبهم ما سبق وعده به ، وظن الرئيس والسق حينئذ للمعاهدات السرية وانطاع مع الكثيرة ، وقد كان في حين من الدهر حذراً لولا انهم لم يربوا على عادوا من الحقائق والخصون ، يرحلون ان شيئا من السرية على اساس من الحرية ، حتى لا تعود الحرب سببها او تكون هي الحرب الحروب ، ولكن قوة السرية تذهب وانما جعل الاندما احذ بتناول عن مثله الا ان يصبح في صلب السياسيين ، وهو في هذه الحالة شديد خفراً لان امجاد هذه السياسة يسوا مغلوبين عليها ولا يمكن خبطهم او اساليبها ، وقد فل السيو كاهن في كلامه عن هذه الرئيس والسق الى اذوية طه لا يرابع سبب لعلوا كاه ، وهو سام في مثله الا اني ، ولكن يعرض تنفيذ وتطبيقه مصاعب كبيرة ، نسيبها الاحقاد المتوارثة التي تفرق بين مختلف الاعراق .

وكانت قضية السرية قد اثبتت في مواقف كثيرة واقتربت لها حلول عديدة ، فيمكن ان يرى بعض رجال السياسة الايفاء غيبها ، وكان شارل آخر امبراطور آل هسبورج حذراً وحاز من المواقف ، وقد حاول عقد سيرة مفردة فينتجج ، وكأنه حاول اقناع علوم بالتنازل عن الاراس والاورق في يوجد منه ادنا صاعية ، وكان

رى غليوم لسيار في امبرطوريته ، محكوم عليه بقواده واركان حربه ، وفي هذه الرجل الوحيد الذي يعقل بينهم ، وكان شارل يفكر باقامة نوع من الاتحاد في بلاده ، ولكن بعد فوات الوقت ، وكذلك فكر ولي عهد باطورية بتحويل الربيع ايضا الى دولة متحدة تشترك بين النمسة ، كما كان الامر في التحالف الحرمني بين سنة ١٨٦٥ و ١٨٦٦

وقد تمسك الايطاليون خاصة بما وعدوا به في معاهدة لندن التي ادعيا السوفيت قبل انتهاء الحرب ، واصبر سونيرو على تمديد شروطها ، ولم يكن سديدا موقفا في اخفاء الاطماع الايطالية ، كما كانت تخفي في فرساي اطماع كثيره تحت ستار الاقوال الطيبة ، ولم يسع الى فصائح الذين يهوه الى وجوب مسايرة المبادي ، الحديثة والسنية ، على حين انه يوم وضعت معاهدة لوندره ، كان يتعلم مقام النمسة وتأسيس دولة من الكروات انضم اليها فيرمي التي كانت سبب الخلاف بين ايطالية و بروسيا لافقية وبين النمسا والوفد الايطالي . وفتحت ايطالية مطالبات بمطالبات الاستعمارية وبمسوية نظام الايطاليين في تونس . وقد قدمت المكبرة عما امانعت عليه وتنازلت لاطمانية عن ارض واسعة في افريقية الشمالية . وحل الخلاف مع فرنسا ، وطالت المفاوضات بدون طائل ، حتى ان الاتفاقات ، تفقد . وكما كانت توقع استمرار وجود الطليان في تونس ، ما زال سبب خلاف دائم بين الدولتين : فرنسا وايطالية .

اما تركية وقد كان يراد اعادة تنظيمها والتدخول في شؤنها ، ولا سيما لنظام الامبرطورية العثمانية قد استمر في جرائه وانصرف في سوء عمله . وكان موصفا له حذو والرد بين الدول ، فليبق في اساطير الحكام باسمها ، واستفاد من نفوس من لافته ر حسن تقبل الرئيس ، لنسب لغوا تليد الامكار ومسايرة الفرنسيين . وفي هذا الفرنسي اعطاف الرئيس لاميركي بتعجيد مكراته الكبرى ، وخرج من اجتماعه به وهو يقول لاسخابه : سنالك ازمير ، وسأذهب ارمدا وسونيرو مقاسمين بسبب فيرمي ، اقترح لنسب على فرانسوا انزال جنود في الانصونا ، فذكر ان هذا الاقتراح من نتائج الخلاف مع ايطالية واحب اليه بدون تردد . وقد يكون هذه هي المرة

الوحيدة التي اتفاد فيها ولسن إلى نكره ، ولكن لا يجوز أن يعد ونحن مسؤولين عن عمل اليونان ، فقد كان لهم محام أكثر نشاطاً وحسنة وهو لويد جورج ، الذي حاول أن يسير في القسبة اليونانية وفي مقاومة الترك إلى النهاية ، ولكنه سقط من الحكم بدون أن يدره غايته ، كما سقط في القس وانشأت اليونان مالدتوات عليه وأخرجت جوانها الفنية من الأصول ، وبدأت بذلك النهضة التركية التي كانت خطأ أعداء الترك أكثر من أن تكون بصنعهم ، وعززت من شأنهم واضمت نفوذ الأوربيين عندهم ، وما يستقر بان في بوس أسيم - سقوطه بنكسار اليونان ، ولكن هذه هي إعادة المقاومة كما قال ألكوت - فمورر - من بعد انظر الذي يأتي في الزمن الأخير عند بعض رجال السياسة ، فيه لا يتجرون بهذه الصفة الأبد سقوطه من الحكم الذي نهالوا عليه ، وما يدل على شيء من اصدالة الرأسي وهو به .

وكانت البلاد العربية عرسة تلك الاطليح ومن مواضيع تلك المعاهدات ، حق ان التزم الاميركي اسير على ارسال خذلة الى البلاد السورية واستأثرت سكراتها ، برغم ممارسة الفرنسيين والسنكف الأورجانيين ، ولكن لمحددات نعمه فقد نفدت بتود المعاهدات السرية في شأنها تنقيداً لماور ماوسعت له .

٧ . العهد الدقيق في مؤتمر السلم

عند الرئيس ولسن وخلفاء السدي الخديدم

عادر الرئيس ولسن مؤتمر السدي في رحلة إلى أميركة ، وكان يتوقع مددونه إلى المؤتمر أن يكون المصلح حسب بين الحاصي وبين الحاضر ، وكان مادركه من النجاح في يادى ، الأمر جمع عصبة الأمم أساساً الاتفاق على قواعد السدي - سرياً من المعاهدة تدبراً للتخلفه ، ولأسم الأفر - سديون تدق في برصوا بالتساير الادعاء ، وكان غياب الرئيس حصاراً على نمجه حصف من كثره وشد من قوى خصومه ، ولم يعرف ان النجاح الذي تاله قبل سفره أصبح مهدداً ، فقد تألبت القوى العسكرية والسياسية ، واستعدت في معانيتها وخصومها ، ولما رجع وجد الموقف على غير ما ركه ،

وقد زاد في ضعفه انه اراد ان يدخل بعض التعديلات على ميزان المعصية ليكون
الامير كيون جميعهم ورائه ، وقد يسوع القول بان الرئيس لو سافر لما كان اذاع
مذاذاته ، ولو انه بقي لاحتفظ ببعض المزايا التي نالها ، ولكن الحقيقة ان هذه
المزايا لن تكون الا قليلا لان في حزيمة كانت ثوبت انصافه ، وهي قوى مسخرة خفية ،
وكان والسفن يستطيع ان يمي نفسه بالانصراف على النظام القديم لان العالم كله يؤيده
وتمت له ، ولكن اياه كما ايضا كان يرأى بجذاه وبثقله ويحمل عليه حتى
ان بلاده نفسها تخط عنه ، وفي وحده يفاضل في قتال عنيف ، وبما ان انصاف
الخدم وبما ان الشدائد التي لا تطاق .

وبما كان موقف الرئيس والسفن قد سابه اضعف في مواجهة الامور الدقيقة ،
اعزى موقف حصومه واشتدت قوته ، وكروا عليه بمدان العداوة التي انعم
بقاومة وناجحه ، وكان حويزيس المنصب في بناء مؤخر معين على مثل هذه المؤامرات
حتى ان حصومه تأهبوا لاقوا عليه نيمة التحديق في هذا السر ، وفي الحقيقة انه
كان يعوق السلم الذي يراى منه ، كما ان حصومه كانوا يعوقون السلم الذي يريدوه ،
وكانت سياسة كلمنسو مسددة في هذا النضال ، حتى فبر انها تكن دون اساليب
فوس العسكرية ، وكان الفرنسيون يربعين دائما في هذا الفن السياسي ، وعدسوق
اظهار ان انه ادرى بجاذب عظيم في هيئة على به كانت تشر في مؤخر دولة مغوية .
وليس يدع ان يطبق رجال الدولة الفرنسيين ، بمراسة متناهية ، حقاقت الاسعوم
السياسي القديم .

وكان الرئيس والسفن يتبعان من موقف الفرنسيين ولستراهم على كل شيء ،
حتى عزم على مفادرة باريس دافعت الامور سريرة على هذا النضال ، وقال انه يجب
وضع شروط السبر على حسب القواعد التي سبق قبولها ، وقد تبادل المذكرات لويدي
جورج وكلمنسو عن شروط الصبح ، وكان الاول يفتي ان لا يوافق الا اذا كان على
الشروط الثقيلة التي على عليه وان يفتح الباب بذلك للفوضى والشيوعية في بلاده ،
وقد امر كلمنسو على مطالبه بمقتضى بفرنسة وفيه يريد انشاء من الدول الاوربية ،

واشتبك الخلاف مرة بين الرجلين السياسيين . وكان لويد جورج يطلب ان تعامل ألمانيا بالتسامح . فيجيبه كلمنتو على لويد جورج ان يبدأ بالتسامح ، وان ينازل عن السفن وعن المستعمرات الألمانية الخفية ، وقد كتب اليه رجل الدولة الانكليزي مذكرة اورد فيها المحاسن والنافع التي تأتيها فرنسا في الاثراس والشحرات والاد الشام . وفي السفن والتمويضات والقننة البريطانية ، وعند ذكر الشام اشار الى انقاصات التي استمرت في شتمها مدة اشهر ، ثم قال : اكل ذلك لاسم فرنسا وانما سمها ان تمنع المان دنزع بولونية ، والمذكرة شديدة في سيرة نهكمها .

ولكن موقف لويد جورج كان شديد التبدل ، وهو يتأثر جداً بحالة بلاده السياسية وحاجتها الحقيقية وتناقضه مع حفيها ، كما انه كان يتأثر بما يشره الفرنسيون في صحفهم في الرئيس من حملات عليه وعلى ولسن بتورده صدامها في بلاده ، وفي تمام الصل بين ولسن وبين كلمنتو . وفي موقف لرجل الذي لاسمه الامر . ثم اشتبك بدوره مع كلمنتو . ولو انه ارد ولسن مؤزرة حفيقية منذ العهد ، لكان ارد في الغالب افضل من الوضع الذي آل اليه ، وقد حانت أمل ولسن بـ لويد جورج بعد ان رأى ثقليه وتناقضه . وسراعه في الدفع عن الآراء المتعارضة ، مما يدل على انه رجل برناني سياسي اكثر مما هو رجل دولة ، لان - بحسب انبياء - وحال الأسلوب وطلاوة الحديث ووساحة الممان من حاجات الأول ومخبراته ، اما الثاني فتعاهر فضائله في الوقوف ضد الرأي السجيج ووضع الخطاط للمستقبل ، وارشاد المساملين وقيادتهم حتى يسيروا في الطريق القويم ، الذي رفعت لهم اعلامه واومحت مناهجه .

وبعد ان اشدد الأمر على الرئيس ولسن واستدعى الدائرة وشغلن لتحمله الى اميركة . دخل مؤتمر السلام في فنور من التفاهم كان الخسران فيه نصيب النظام الجديد والمبادئ الحديثة ، وكان الرئيس مسؤولاً عن نال عظمية ، فذا غابت اميركة عن هذه انبيء الدبلوماسية الخطيرة ولم تأخذ بنصيحها عنها كان كل شيء معرناً لتزوال ، وقد يحق له ان يدع كل شيء وراءه وان يعود الى بلاده في ساعة من ساعات

الامة واليونس ، او ينبغي له ان يستمر على ملاحظة الموقف في معاصره ، ولا يبرح مكانه
كجندي يذود عن حوله ، وان يصير ويصير حتى يصل الى بعض ما يريد من مبادئه .
ولو كان الرئيس رادكائيا لاحتار الحقة الاولى ، ولكنه لم يكن رادكائيا بل اني
الذي اشتقت من املة هذه الكلمة ، وبما يكن من هذه الثورة ، وفيه النظام . كما
يصنع الفرنسيون عدة في انماض نورثهم على نظام القنم وشكواهم من الاسراف
والاساءة ، فلا يجدون سببا غير نقص المال من اساسه وتبدل قواعده واركانه .
وبعد انفراج من اممادة شعر البريطانيون بعطش ما حرمهم فاحذت حرمانهم
الحرية فتمت هذه اممادة بانها حرة كما ماعدت السابقة ، وكنت بعض منسوبي
الملكات البريطانية المستعملة مثل هيوود وتحتل كقوت شديدة الى لويد جورج
والرئيس والسبب في تنفيذ شروطها ، وحال لويد جورج نفسه ان يشن علما غارة
وان طالب بتمدها قبل تنفيذها ، وان يستعين على ذلك بالرئيس والسبب الذي لم
يكن ينكر شدة مشتها ، ولكنه كان يعتقد ان لا تقدر والتمديد كان يجب ان
يكونا عند وصية الملك لا عند لانها معها ، فموت شد حروب هولاء معاهدم
نكن معاهدة سريو لكن نأخذ في الحرب ، معاهدم حرب نور لا مغرب واقبل
والاقبال والاحقاد والشدائد ، وكنت سببا حرب جديدة ، وقد تميت بذلك
المستر لتسبع سكراتير الدولة في الولايات المتحدة في يوم الرئيس والسبب نفسه ،
وقل ان هذا الامر محقق ، بقدر وهو محقق ان يفتد ليل اهار ، وما أكثر
مددت الايام فله .

٨ -- محذورات صالح فرساي وآراء رجال السياسة فيه

ما كادت تنشر معاهدة فرساي حتى وحبب اليها شد الانتقادات في كل مكان
بل ان فريقا من واصميتها والمسؤولين عنها لم يجدوا من ينكروها ويحذروا من
عواقبها ، وقد كان في مصلحة الولاية بل في مصلحة الامة كله تنفيذ شروط الرئيس
والسبب والتفويض . . فهذه الشروط انفذت تخففا في سنة الحرب الاخيرة بالتأثرته

من المدينة والرجاء ، وبعد ان اصبح الانكسار يتساقطون اذا كانوا يستمعون في هذا الضحك في سبيل الانكسار ، وبعد ان اصبح انكسارون انفسهم يتعلمون من القتال في سبيل غدت موهومة .

وقد انكر على وليس شانه مغاوضاً ورجل دولة ، ولكن لا يجوز ان ينسى ان قواعد في الوثيقة الأولى التي كان يحاطب بها الفريقين المتقاتلين وتدعى اليها حكومات والشعوب ، وعلى نسي الآمال التي اسياها في جميع النفوس ولا سيما عند الحروب ، وعند الشعوب المستعملة في الشرق والغرب ، وقد ظن الرئيس الاميركي ، ديماسيان راند ، فان يد ان السياسة الدولية القديمة قد قضت بحربها ، وانه انزل الناس الذي كان يحق وراء الدول المضي . وهذا اساس انفسهم بان رسالتهم في هذه الدولة وفي هذا العالم والسلطة من لغة عظيمة ، ووقع صوته بذلك انما ان الذي يشتمل عليه كل قلب ، وكل شعور ، ولكن هذا الرجل الذي اصبح قبلة الانسانية وموضع رجائها ، فكيف يصل الى رئاسة ، حتى انقاد الى اساليب الزمان وسلطانها ،

غير ان الفكرة الجديدة التي انتقلت عليها العناصر القديمة لا يكون ذلك سبباً لاجلها ، وقد تصدر العمل العظيم الذي جرت به وليس ، الرجل الدين اراد ان يشرع معبد الدين انشاءً جديداً ، وقد كان في مقدمته كامنو الذي لقب بـ "نور" ، والذي هو صبحي قدمه ، وقد شرب بالحنف والشدة وقاب الوزارات وكان الرجل الذي وضعته الحرب في مقدمة الصفر ، وهو في وطنيته اشرافه بكاديه من بحرفي الوطنية اكثر من ان بعد رجل دولة وصاحب فكرة ، وكل يقول عن حسن فكره : انه يتكلم كالصبي . وقد افق على ربه في عاصمة الامة لانها تبين على الاحتفاظ نتائج النصر .

ومن اموال كلمسو ، التي تدل على ما ينطوي عليه من الآراء القديمة واستنكار الفكرة الجديدة ، كلمة له من حلبة عليها كذات طابع السخرية : يقولون انك ستصمون على عادلا ، واذا وضعتوه فكل شيء يصبح سهلاً ، وقد سمعتم كلمات كثيرة من هذا القبيل ... على ان الرئيس وليس رجل يوحى الثقة ببساطة فكره

ونيله ، ومع ذلك فقد قل كلمسودات مرة كلمة صواب : ان بيدنا مفايد الامور
 فاذا اردنا ان نتجح نجاحا ينجم به ابتاؤنا في المستقبل ، فانه يجب علينا ان ننتفع من
 هذه السيادة ، وذلك بان نحمل خطتنا على جانب من الاعتدال الذي هو ضروري
 احسان بقائها ... ولكن دراسة لمنحن مطلقاً هذه الشرة ، ولم نحمل نفسها من خطر
 وقعت فيه بعد الحرب ، وذلك مالا يمكن شرحه الا بالسبب الخالد ، وهو ان انصرفت
 في النفوس سكرة افتدار هي اشد خطراً من السم . وكان اولندو رئيس وزراء
 ايطالية مشابها لكلمسود في نزغته ومطالبه ، اما لويد جورج فقد عمل في المؤتمر
 عا طبع عليه من سياسة ومرونة ومن فكرة اوربية ملائمة ، وكان يقيم البراهين
 الدامغة التي تسوغ الانانية الوطنية ، عند الميطرين البريطانيين ، دة الامبرطورية
 واصحاب رؤوس الاموال الذين حملوه الى الحكم وسلموه مقابله ، وهه قال من
 الرئيس والساسة شرط حرية البحار ، على حين انه لاشي بهين على تثبيت السيادة
 الانكليزية في البحار مثل ضمان حريتها ، الذي يجعل رحل الأمن في الدول
 يدهامون عن المملكة المتحدة واجزاء امبرطوريها .

وقد شعر السياسيون الانكليز بخط السيادة التي قادتهم الى القبول في رساي
 عبادي . لاتمين على الاستقرار في العالم وناش لويدجورج احد وزراء الامبرطورية
 فكتب مذكرة في انتقاد هذه المعاهدة قبل وضع صيغتها النهائية ، في ٢٥ آذار سنة
 ١٩١٩ ، قال فيها : عندما تخرج السموم من حرب مملكة قد استنفدت اموالها
 وانهدكت قواها ، لا يصر عليها ان تمقد ساحاً يدوم بقدر ما يدوم الجبل الذي غنى
 احوال الحرب ، اما خيال البطولة والانتصار فهو لا يستميل الا اولئك الذين لم يخوضوا
 غمرات الحروب ولم يذوقوا احوالها ومرعباتها ، وقد يسهل تشييد بنيان سد دائم يدوم
 ثلاثين سنة ، غير ان الصعوبة هي في إقامة سد لا تنشأ عنه حرب جديدة عندما يكون
 الذين تحسروا بانفسهم اخطار القتال قد فارقوا هذا العالم ، والتاريخ شاهد عدل
 على ان السلم الذي يتلوه الشعب المتحضر كانه ظفر لسياسة والبراعة والدهاء لا يبرح
 قريب الزوال ، حافظاً بالا حذار التي تهدد المنتصر ، وقد عقدت الثانية سنة ١٨٧١

سلما طنت انه يضمن لتمام الامان والسلامة بواء النفوس في اوروبا ، سير ان الحوادث
اقامت البرهان على تقيض ذلك ، وفرصة معها تقيم الدلائل على ان الذين وكدون
بانه يمكن ابقاء المانية بحالة من الضعف بحيث لا يستطيع ان تتأثر انفسها ذات يوم
في محذوعون كي الاندفاع ، فبرغم ان فرنسا كانت في كل سنة تضع بمواليدها
من الفاليين كانت تزداد قوة على قوة ، وقد اسهت طرفها في اوروبا وثارت على
الذئاب وعقدت الحافلات مع الدول التي كانت المانية تضبطها او تهددها ، وما
افكت تذر العالم بالمخطر الداه حتى استطاعت في آخر الامر ، ان تنقلب على الدولة
التي هي اقوى منها لا فاس والتي عارت عليها بقوة وعنف .

في وسعكم ان تسلطوا المانية ، ستعمر ايام وان تجرد بها من سلاحها ، ولا يبقى
لديها من اقوى الاماكن في حفظ الامن وتعملوا تجريتها في الدراسة الجامعة ، كل ذلك
لا شأن له ، وهي اذا كانت قسمة انها ضاقت في معاهد فرنسا في فتحة ذات يوم
الوسيلة الانتقام ، وسيزول الار القوي الذي بق في النفوس بعد اربع سنين
استجربها القتل وسفك الدماء بول هؤلاء لرجل افسس ، ولذلك فن السور
لا يكون ثابته مستقر دائما بل يلقى السبات تدفع على الاستماتة ، وتصبح الفكرة
الوطنية ، وتغير عاطفة العدل ، وقد تكون ثمرة في السور غريفة قاسية ولكننا
يجب ان تكون عادلة بحيث ان الذين يمامون بها يشعرون في فرارة نفوسهم ، انه
ليس لديهم اي شكوي يرمعون الصوت بها ، ولكن الظلم والخيلا ، والزهو في ساعة
الصر ان تكون من الامر التي تسمى والتي يلقى عنها .

ولذلك نعارض شد المعارضة ، بالاستمرار على احصاء الامان الى سيادة احتمية
بدون ضرورة عظيمة ، و يرى من جهة سبب الحرب في مستقبل ان يصبح اسد الانبي
الذي قدم الدلائل على انه من اعظم شعوب العالم قوة واشدها حراسا عظاما بدول صغيرة ،
جلها لا يستطيع في الماضي ان يمشي في ايام حكومات حية ، ولكن كل واحدة
منها تتمتع بالجميع من الامان الذين يصرون بل اذاتهم ان يعودوا الى الوطن الام ،
اما اقتراح اللجنة البولوية بان تنضم الى بولوية ١٩٠٠ ١٩٠٠ ٢٠٠٠ خاضعين لقوانين

شعب لا يدين بدينه ولا يثق تاريخه على انه قادر على حكم نفسه . هو في رأيي مما يسبب في اجل قريب لو بعيد حروباً في اوروبا الشرقية . وما ذكرته في شأن الان بولونية ينطبق كذلك على هنغاريا ، اذ لا يمكن تشييد الهد في اوروبا الشرقية الجنوبية اذا كانت كل دولة من هذه الدول الصغيرة الشائنة تحكمها عناصر بحرية مافقة ، وعندى ان اكبر مبدأ من مبادئ السلم هو ان تصاف بقدر ما يستطاع من وجهة انسانية . الجماعات الشرقية بعضها الى بعض في وطنها الايدي ، وهذا الاعتبار يجب ان يثقل على كل ما سواه من الاعتبارات العسكرية والاقتصادية ووسائل الموادات وغيرها .

ومضى بعد ذلك لويج - جورج دايكر الفرق بين العالم بعد معاهدة فينة حيث نصب جميع الثغور الفرنسية ، وبعد معاهدة ورساي والثورة متاملة في القلوب ، والعالم قائم في انصاف وفي اثناء ، وجميع الثغرات تشكو من سوء حالها ، والثورة الروسية متمسكة على شعوبها ، وذكر ان احطار الاكبر الذي ياتي في احتماجه هو ان نجد المانية وروسية في قضية مشتركة ، ثم قل :

وجملة ما اراه : انه ينبغي علينا ان نمرس على الحكومة الالمانية ثروماً نستطيع القيام بشقيدها ، انما اذا قدمنا ثروماً حاضرة فبهذا لا توجد حكومة في المانية تستطيع النهوض بها ، والحكومة الحاضرة التي هي ضعيفة جداً فاتها ان ترفض ، وانما قبلت فلها مستسط في اربع وعشرين ساعة ، ولكن اذا لم تعد في المانية من يوافق على ثروماً ويقبل بمصلحتنا فاما اصبح ، لاشك انه لا مجال للبحث في امر احوال عسكري طويل الالامد واقامة جيش كبير في المانية ، على ان هذا امر من شأنه ان يهد الامان ، فقد برحمت كثير من هذا الحاش الذي يكون الوسيلة الوحيدة لاقامة النظام في بلادهم وانما انه الى اتصاله ، ولكن ان ادرى ستاتي من بلادنا نفسها ، فلا الامبرطورية البريطانية ولا الولايات المتحدة رضيان بذلك ، وفرنسة وحدها لا يستطيع ان تتحمل اعباء الاحداث ، وانفقته ، وحينئذ لا تناس لحسب من العودة للحصار ، وهذا ما يؤدي الى اصدار الثورة من حال الاورال الى نهر الرين ، على ان الرأي العام الارضي يتجوع مائة خفها على قبول ثروماً ثقيلة لا تطيقها ...

ومن جميع وجوه النظر، فليأري انه يجب ان تؤسس ببيان السم كائنات محكون
منصفون ، قد نسبنا المواقف التي اثارها الحرب الأخيرة ، والنظام الجدير في
رأى يعني ان استنام من ثلاثة شروط : ١- يعني ان يكون عادلاً بحق الخلفاء فلا
يفعل التبعة الملقاة على عاتق الماتية في اثاره الحرب وفيما اتخذته من اساليب القتال ،
٢- يعني ان يكون بحالة تستطيع الماتية ان توافق عليه وتقوم بتنفيذه ، ٣- لا يجوز
ان يحتوي اقل سبب من اسباب اثاره الحرب في المستقبل ، ويجب ان يحول دون
انتشار الشيوعية ، بحيث لا يتقبلها الرغلاء المغلاء كاتما حل عادل للقطيعة الأوروبية ،
ثم عر من بعد ذلك لودج حورج الى عصبة الأمم وقمة السر الدائم واحطار الشيوعية ،
وكان امر لستفلس مندوب بربقية الخوية نافذ الرأي في دوائر مؤتمر
الصلح فارسل كتابا بتاريخ ٢٢ مارس سنة ١٩١٩ الى المستر لودج حورج يطلب
فيه تعديل بعض شروط المعاهدة ويتقدم اساليب الكتابة التي لا فائدة منها ، وقد قل
خاصة في شأن الحدود الشرقية التي لا رتاب مطلقاً بان توسيع بولونية بهذا المقدار
هو غير منسجم للتاريخ ، وحفظاً سياسياً كبيراً سيكون التاريخ مكافئ بدوره في اصلاحه
فان بولونية الجديدة ستحتوي ملايين من الروس ومن الألمان ، او مناطق قبضتها
طويلاً الماتية ورومية وستعود الدوائ الى ما كانت عليه من العظيمة بحيث لا
تستطيع بولونية ان يكون لها شأن ادنى في اجمع هاتان الدولتان مهمهما فاشا ،
الدولة الجديدة ان يؤدي الى احفان لاشك فيه ، حتى اذا كان البولونيون قادرين
على حكم انفسهم ، والتاريخ يجعل عليهم اهمه كانوا دائماً عاجزين عن ذلك ، على
الابولونيين ، منذ الآن والمؤتمر لا يمكن منقداً بتحدون الدول العظمى ... فاما
يقع في المستقبل عندما تتخلف هذه الدول وتناموس ؟ الاشك اننا نقيم هذا البيان
على اساس واه ... وانى فنع ان الخطأ الأكبر في المعاهدة هو في مدى احتلال
الرين وفي توسيع بولونية الى ما وراء الحدود التي كان يفكر فيها في اثناء الحرب
... وهاتان الخطيئتان هما اللتان تهددان السدي اوروبية فيجب ان يذل كل ما يستطاع
بذلك لازالتها قبل مضى الزمن .

واوسل الجنرال سمطس ايضاً الى الرئيس والسفن كتاباً بتاريخ ٣٠ مايس سنة ١٩١٩ قل فيه : ان جواب الامان على شروط الهد التي عرضناها عليهم بين انانية الخطرة التي لا تستطيع احتساب البعث في ايكل نهاية . فهم يعرضون باننا مدانون بعبود مملنة سابقة جاءت في قواعد الارملة عشرة . وهذا كذلك رأيي مع التقيد بالتحفظين اللذين وضعهما الجامعة قبل الهدنة (حرية البحار والتموينات) ، وكل اخلال بأي شرط من الشروط هو انتهاك لحرمة التعاقد واخلال به .

وقد ابتدأت الحرب باعتبار النانية الممد المقطوع قصاصة وردف . وكان من جملة غايات الذين حاربوا فيها تقديس المبرود . فهذا ينبغي الحاداء الى امر كالذي لاوا المانية عليه : واني لايميد فرقا من تذكر ذلك ، ومن التفكير بلوقع الذي يكون لعمليتنا في اري العالم ... هذا قيل ان الرئيس والسفن فتوافق او انقيت عليه نعمة مانجري ، فلا بد لنا من سؤالك هل المعاهدة تنطبق على القواعد التي فتوت اليها في خطبك ؟ اني اقول بصراحة لا . واعتقد ان الامان يحقون باحتجاجهم ، فلمعاهدة مناقضة بنفسها وروحها لما وضعت من قواعد ، واني لا ارى في هذه القواعد ما يسوغ كثيراً من شروط المعاهدة ، وما اشد خوف الشعوب التي ترى انه لم يقصد السلم تحت قواعد الرئيس والسفن ، واما ثامسبنا موعدا به ، وعاهدتنا عليه ، وادارأي الناس اننا نقضنا عهودنا بانفسنا ، هي عز الحقنا وسيكون هذا السر نكبة اشد من الحرب .

ولم تقتصر هذه الانتقادات على رجال الامر بلورية البريطانية فقد شاركهم فيها سواهم من سياسة الدول المتحافة ، فقال الماسيو فدرولت وزير خارجية بلجيكة باحثاً عن مراقبة النانية العسكرية التي قررتها معاهدة فرساي : من اكبر الطاقات واشد الاوهام خطراً الاعتقاد بان مراقبة العسكرية في النانية تسوي قضية الامان والسلامة ... وطاماً بوحده في اربعة شعب مؤلف من اربعين مليوناً مدجج بالسلاح ومميز بالمخافات ، يريد ان يحمل شعباً آخر مؤثماً من ستين مليوناً ، على ان يبق اعزل من السلاح ، محروكاً من الجيش ، مفتعراً على قوى الأمن . متحتملاً بدون

اجابة فنون الخالب ... قوسمكم ن تتخذوا جميع وسائل المراقبة في العالم ، فانها لا تمنع المفلولين ان يلجأوا الى جميع الخيل للاستمداد والتقدم ، والتاريخ بعيد نفسه كما جرى بعد تسليم ... ولا يمكن الوصول الى اي غاية باكره بعض الشعوب على التجرد من السلاح ، ولكن يمكن الوصول الى كل غاية بالاتجاه الى تصويات دولية عامة عدلة ، وذلك شكوف ارادة دولية ، شتركة عند جميع الشعوب لرفع السلاح ، وخطب فذر فلد ايضا قدس يريدون الخاف بلاد المانية عنوة فقال: ان الاستعانة بالقوة بغية خفي احره المانية ورعاها بحق تطرفا جديدا في اوروبا وبحول حرب مقاومة للجبروت الاناني الى حرب الشعب الاناني فتح بلاده ، وهذا ما يحرم قضيتا من كل ما يسوغه ويمن شأنها .

وكان لوزاني مقرر المعاهدة في ايطالية الذي يوافق عليه اصدقاء فرنسا ... وان كان رجال الدول لا يصبح اسمهم عند هذه السموت لانهم لا يكونون الاساقفة بالادب ... قد ادخل في تاريخه التفادات مرة للمعاهدة ، وقال انه يصنع ذلك لانه لا يريد ان يخون فرنسا في اشد اوقات محنتها ، غير انه حذف التفادات الخفية بعد ان قيل له ان فرنسا في محاسن نواب دولة احيية بغير القضب والطفعة ، اد يعني ان تترك لكل بلاد ان تكشف بنفسها الغناغ من اعلامها .

اما ردو احد واسمى معاهدة فرساي فديرج يفرظها وقد فعل بصرفها : كان ٢٨ حزيران ١٩١٩ في قصر فرساي يوم وقع ممثلو المانية المعاهدة مثيرا في نفوس الفرنسيين ذكرى ٨ كانون الثاني سنة ١٨٧٩ ، في ١٥ ايلول التناقص بين التاريخين ؛ وهذه المعاهدة لم تنفس فقط معاهدة فرنكفورت ، بل شعرا ونفسا من التفقر والتقلب ، فبينما كانت الفكرة تثار متراخمة دائما تلك بقوة عظيمة ، ولكن تفقر السياسة الفرنسية كان مستعرا ، فقد تفقرت السياسة الاستعمارية في القرن الثامن عشر واثرت على المستعمرات شيئا قسيثا ، وغادى التراجع في القرن التاسع عشر وصالت الاتراس والاورين ، . ثم كان ان طالت فرنسا هواها وشعورها وعدل قضيتها باستعادة الاتراس والاورين وتحرير فرنسيي السار . واحتفظت بشمرات

النصر ، وثالث من الضمانات ما إذا لم يكن قطعة مطلقاً ، فهو أكثر ما نالته من الضمانات في جميع تاريخها .

غير أن تردى نفسه ، المعروف بقوة عارضته ودفعه عن هذه المعاهدة ، قلبي حطية انقازها في مؤتمر زرع السلاح في جنيف في ٨ شباط سنة ١٩٣٢ ، وهو يومئذ رئيس الحكومة الفرنسية . وكانته يلتحق العذر لواقعة المعاهدة : لأن بعد أن أصبحت ذرى هذه المعاهدة تصاد بانوار النيل الأعلى لثعالب ... فإن تلك الشروط الموضوعية لم يكن باستطاعة أن لا تتوسس من ضرورت الساعة التي كانت تجري المناقشة فيها . . . وقد فقت بها غاية لاشياء التي أشئت من مثل قريب ، كما هو شأن كل معاهدة ، ترفع على الحرب . هذا مرد واقع والتكامل لأمر الواقع لا يفية شيئاً والمفود الدولية كالمفود الخاصة تتميز الظروف التي وضعت فيها بعض شروطها .

ولكن أي سلطة أخلاقية بقيت لمعاهدة اتكرها وأمنموها كما اتكرها المتلونون الذين املت عليهم ، وكيف يستغرب إذا شاع في المانية أن كلمات رجال الدولة من الحلفاء قبل وضع المعاهدة لم تكن إلا صيغة هيبسة من الزيف . وقد عسكوا كثيراً في هذه المعاهدة التي لم تكن في حقيقتها إلا ميثاقاً هدنة ، وقد وادها الرئيس هوور ، قوله في خطابة انقازها في واشنطن سنة ١٩٣٢ : أنها مشروع عظيم للأمان والاضطرابات السياسية . وقضى والسفن بحرية وهو يشلمهم عطف من الذين حموه على قبول هذه واضطاروه إلى التخلي عن بيادى آتى ، صمها ، عفتت فيها الشعوب آمناً .

وإذا كانت ، معاهدة مينة قد ولدت بدون حياة لأنها انكرت الحقيقة الناشئة وهي حق الشعوب ، فإن معاهدات سنة ١٩١٩ ولدت كذلك بدون حياة لأنها لم تنظر إلى القانون الجديد الذي ينبغي أن يوضع الملائمة ، وهو أن قوميات في نظام من القانون المشترك الذي يربط بينهم وببعضهم ، وضع على رأس ، ولم تم ذلك كانت دفعت كثيراً من المشاكل والفساكن التي ثارت للدول وباعدت بين الشعوب ، وقد وقفت أوربة مستخفة باحتجاج المنيعة على معاهدة فرساي ، كما استخفت من قبل باحتجاج دول معادية على معاهدة صنة في بعض - لها إلا بالنار

والدم ، وقد انذر الجنرال فيتان فرنسة بقوله في كتابه المشهور عن « تورن » يقع في الغالب للمغتصر بعد الفوز في الحرب ان يرقد مطمئناً الى اذنة غرارة برجمانه ، على حين ان حصنه يجد ويدأب في البحث عن اسباب انكساره ويمدج جاهداً للاستقالة من عثائه ، فقلوب الامس يصبح غالب القدر ، فلن تورخيم ثلتها روسباخ وينا ثلتها سدان ، وبعد سدان وتوند ، فمضى ان لا ينسى ذلك .

اما بولونية فقد ابنتها فرنسة تأييداً عظيم وعقدت عليها آمالاً كبيرة ، حتى انها لم تخف حزنها في الماضي عندما احتل الروس فرسوفية ، وقد اطلق على ابنائها اسم فرنسي الشمال ، على انها لم تأت الا متأخرة الى صف الحلفاء ، فقد كان بلسودسكي مشايماً للامان في بادى الامر ، وارادت فرنسة ان تقيم منها دولة كبيرة حليفة على حدود المانية ، ولكن اتساعها وحكماً للمناصر الروسية والمناصر الالمانية ، جعلها عرضة للخطر الذي وقعت به ، اما نظامها فقد قام على رعائب العسكريين وسخطا بلسودسكي وعقريته الرخصة ، وبدأ الخلاف بين البولونيين والامان بعد الاستفتاء الذي جرى في سارزة العنفا والفتلحة لتسويته ، فبدت بماهدة فرساي بدور الخلاف بين الفريقين ، وكان كل الماني ينظر الى بلاده المنفصلة بعضها عن بعض ويأخذ منه الغضب مأخذه ، فلزواق البولوني ودترينج من نتائج تلك الماهدة السيئة ، وقد خدع العسكريون البولونيون بانفسهم واعتدوا كثيراً بقوائم سبوتير ، وانشأوا في بلادهم حكماً لا يجد في اوروبا من يمدحه الا الذين كانوا عدوهم من قبل القيصرية الروسية ، وكان من آثار هذا الحكم ان عم البلاد اليأس والشقاء والاستبداد ، حتى ان رئيس الحكومة البولونية التي تالفت في فرنسة بعد ان اجتاحت الامان والروس بولونية ، الجنرال سيكورسكي ، قال في خطبة له : ان عاملين جوهرين يمشاننا على مواصلة الجهد في سبيل النيل الغايت بمعنى القاية الوطنية ، فعامل الاول هو انكار انظمة الحكومات السابقة انكاراً باتاً وانتصل منها ، فقد كانت نهمل شؤون البلاد الاقتصادية والسياسية والعسكرية في الوقت الذي كان يأخذ فيه العدو عدته ، وتعمل ماتشاً بدون ان تنكث بمراقبة الرأي العام ، فكانت هذه الاساليب والانظمة

من اسباب الاعمال ، فملينا ان نستفيد من اشد الحوادث ايلا ما في تاريخنا حتى نجتنب تجديد مثل هذه الاغلاط في المستقبل ، والعامل الثاني الذي رشدنا في مساعدته هو ان يكون كل رجل في المكان الذي يجدر به ، على حسب ماعنده من عناء وكفاية ... حتى نعيد احياء مدارس من مبادئ الوطني . ونكون في شدة حبنا له جاهلين على بعثة كره اخرى ، فتكون بولونية بحيدة ، شامرة ، كبيرة ، سميدة اكثر مما كانت عليه في ماضى قريب .

وقد وضع الكونت سفورزا كتيبا عديدة ، وصف فيها حالة اوروبا وماخلفته معاهدة فرساي من مشاكل وعقبات ، فبحث عن النوايا الاربع عشرة الوطنية ، وعن سياسة فرنسا والمائة التي ادت الى القضاء على كل ما راح من اساليب التقارب وعلى كل ما يعول عليه من خطط الرئيس ولسن ونوابه . وطويت بذلك الاسس الاخلاقية التي اسدأت السنار على الحرب في تشرين الثاني سنة ١٩١٨ ، على حين ان المائة القت سلاحها في الحقيقة بعد ان وعدت بتطبيق هذه القواعد ونزات على شروط الهدنة ، ولكن لم يبق منها الا رسم ضئيل ، واتخذ الاناس سبب الاخلال بها وسيلة لخاربة صلح فرساي الذي امليت عليهم شروطه . اجردت المائة من سلاحها ولم تسو المسائل الاستشارية تدوية عادلة تراعى فيها مصلحة السكان ، واكتفى باقصاء المائة اقصاء تاما عن المستعمرات ، ونفذت كل التنفيذ المسائل المتعلقة بانشاء الدول الجديدة ، وتعمير البلاد المخرية ، ومنع ايطانية الحدود التي تربدها في اوروبا ، واعادة الانراس والاورين الى فرنسا ... وتكاف المائة باعباء ثائلة من التعويضات لثمة الا في مؤتمر لوزان .

وبحث هذا السياسي الابطالي عن سياسة انتقايد ، فقال : انذكرام النسيان ؟ ايها اكثر فائدة في السياسة ؟ قد تكون الحياة غير ممكنة اذا لم يكن هناك نسيان ، او على الاقل ابعاد الذكريات التي يقينا عايشين تحت تأثير الماضي وساطتانه عن خواطراننا ، على ان السياسة الخارجية هي في ذاتها تفليدية ، فذكريات التاريخ توحى الحكمة والسداد ، ولكنها نحى في ثنائها بذور الاحقاد والشكوك ، وقد كان يقول جول

كليون : بن سيبسة لويس الرابع عشر فيضمحل آثارها في الثانية ، وقد عززت المعاهدات بروسية ومكنت لها في اوروبا وحملتها مركزاً للتفليم المارمي ، وكان يظن ان هذا العالم يبق بدون نظام ولا وضع ، و اذا كانت معاهدة وستفالية بقيت منذ توقيعها في سنة ١٦٤٨ الى ايام الثورة ثم ان آثار السياسة الفرنسية وصنعها النفيسة ، فن معاهدة فينت كانت بغير كفا حصة من ربح النفيسة في تقسيم ايطالية .

وقل : عندما كنت سفيراً في فرنسا كنت افكر كثيراً بان كل دوج في انكي دورسي يحتوي على نسخة من معاهدة وستفالية التي كانت قد استلمت فواعدها وحفظها من حلة اوروبا بعد حرب الثلاثين سنة ، واتي بقيت كالمكتبات المقاس في بعض المحافل والدوائر التي استولى عليها مريض الخنق المعافي ... وقد التفت الى ذلك في حديث مع السيد برين ، وجاني وابع المعاهدة وستفالية ... وقد شعرت انه لم يكن كثير الثقة بالتواريخ والتفايد ، ثم انسى بعد ذلك وهو يقول : ان هؤلاء السادة في انكي دورسي اقوياء في التاريخ ولكنهم قلما يعرفون الحياة .

وقد كانت محزنة الشعب الالمانى هي الفكرة الكبرى التي ورثها امراء يون من معاهدة وستفالية ، والتحاد دولة ألمسة وسيله الجزرة الثانية الى دولتين على الاقل ، وهذه الفكرة هي التي سادت بعد الحرب عند الفرنسيين الذين يستخرجون من القرن السادس عشر اسباب السياسة وعلاها في القرن العشرين . و اذا نظرنا الى حطة فرنسا نحو المانية وحطة الكثرة نحو الهنود وجدنا تفاوتا عظيماً ، فقد كانت الكثرة أشد اللدول حدة على الكورسيكي الشغب وعلى البلاد التي ساحت له مقاتليها ، ولكن صعد السرا الى نصانه حتى ردت الكثرة الى مينة ما كانت انزاعته من مشمراسها (الخبز والسمك) ، بل ان اللورد كاستلرغ كان يقول في حطبة يردسها على القصار الاخلاق : اني اعتقد ان افاداً لاشك فيه : ان سممة بلادنا وقوتنا وعظمتنا وجدنا اهلها في اوروبا من هذه الاخلاقت ... والغريب ان تالميون كتب في سائر عشرين يزدرى حماقة اللورد وحيلة ، ويستغرب كيف ان الامكبر لم يستفوا لانفسهم محبوبوع ، جلوده وسحرة والمارتديك

وبحث ايضا النكوت سفوررا عن نزع السلاح فقال : كان المراد من نزع سلاح
المانية ان يكون مقدمة نزع سلاح عام ، على هذا قدم وبدأ والسفن ، وارسل كلمتسو
مذكورة الى الامان ، وانفق الحلفاء والالاتن على ذلك ، وقد كان في قضية نزع السلاح
عامل خوف وخشية فعممت بعض الدول وخاصة فرنسا اهم شديدا بأمانها
، ملائمتها ، واداسويع لخدمه الدول ان يتم تصاتر ابورها ومساندة بلادها ، ولا يجب
اذا اهم الاتان ايضا في اناسهم وسلامهم ، وقد كان يعتقد كثير من الفرنسيين انه
من الاخلاص في الوطنية المحافظة في شروط نزع السلاح مع اتفاق به والاكتفاء بنزع
سلاح المانية ، على النزاع سلاح امة او تحديد سلاحها في البحر والبحر ، فها يودي
الى هامة ، وقد اشترط على روسيا ان لا تكون لها بواخر حربية في البحر الاسود
سنة ١٨٥٦ ، ولكن الفته بعد ذلك سنة ١٨٧٠ وابالت الدول مدعته ، ورحل
حوار ، وقد تعهدت بروسيا اليابون الاول في ثلثت ان تبقى عشرة اعوام محددة
السلاح ، ثم تدخل في الطعام العام ، مع ان فرنسا كانت يومئذ قوية وروسية ضعيفة
فان اليابون لم يطلب نزع سلاح دائم كما طلب في القرن العشرين ، وكان يظن اليابون
انه راقب بروسية ولكن مراقبته كانت عقيمة كما كانت مراقبة الحلفاء المانية بعد
فرساي ، ولم تعجم يومئذ رجل بروسية مثل شناب من مخاطبة ملكيه فرديك غابوم
اثالث قو لهم ، ان المعاهدة لا تمنعهم من العمل على حماية انفسهم بالمدفعية دعما لاهوان
والعنف ، ويضربون على ذاك قائلين : هل ادن الامر بطور يابون وحده ان يقيم
السلط مقام الحق ، الباعل مقام الصدق ، وهذه تجربة الفرنسيين الاولى التي
بطل امدها والتي كانت عاقبتها مريرة حانية .

على انه اذا كانت المانية قد تسلمت بعد الحرب العظيم فهذا دليل على ان
قيود فرساي لم تعجز بها ، كما ان حذر ابليون ما كان محمدا له ، واعطى ما اصابه
هو من سوء تقديره لروسية العزلاء ، وبعد ان انتهت سكرة انفسه الاولى عم
الفرنسيين شعورا اشركت فيه جميع الاحزاب وجميع الحلفاء ، وهو يندم الرضى ولا
سما عدم الرضى عن انفسهم ، فقد كانوا يعارضون في الحوادث حتى التي كانت مقدرة
ومتطرة ، وكانوا يسهلون بها بعد ذلك عندما تحمل لواء الامر الواقع ، وكانت

قليل من الأجانب الذين كانوا قادرين على معرفة فرنسا وتفضيلها على سياستها وعلى عامة صحفها . وكان الإنكليز كلما واجه اليهم الامم قلوباً ماذا نصنع ؟ هذا خطأ فرنسا . ولا ريب في ان هناك ما أخطأت به فرنسا بعد الحرب ، فقد اضاعت قناعتها بقوتها الحقيقية ، وراحت الاكتفاء بالاستمدادات العسكرية الواقعة سور على طول حدودها .

وقد جاء في كتاب وضع باللغة الانكليزية والفرنسية عن الرئيس ولسن وتنظيم العلاقات بين فرنسا والمانيا استناداً لأوراق الرئيس ووثائقه ، ان فرنسا قد نالت ما تريد من نزاع السلاح في شاطلي الزين ، ومن احتلال بعض المناطق القائمة على الحدود وتجزيد المانيا من السلاح ، ولكنهم تكفرت بفوائد النظام الذي كانت براد تأسيسه بدلاً من الاساليب القديمة ، وحقت اكثر ما ترمي اليه في حرمان المانيا من مستمراتها وفي الاراضي والمورين وفي حدود بلجيكا وفي انشمال والشرق من ادرية ، وسلبت المانيا ما كان لها من نفوذ في الكمبريج ، واقامت المقبات في سبيل انعادها مع النمسة ، واحرزت من الناحية الاقتصادية مراقبة شاطلي الزين الابسر ، وحملت المانيا اعباء تموينيات عظيمة ونفقات احتلال ورواتب جنود ، ونشأ من ذلك اضطراب المانيا الاقتصادي وان كان دون الغاية التي ارادتها فرنسا ... ومع ذلك قبل ادركت فرنسا بهذه الوسائل ما يفييه عن امان وسلامة ؟ لو سئل اي فرنسي عن ذلك لأجاب سلباً ، وان كانت الحجة تخالف ، وقد بعد الحلفاء السبب في ذلك ، ولكن هناك وسيلة تبقى الشعب الالمانى موضع دون الشعب الفرنسي والاول يرداد غمراً وبعض قدرة ونشاطاً ، والثاني مستغرق في محاطة ونقص لداته ؟ ومع ذلك فلا بد من الاكراه والتوسل بغير ذلك من الوسائل انني لا يمكن ان تضمن سلامة فرنسا وسلامة العالم ، والامل الوحيد الذي يبقى لها هو العمل على تحقيق النظام الجديد والاحد فيه يعزم وتصميم واخلاص . ولكن تقدم رجل في النظام الجديد وابقاء اخرى في النظام القديم لا يفيد ابداً ، والسلامة التي تبحث عنها فرنسا ، حتى انني ادركتها ، لانكون الامم صدى للاحقاد والمشكلات فتعود العالم الى كارثة جديدة ... وذلك ما حدث بعد عشرين سنة .

خاتمة

من ولسن الى روزفلت

في خريف سنة ١٩١١ والمنعمة الانتخابية على ايدىها زار المستر فرنكلان روزفلت الدكتور وودرو ولسن حاكم ولاية نيو جيرسي واحداً من مرشحي الديمقراطية لرياسة الولايات المتحدة ، فتبادلا مقدمات الكلام وسبق المحادثة في فترة من الزمن ، فكان اثر هذه المحادثة شيئاً بادي. الرأسي في نفس روزفلت ، حتى تردد في خاطره الشك بقدره هذا الفيلسوف الهادي. الممثل على ايدى بالولايات المتحدة قديماً ، وقيادة عناصر التقدم فيها ، التي تبحث عن قائد حازم مقام ، واحس بان مراجعها على طرفي نقيض ، غير انها ما لبثت ان تفلت في شجون الحديث ، فانطلق ولسن بكشف القناع عن دخيلة امره وشدة مراسه ومستقبل سياسته ، وهذا اخذ به زالت بشعره رويداً رويداً بزوال الوحشة الأولى ، ووجد انه بين يدي رجل هو ضالته المنشودة ، وان كان منقبضاً في حياه ، قد اربى على الاكفاء وغيره عن النظره ، شريف الهادي ، جري الخطوات ، بعيد الممارك ، جدير ان يحمل لواء الديمقراطية ويقودهم الى مواطن الظفر .

وظل كذلك روزفلت بعد ان جلس ولسن على اريكه الرياسة ، وهو بين جماعة سربديه واكابر انصاره ، وكان في الوفد الذي سافر الى اوروبا لمعاودة مؤتمره ، بعد الحرب العالمية الأولى التي قيل ومثذاتها ستكون آخر الحروب ، واطلع على ميثاق عصبة الأمم الذي عقد عليه الرئيس رجاءه واناط به آماله ، في الشاء علم جديد ونظام مديد وسيد ثم وعدل شامل وحق سائد ، حتى اذا انتهت اليه الرئاسة سنة ١٩١٣ وقد اشرف عهد الجمهوريين على الانقضاء. تحدث الىسكرتير الدولة شيمسن ، وهو ممثل المائدة التي كان يراجع علم اسلحه الكبير ولسن

صحافت ابيناف في سفينة جورج واشنطن في طريقها الى اوروبا . وباعتباره في خفايا
ذكرى ذلك الرجل التالي بين رجال السياسة ، وفي قلبه من دقيدة وحساسية ،
وفي رنة صوته من صدق وإخلاص ، وفي سمو دعوته الى قواعد اخلاقية تدبر لها
الدول والأمم ، فبرقت عينا روزفلت . وامتتجة الى سكرتير للدولة ، الذي
استغرب استغراباً شديداً هذه المفاجأة ، وهو يقول في سماعه ذلك :

وفي الخلق انت روزفلت سلط هذه السبيل ، وانتهى آثاره ولن . وفه
في حلقه الحمية ، وكان يعتقد ان خطه هذه لرجل الدولة تربية الامة وارشادها ،
والتوصل بوسائل لافاع ومبررات في التصحية لنبيل لضرورة العامة في السياسة
التي يراد اتباعها . واتحاد المذهب المبية بالمرح اعراضها ، وقد حارب ذلك حينما اراد
ان يحل بالاد على حوض بحران الحرب ، عندما اوشكت الماية ان تملك قيادة
العالم ، فدار ببلاده سيرا لينا حتى اخرجها من الشيباد ، وحملها على قبول مبدأ
الاعارة والتأخير ، وتغلب على دعة المزلة . وانشأ قواعد الحريات الاربع كما انشأ
ولسن قواعد الاربعة عشرة ، ووقع الميثاق الاممي الذي مهد فيه للأمم المتحدة
هو ونشرشل ، كما وضع ولسن الميثاق الذي قدمت عليه عصبة الأمم .

وقد اغرق مخرطو الرئيس روزفلت بالاشادة في مديحه ، حتى كادت المبالغة
تطمس محاسنه . ووجدنا نقود مغامر كثيرة في سياسته الدولية ، ولم يكن احد
يعلم اكثر منه ان سبب احقاق الرئيس ولسن في تنفيذ خطته انه لم يعد لها المدة
والزمان موات له ، ولم يشترط على خلفائه ، وبهم حاجة شديداً اليه ، ثروياً واضحة
بنة ، اقوى من ايمان العامة والقواعد المبية ، ولذلك فاتهم عندما ظفروا بمدوم
لم يعودوا يهابون لآرائه بل اسكوه في مؤسسات طويلة عضوية . وكذلك كان
شان روزفلت لم يأخذ اليهود والوثائق لما بعد الحرب . وكان بعد عن تحذير
المخبرين ، يقول ليس لي غاية الآن غير الظفر . ماستاين حولوا الغلب الذي وجدته في
طريقه فكان يلقى نظراته الى ما بعد الظفر ، ويأخذ كل شي ، اهيته ومدد عذته .
وقد حمل روزفلت نفسه مشقة كثيرة ، اودت في النهاية به ، يحذف من سجله ستاين

في مؤتمر طهران والبالغ وغيرهم ، على انه قبل ان يفتي بحبه انفي بدأت مدوره الى بعض المقربين له ، وشكا من اساليب ستاين وساسة ابروس الذي كانوا قد اذكروا خططهم ، واستفادوا من غفلة خلفاتهم عن الاخذ بأسباب الخيطه والحذر ، حتى عكروا في المؤتمرات المتواليه من بسط سطاهم على نحو ثلث العالم ، هم حادون في السيطرة عليه كله ، يبدون الدعوة في جميع رحله ، ويمدون ما استطاعوا من قوة .

وكان روزفلت يقول في سنة ١٩٤٠ ، ان الاتحاد السوفيتي ، كما به كل امرئ يريد ان يواجه الحقائق ، يحكم حكم دكتاتوريا مطلقا كمثل حكم دكتاتوري في العالم ، ولكنه قال قبل انتهاء سنة ١٩٤١ ، ان لدفع عن الجمهوريات الاشتراكية التي تؤلف الاتحاد السوفيتي ، دفع عن الولايات المتحدة نفسها ، وقد واصل الحرب بشدة وعنف لاهوادة فيه ، واضر على تسليم الاعداء في الشرق ، الغرب تسامح لا قيد فيه ولا شرط ، حتى خلا الشوخله ، اقيانسه ، واصبح الناس يتحدثون بانه لا مناص من حرب صروس ثالثة وشيكه الوقوع ، تدويره التسلطات بين المالمين الرأسمالي والشيوعي حتى تكون المنبه لادهم ، وان كان يقول بين حين وآخر ، الهدنة المعوس القلفة والمحبب الواجبة المضاعفة ، التي يستعملان ان يبعثا كلاهما الى جانب الآخر .



في اول نشأتي السياسية الادبية نشرت كثيرا بدوه الرأسمال من مبادئه الخلقية ، وكنت في تبعائي وراستي مد الحرب القمية الاولى ، وكن كثيرا الى مطالعة الكتب والمذكرات السياسية التي لها صلة بدت ، ووجدت ذلك الاثر عندي ان الرئيس ولسن ابدى عناية كبرى في اييدى مطاب المورين ، وان اللجنة الاميركية التي بحث بها الى هذه البلاد وضعت تقريرا في مصلحتها بل في مصلحة حرب المسلمين ايضا ، واستذكرت ان يعود اليهود بعد اني سنة الى البلاد اني عمر عا حيرهم من بدمهم وطبعوها بطابع حضارتهم ، وكانت فيها مساكنهم ، واوقفساتهم ، وان كان الرئيس ولسن كما قال لي سفير الولايات المتحدة وبنات في لندن سنة ١٩٢٥ ، قد

تضائل نفوذه ، فذهب هذا التقرير نسبياً منسياً ، الا ان بعض الدوائر المهمة التي مازالت تستشهد بمحتوياته .

وقد اتاح لي القدر ان اعمل في يوم شديد الاقريط من سنة ١٩٤٤ جواب الحكومة السورية لممثل الولايات المتحدة في سورية ولبنان المستر وودسورث ، وكان يومئذ في بيروت وهو اليوم سفير بلاده في تركيا ، وذلك في شأن الاعتراف باستقلال سورية ، وكنت سعيداً بهذه المهمة ، كما انني شجيت مناقشات مجلس الامن في اثنا الدعوى التي اقامتها سورية ولبنان على فرنسا وانكازة ومطالبتهما بالاعتراف ، وكانت مؤازرة مندوبي الولايات المتحدة ظاهرة بيّنة ، ولا انا من حسن الصلات التي كانت في لندن بيني وبين سفارة الولايات المتحدة وموظفيها المهتمين بشئون الشرق . وكنت احادث السفير هرمان دات مرة في المشكلة الفلسطينية وقد حملت اليه مقالا كتبتته جريدة السبكيكيتير في شأن العلاقات الحالية التي كانت في الماضي بين الدول العربية وبين الولايات المتحدة ، وما قدمت به الحكومات الاميركية من بت افكورة الوطنية والدعوة الحرة والنهضة العلمية والاجتماعية ، وكيف ان موقف الولايات المتحدة في تأييد الصهيونية قد صرف عنها قلوب الكثيرين من اصداقائها العرب الذين نشأوا على حبها ، دولة ترفع راية حرية ، واثريهم تأثيراً جديداً .

واما آخر مستعجلة مني وانا في لندن كان في سفارة الولايات المتحدة ، في ختام مأدبة اقامها السفير دوغلاس لمعترفين قبل سفره في آذار السنة الماضية الى واشنطن ، فتحدثنا ملياً في امر فلسطين ، وقد ارسلت بذلك تقريراً للحكومة في حينه ، وسأشر ما يسوع علي قسره من هذه المحادثات والتقارير في الكتاب الذي اعده بعنوان :

« رسائل من لندن » .

المقدّس

ص ١

مبني

الفصل الأول : مكيفي مؤسس السياسة الحديثة

- ١ - السياسة التقليدية
- ٢ - الأخلاق والسياسة
- ٣ - التأمير والتحكيم والتفكير
- ٤ - أصول الحكم
- ٥ - مكيفي ابن أنصاره وخصومه
- ٦ - طائفة من آراء مكيفي

الفصل الثاني : رشايو وثقلايد دراسة السياسة

- ١ - سياسة دراسة الخارجية
- ٢ - رشايو في طريقته وأساليبه
- ٣ - رشايو ومرر ان
- ٤ - أصل دراسة الامبراطورية المقدسة
- ٥ - شكل السياسة الخارجية واسطراتها

الفصل الثالث : تاليران داهية السياسة

- ١ - اورية والثورة الفرنسية
- ٢ - السياسة الخارجية الحديثة
- ٣ - مشكلة الحدود والسياسة في ايام الثورة

٧٠	٤ — الحدود الطبيعية ونزاع الفتوح
٧٦	٥ — صفات نيران والحلافة السياسية
٨٠	٦ — نيران ونابليون
٨٥	٧ — نيران في خدمة فرنسا
٩١	٨ — نيران في اواخر حياته
٩٤	الفصل الرابع : مفرنج في سجنه والسياسة
٩٥	١ — سياسة المصحة وامورة الفرنسية
٩٨	٢ — مفرنج والسياسة الاوربية
١٠١	٣ — احاطة حطاطة لميون
١٠٧	٤ — اورة في عهد اسكندر ومفرنج
١١١	٥ — الحاكم بامير في المصحة
١١٣	٦ — اوصاف مفرنج وكاراميه
١٢٠	الفصل الخامس : كافور قطب الوحدة الإيطالية
١٢٠	١ — القواعد الاساسية لانشاء الامم والشعوب
١٢٤	٢ — مميزات المهمة الإيطالية
١٢٨	٣ — مراني وكافور
١٣٠	٤ — الحرب والسياسة في تكوين الدولة
١٣٧	الفصل السادس : بيمرسن والسلايب السياسة البريطانية
١٣٧	١ — المصالح والسياسة في القرن التاسع عشر
١٤٢	٢ — ولم بيت والثورة
١٤٦	٣ — منشأ بيمرسن وميزاته
١٥٣	٤ — النزاع بين الكاثوليك وفرنسية
١٦٠	٥ — السياسة الانكليزية ونابليون الثالث
١٦٧	٦ — شكوك فرنسا بالسياسة الانكليزية

١٧٥ الفصل السابع : بيمارك رجل الدولة المعظم

١٧٥ ١ - المائة قبل الوحدة

١٨٣ ٢ - بوادر الميثاق الجديد .

١٩٠ ٣ - نروبينغ - هوشاين وحرب النعمة

٩٦١ ٤ - حرب مرسية وتأسيس الامبراطورية

٢٠٣ ٥ - سياسة سمرك الاوربية

٣٠٧ ٦ - سمرك والمحافظات الدوائية

٢١٧ ٧ - استقالة سمرك وسياسة اقلية

٢٢٥ الفصل الثامن : الرئيس والسن والسياسة الاخلاقية

٢٢٥ ١ - الرئيس الثلاثة

٢٢٥ وشيطان

٢٢٩ السكين

٢٣٦ والسن

٢٤٤ ٢ - حرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٥ واوليتها

٢٥٢ ٣ - تطور آراء في اثناء الحرب

٢٥٨ ٤ - طائفة من اقوال رئيس والسن

٢٦٢ ٥ - بين النظام القديم والنظام الجديد

٢٦٦ ٦ - المعاهدات السرية

٢٦٨ ٧ - العهد الحقيقي في مؤتمر السلام

٢٧١ ٨ - محذورات صاحب فرساي وآراء رجل السياسة

٢٨٥ خاتمة : من والسن الى روزمات

الخطأ والصواب

خطأ	صواب	ص	س
عالمًا وفيلسوفًا واستاذًا وفكرًا	العالم الفيلسوف والاستاذ المفكر	٣	٦
عالم في مذهبا	عالم في مذهب	٥	٧
الاشياء	الاشياء	٦	٨
توفر	وفر	٦	١٥
يحكم لا بما	يحكم الا بما	١١	١٤
الجمهوريين	الجمهوريين	١٥	٢٠
يسودها	يسودها	١٧	٣
ملكها	ملكها	١٧	١٣
مؤارثته	مؤارثته	٢٠	١٤
الانصاف	الانصاف	٢٦	٢١
الجمهوريات	الجمهوريات	٢٩	١٣
حسب مدته	بحسب مدته	٣٥	٦
والذين	والذين	٤٣	٢٢
الذين هم	الذين هم	٥٧	٤
السي وعضمتهم	الذين وعضمتهم	٥٧	٨
دعيتهم	دعيتهم	٨١	٦
س	موس	٩١	١٨
لاستبصار	الاستبصار	٩٥	١٣
اميراتها	اميراتها	٩٧	٨
ومعا	وفعا	١١٠	٦

الخطأ	الصواب	ص	س
واهوته	واهوته	٨٣	٩
المسمي	المسمي	٨٥	١١
البريات	البريات	٨٩	٥
الصفاء	الصفاء	٩٢	٢
الاستعداد	الاستعداد	٩٧	٧
الهيبة	الهيبة	٩٩	١٥
لا يريد	لا يريد	١٠٠	١٦
الخصية الظرو	الخصية والظرو	١٠١	٥
فرق	الفرق	١٠٧	٢
مجاورهما	مجاورهما	١٠٨	١٨
دقة	دقة	١٠٨	٢١
حصا في لـ	حصا في لـ	١٠٩	٩
الحياة وعند	الحياة وعند	١١٠	٢٥
بائع	بائع	١١٨	١
اوامها	اوامها	١١٩	٥
قرفة	قرفة	١٢١	١٥
ماتت	ماتت	١٢١	١٧
في اواخر النعمان	في اواخر النعمان	١٢٩	٦
او تروى	او تروى	١٣٢	٢٢
عنه	عنه	١٣٣	٢
لا يتطوع	لا يتطوع	١٣٣	١٨
الاحدية	الاحدية	١٣٦	١١
الكرامة	الكرامة	١٤١	٦
عبدني	عبدني	١٤٢	١١
اورثت	اورثت	١٤٢	٢٥
كولاوادر	كولاوادر	١٦٥	١١

صفحة	مواضع	م	ص
٢٦	١٠	٢	٧٠
٢٧	١١	٥	١١٣
٢٨	١٢	١٨	١١٤
٢٩	١٣	١٩	١١٥
٣٠	١٤	١٥	١٣١
٣١	١٥	١٤	١٤٢
٣٢	١٦	١٨	١٥٣
٣٣	١٧	١٨	١٦٩
٣٤	١٨	٧	٢٠٤
٣٥	١٩	١٨	٢٠٧
٣٦	٢٠	٢٢	٢٠٩
٣٧	٢١	٢٢	٢١١
٣٨	٢٢	٢٠	٢١٧
٣٩	٢٣	٩	٢٢٠
٤٠	٢٤	١٨	٢٢٦
٤١	٢٥	١٣	٢٢٧
٤٢	٢٦	١٩	٢٤٢
٤٣	٢٧	٧	٢٥٢
٤٤	٢٨	١٤	٢٥٢
٤٥	٢٩	٢٤	٢٥٥
٤٦	٣٠	١٠	٢٦٩

تذكرة

نشرنا في العدد الأول من هذا الكتاب في آخر البحث عن الاتحاد العربي وما
يعال فيه ، من السطر ٩ صفحة ١٣١ إلى آخر البحث ، كلمة كنا نشرناها في مجلة
الرابطة العربية ، سنة الحاشي مؤخر في هذا الموضع ، في العدد الصادر في ٢٣ أيلول
سنة ١٩٣٩ ، حسبما يحسن الكتاب الاعتدال أنها تعالج شؤون الجمعية العربية اليوم ،
وجامعة الدول العربية ، غير أنها كانت قبل نحو عشر سنين من إنشاء هذه الجامعة ،
وذلك كرسها في الثانية ، أنه وقع في الكلمة المذكورة ، من الأخطاء ، وفيها ، مثل
١٩٢٤ بدل ١٩٣٩ في سطر ٩ صفحة ١٣١ ، وسدت ملاحظة بدل وسدت ملاحظة
في سطر ١٠ من الصفحة المذكورة ، وسدت ملاحظة بدل ملاحظة في سطر
٩ صفحة ١٣٥ .

وقد ورد أيضاً من الأخطاء المطبعية في السطر الرابع من صفحة ١٢ من مقدمة
الكتاب في القسم الأول : والى للمعروف ، وجود التاء في ذلك من : والى بالمعروف
وجود التاء .

مراجع الكتاب : القسم الاول والقسم الثاني

١- اللغة الانكليزية

The foreign affairs reader	Armstrong
The great globe itself	Bullitt William C.
Speaking frankly	Byrne James
The second world war	Churchill W.
England, the unknown side	Cohen - Portheim Paul
Crusade in Europe	General Eisenhower
The life of Neville Chamberlain	Feiling Keith
Shores in diplomacy and statescraft	Goode G. P.
Diplomacy by conference	Lord Halifax
Citizen of the world Franklin D. Roosevelt	Hatch Alden P.
The memoirs of Cordell Hull	Cordell Hull
Diplomat in peace and war	Hugessen Knatchbull
Two memoirs	Keynes John Maynard
Diplomacy in letters	Lay Victor Willes
The british year book of international law 1917	Lauterpacht H.
Diplomatic prelude	Nimmer L. B.
Lewis the president	Randall F. G.
The Habsburg monarchy	Taylor A. J. P.
David Lloyd George	Thomson
Molotov	Trotsky L.
The Home - Berlin Axis	Wiskemann Elizabeth
A Letter from Grosvenor Square	Wright John G.
Britannica book of the Year 1917	
The history of the Times	The Office of the Times
International affairs review	The Royal Institute of International Affairs

L'Europe. Vertue ou crime	Magnon de Borniet. L.
La vie de Disraeli	Mauvois. Andre
Les origines du droit international	Sys
La reconstruction de l'Europe politique	Pinon. Rene
Les nouvelles tendances du droit international	Pollis. Nicolas
Romantisme et Diplomatie	Pedrolague. Maurice
Talleyrand Metternich Chateaubriand	
Discours et conferences	Remon
Histoire des grands principes du droit des gens	Reischke. Robert
Histoire politique de l'Europe contemporaine	Seignolus. Ch.
L'Angleterre dans le monde	Stowe. Johannes
L'Europe et la revolution française	Sorel. Albert
Cinq ans de Turquie	Sanders. Eugen Von
Les freres ennemis	Le Comte Starza
Les bâtisseurs de l'Europe moderne	
Synthese de l'Europe	
Traite pratique de diplomatie moderne	Rozan de Szilassy
Memories de guerre	Lloyd. George
Le pax	Fardieu. Andre
Les mandats internationaux	Van. Rees
L'Ambassade d'Angleterre a Paris	Wikam. Beckles
Messages et discours	Wilson. W.
L'Action des Etats-Unis	
Conférence internationale de Wilson et de Guillaume II	
Le Problème des Changements de Principes dans les relations Internationales	Institut International de Cooperation Intellectuelle
La formation des Etats-Unis	

٢ — اللغة الفرنسية

Le Politique	Barthou L.
Bismarck	Bainville Jacques
Manuel historique de politique étrangère	Bourgeois Emile
Le président Wilson et le règlement franco-allemand	Baker Ray
Metternich	Idl Victor
Richelieu	Bully Auguste
Le Machiavélisme après Machiavel	Benoist Charles
Psychologie politique du peuple anglais	Boutny Emile
Talleyrand homme d'Etat	Bell Franz
Mémoires du chancelier prince de Bismarck	Bloch Henri
Le Diplomate	Camhon Jules
La crise mondiale	Churchill W.
Les relations des chrétiens avec les Arabes au moyen-âge	De Mas Latrie
Les consuls de France	Donnadieu James
Mission à Moscou	Davies Joseph E.
Bases de Nationalités Etats	L. Fan
Traité de droit international public	Fauchille Paul
Mémoires de Edward Grey	Vicomte H. Palladon
Souvenirs de guerre de M. Erzberger	
Machiavel	Gautier Vignal L.
Traité de diplomatie	Gent H.
Retour de L.T. H. S. S.	Godé André
Ce qui se passa réellement à Paris en 1918 - 1919	God House & Co Seymour
L'Ecole des ambassadeurs	Jasseraud J.
Bismarck	Ludwig Emil
Napoleon	
Staline Essai biographique	

المؤلف

- ١ - الحلة المصرية
أو
مترجم من التركية سنة ١٩٢١
- ٢ - مفاوضات وثائق سياحية
سنة ١٩٢٦
- ٣ - التمرح الدولي في الاسلام بالفرنسية
سنة ١٩٢٩
- ٤ - التمرح الدولي في الاسلام بالمرية
سنة ١٩٣٠
- ٥ - العبادة الدولية واشهر رحلتها
القسم الاول : الاعمال والاخلاق والتقاليد
سنة ١٩٥٠
- ٦ - القسم الثاني : قطب المذاهب السياسية
سنة ١٩٥١

• عدد للضلع :

- ١ - الدولة العربية في الابد الشام
١٩١٨ - ١٩٢٠
وذكرى الحكومة المصرية
- ٢ - رسائل من لندن
شباط ١٩٤٥ - حزيران ١٩٤٩



L'Empire Byzantinque	Magnon de Bernier J.
La vie de Disraeli	Maurois André
Les origines du droit international	Nys
La reconstruction de l'Europe politique	Painon René
Les nouvelles tendances du droit international	Pollis Nicolas
Romantisme et Diplomatie	Paléologue Maurice
Talleyrand Metternich Chateaubriand	
Discours et conférences	Reuani
Histoire des grands principes du droit des gens	Redshub Robert
Histoire politique de l'Europe contemporaine	Seignobos Ch.
L'Angleterre dans le monde	Slavie Johannes
L'Europe et la révolution française	Sorel Albert
Cinq ans de trêve	Smolcs Linné Von
Les trois ennemis	Le Comte Sturz
Les battements de l'Europe moderne	
Synthèse de l'Europe	
Tratte pratique de diplomatie moderne	Bern de Szilassy
Mémoires de guerre	Lloyd George
La paix	Tardieu André
Les mandats internationaux	Van Rees
L'Ambassade d'Angleterre à Paris	Wilson Beckles
Me sages et discours	Wilson W.
L'histoire des Etats-Unis	
Correspondance secrète de wladow et de Guillaume II	
Le Problème des Changements	Institut International de
Pratiques dans les relations intern-	Coopération Intellect-
ationales	nelle
Dictionnaire diplomatique	

٢ - اللغة الفرنسية

Le Politique	Barthou L.
Bismarck	Bainville Jacques
Manuel historique de politique étrangère	Bourgeois Emile
Le président wilson et le règlement franco-allemand	Baker Ray
Metternich	Chib Victor
Richelieu	Bailly Auguste
Le Machiavelisme après Machiavel	Benoist Charles
Psychologie politique du peuple anglais	Boutny Emile
Talleyrand homme d'Etat	Blü Franz
Mémoires du chancelier prince de Bismarck	Bloch Henri
Le Diplomate	Cambon Jules
La crise mondiale	Churchill W.
Les relations des chrétiens avec les Arabes au moyen-âge	De Max Latorie
Les consuls de France	Domadieu James
Mission à Maroc	Davies Joseph E.
Races - Nationalités - Etats	El Fur
Traité de droit international public	Fauchille Paul
Mémoires de Edward Grey	Vicomte de Fathodon
Souvenirs de guerre de M. Erzberger	
Machiavel	Gantier Vignal L.
Traité de diplomatie	Genet R.
Retour de L.T. R. S. S.	Gide Andre
Ce qui se passa réellement à Paris en 1918 - 1919	Col House & Ch. Seymour
L'écrit des ambassadeurs	Insserand J.
Bismarck	Ludwig Emil
Napoleon	
Staline Essai biographique	

المؤلف

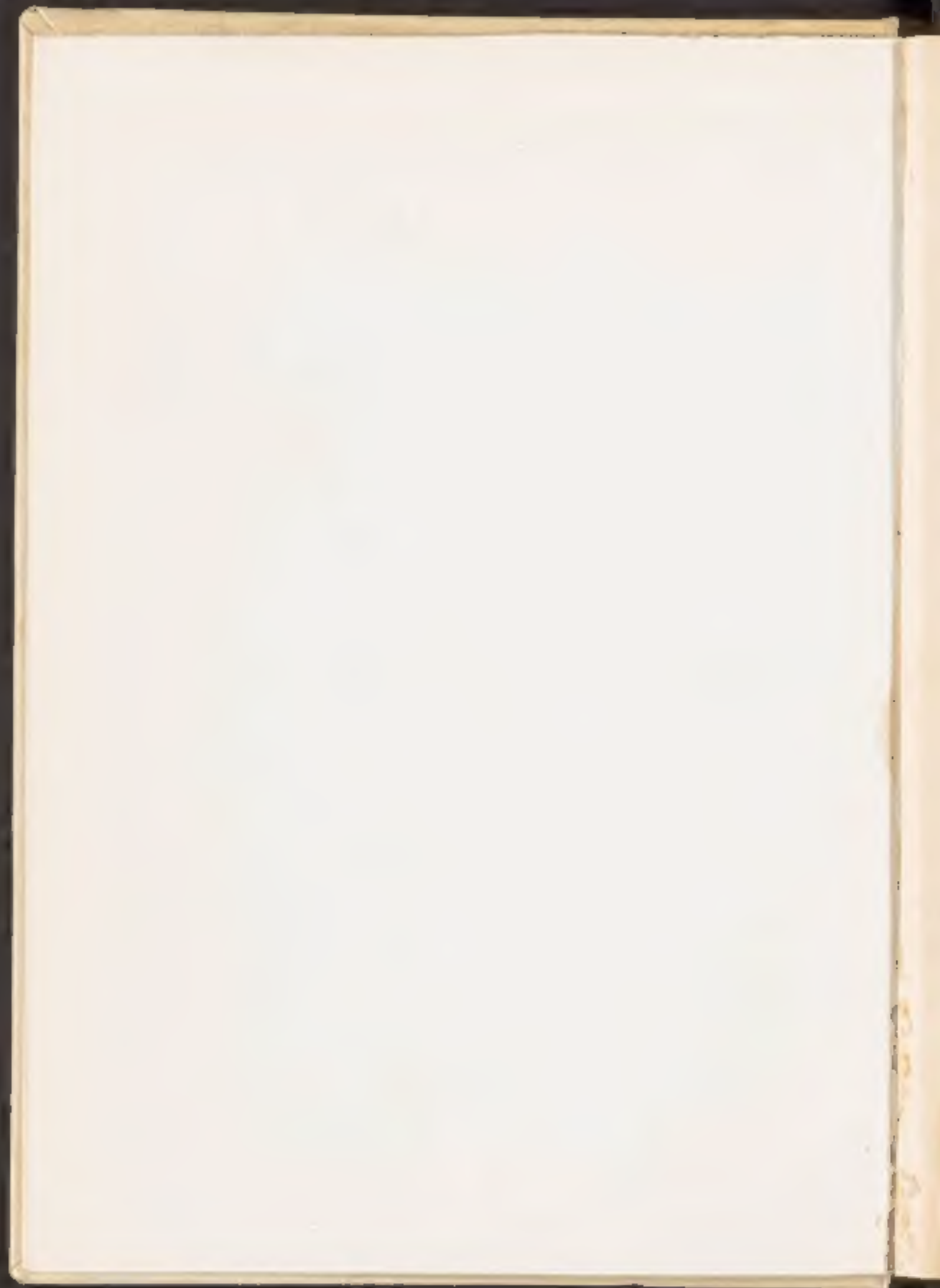
- ١ - الحجة المصرية
 مقترح من التركية سنة ١٩٢١
 او
 من باريس الى صحراء التيه
- ٢ - مفاوضات ووثائق سياسية
 سنة ١٩٢٦
- ٣ - الشرع الدولي في الاسلام
 سنة ١٩٢٩ بالفراشية
- ٤ - الشرع الدولي في الاسلام
 سنة ١٩٣٠ بالعربية
- ٥ - السياسة الدولية واشهر رجالها
 سنة ١٩٥٠ القسم الاول : الاعمال والاخلاق والتقاليد
- ٦ - القسم الثاني : افطاب المذاهب السياسية
 سنة ١٩٥١

معد للضلع :

- ١ - الدولة العربية في بلاد الشام
 ١٩١٨ - ١٩٢٠
 وذكرى الحكومة المبعولية
- ٢ - رسائل من لندن
 شباط ١٩٤٥ - حزيران ١٩٤٩

7

• 11-11-11





معاهدة الانشاء بدمشق